الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢٠٥) ـ رجب ١٤١٤هـ (ديسمبر ـ يناير) ١٩٩٣/١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (205) DEC./JAN. 1993/1994



متحف الشارقة

هل تتذكر الحيوانات؟





المشروبات في حياتنا



المبيدات خطر يهدد الإنسان والبيئة

القِيَم في مواجهة الحضارات





في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢٠٥) - رجب ١٤١٤هـ - السنة (١٨) - ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٣م - يناير (كانون الثاني) ١٩٩٤م

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤
فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

● أسعار بيع النسخ :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسا - سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٢٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكا - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل».

إطلالة

أجرأ من الليل

تناول الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في محاضرته «الإسلام والغرب»، التي ألقاها في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة اكسفورد، أبعاد العلاقات الراهنة بين العالمين الإسلامي والغربي المتسمة بسوء الفهم، معبراً عن رؤيته لما ينبغي أن تكون عليه تلك العلاقات، التي تقتضيها ظروف التفاعل الحضاري وضرورات الاعتماد المتبادل لما فيه صالحهما وصالح أجيالهما القادمة، خاصة وقد اختزل التقدم التقني لوسائل الاتصال المسافات بين الأمم والشعوب، وقارب بينها إلى حد لم يكن يحلم به الأقدمون.

في هذا الإطار أشاد الأمير تشارلز؛ بكثير من الإنصاف؛ بالإسلام وما له من فضل في العطاء الحضاري الإنساني الذي كان من ثماره هذه المدنية الغربية الحديثة التي تنكرت له، وشوهت إسهامه، وجردته من كل مزية، وألصقت به كل نقيصة لتحط من شأنه وقدره. وهذه الإشادة بالإسلام وقيمه شجاعة لا تتوافر للكثيرين ممن يخشون السباحة ضد التيار العدائي السائد للإسلام، إيثاراً للسلامة وضماناً لطموحاتهم السياسية المحكومة برضا التيارات الاجتماعية المناوئة للإسلام.

وتبدّت شجاعته ـ حتى كان أجرأ من الليل ـ في تناوله لقضايا تعد مداخل غربية للجور على الإسلام من خلال تعمد إساءة التناول والفهم، وقد حرصتُ على الرجوع إلى النص الأصلي للمحاضرة فيما يتعلق بمثل هذه المداخل، ومن ذلك قضية المرأة، إذ بيّن ما لها من حقوق واسعة في ظل الشريعة الإسلامية، كحق التملك والإرث وممارسة أعمالها التجارية الخاصة. وأكد على المكانة المتميزة للمرأة التي قررها الإسلام لها قبل أربعة عشر قرناً، في الوقت الذي كانت تُعد فيه بعض تلك الحقوق في بريطانيا قفزة جديدة لا سابقة لها إلى جيل جدته ـ حسب تعبير الأمير ـ وكان نفيه الربط بين الإسلام والتطرف مدخلاً آخر ظهرت فيه شجاعته، حيث أخذ على الغرب بناءه لحكمه على الإسلام من خلال نزعات شاذة. يقول نصه: «ينبغي أن نحذر من إطلاق التصنيف الانفعالي (الأصولية)، وأن نفرق كما يفرق المسلمون بين المسلمين المتمسكين بأصول دينهم، والمتعصبين (المتطرفين) الذين يتظاهرون بالدين لأغراض سياسية».

إن هذا التناول الموضوعي للإسلام ومبادئه وإسهامه الحضاري لم يكن الشهادة المنصفة الأولى، إلا أنه يكتسب أهميته من شخص صاحبه، كونه ولي عهد بريطانيا، مما يجعل لحديثه حصانة تمنع الإعلام الغربي من ممارسة دوره التقليدي في التعتيم والتشويه لأحاديث المنصفين للإسلام. والأمير تشارلز من واقع سِنّه وثقافته ممثِّلٌ لقطاع عريض من الشباب الغربي المثقف، كما أن توقيت هذا التناول المنصف يلبسه تلك الأهمية، إذ يحتدم حاليًا النقاش والتداول في الغرب حول وضع المسلمين المهاجرين، وما يمثلونه من تقاليد وقيم مغايرة، يراها المتطرفون من الغربيين تهديدًا لكيان مجتمعهم المادي، وما تأسس عليه من مبادئ وقيم. ويتمثل هؤلاء المتطرفون هذا التهديد في الاهتمام المتزايد الذي يظهره كثيرون من أبناء جلدتهم لدراسة الإسلام وتفهمه بعمق واستغراق، دونما اكتراث لما تطرحه وسائل الاتصال الجماهيري هناك من أحكام جائرة، وتصورات مسبقة تنبني على الأهواء والإحَن، مما كان من شأنه اقتناع جُلّهم، ودخولهم في دين الله أفواجا.

لعل أبرز دلالات هذه المحاضرة تتركز في أن هناك أصواتا متعقلة في الغرب تعتقد في ضرورة الحوار الحضاري الموضوعي بين الإسلام والغرب، يتجاوز الإرث العدائي التقليدي الذي أجج نيرانه الإعلام الغربي بافتراءاته ومزاعمه ضد الإسلام. وهذه الأصوات المتعقلة تدرك جيدًا من استقراء تجارب الماضي قيمة أن يُعرف الشيء على حقيقته، فواقعية العصر تستدعي تلك المعرفة الحقة، ليكون مردود التعاطي معه إيجابيًا وناجحًا.

إن نسبة التأجيج والتأصيل للعداء التاريخي إلى الإعلام الغربي ومن يدعمونه معنويًا وماديًا لا يصنف في باب التجني، ولا يأتي من قبيل إطلاق التهم جزافا ـ فهذا ما نستنكره من الغرب ـ، إنما يستند إلى حجج التاريخ القوية وأسانيده الصحيحة، وأدلته المستقاة من الواقع الذي نحياه، الذي يمارسه الإعلام الغربي إلى هذه اللحظة. وفي الوقت نفسه فإن التاريخ يشهد بأن المسلمين لم ينكروا يومًا فضلاً لأمة من الأمم، عن جهل وافتراء، ونسبوا العلوم والمعارف إلى أصحابها وفق مقتضيات الأمانة العلمية، ومنذ دولة الإسلام الأولى في المدينة لم يعرف المسلمون تفرقة عنصرية أو عصبية أو دينية، فالقضاء على النزعة العنصرية ومقاومة العصبيات من الأسس والمبادىء الأصيلة في الإسلام، وهذا ما يفسر الترحيب الإسلامي الذي لاقته دعوة الأمير تشارلز للتفاهم والتفاعل الحضاري في اتجاه صالح العالمين الإسلامي والغربي، فاتساقها وتوافقها مع روح العقيدة الإسلامية وتوجهها نحو إرساء قواعد الأخوة البشرية يجعل القبول هو ردة الفعل الوحيدة في الساحة الإسلامية، وهذا القبول تتدعم ركائزه بإخلاص النية وصدق التوجه نحو إنفاذ الدعوة وجعلها واقعًا معاشًا.

وفي كل الأحوال فإن أَخْذنَا في الحسبان الواقع الإسلامي المتسم بالضعف والتراخي، يجعل خيار التجاوب مع هذه الدعوة متروكًا للغرب، مما يطرح سؤالاً حول مدى استعداد جماعاته المتباينة المصالح والمنطلقات لهذا التجاوب ومقتضياته، التي تعني تغييرًا كليًا في الرؤى والاستراتيجيات، وبعدًا عن الأحكام الجائرة، والتصورات المسبقة التي تتخذ من منظورها العدائي القديم منطلقًا.

في هذا المجال يتعاظم دور وسائل الاتصال لما تمارسه من تأثير في الرأي العام الدولي، وتشكيل له طبقًا لأهداف موجهيها ومراميهم. ولا يقتصر هذا التأثير على العامة، وإنما يمتد ليشمل صنّاع القرار كذلك، حتى إن قرارات عدد كبير منهم لا تأتي استجابة للحقائق الموضوعية للموقف بقدر ما تكون نابعة من قناعات وأحكام مسبقة تُستقى من الصور الذهنية (**Image**) التي ترسمها وسائل الاتصال للموقف وأطرافه.

إن الدور الذي أدته وسائل الاتصال الجماهيري في تأكيد الهيمنة الثقافية

البقية ص (١٢٩)

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

اللاساميّة.. واللاإسلاميّة



بقلم: د. حسن ظاظا

المسلمون ــ وهم ربع سكان العالم تقريبا ــ يتعرضون لحملات التعصب والكراهية والحقد، الذي يصل إلى حد الظلم الفادح، لا سيما إذا كانوا أقلية مستضعفة تحت سيادة أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم. ومع ذلك فإنهم ـ في أغلب الظروف ـ يحتفظون بوقارهم، ولا يصيحون أو يولولون إلاّ بعد أن يدفعوا ثمن إبائهم من دمائهم، ويواجهوا تخطيطا نافذا للقضاء على دينهم، أو للقضاء عليهم هم نهائيًا. وهم ـ حتى في صياحهم ــ في منتهى الاحتشام والحياء. وعلى العكس من ذلك بنو إسرائيل، الذين لا يصل عددهم في العالم إلى واحد من سبعين جزءًا من عدد المسلمين، ومع ذلك فإنهم ــ لأوهى الأسباب ــ يجأرون بالبكاء والعويل، يتجاوبونه ويتهادون به من جميع بقاع العالم، فيتحول هذا العالم إلى مأتم ومناحة لا أول لها ولا آخر. يبكون من فرعون، ومن بختنصر، ويبكون من ملوكهم وأنبيائهم، ويبكون من اليونان، والرومان، ومن بابوات النصارى، وخلفاء المسلمين، وقياصرة الروس، ويبكون من موسوليني وهتلر وجمال عبد الناصر والخميني، ويبكون من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية، ويبكون حتى من صبيان غزة وفلسطين المحتلة؛ لأنهم يردّون بالحجارة على رشاشات الجيش الإسرائيلي ومدافعه وطائراته ودبّاباته. واعتمادهم في ذلك على ذاكرة قوية تحتفظ حتى بالأساطير والأكاذيب، وعلى ذاكرة ضعيفة جدًا عند بقية شعوب الأرض، كثيرة الخلط والنسيان!

وكانت هذه الشعوب دائما تدفع ثمن نسيانها، وثمن دموع اليهود، باهظًا جدًا، حتى أولئك الذين لا ناقة لهم ولا جمل في المشكلة، كمثلنا في الشرق الأوسط منذ أكثر من قرن ونصف من النشاط الاستعماري الصهيوني في فلسطين (المستوطنة الصهيونية الأولى ترجع إلى أواسط القرن الميلادي الماضي، هي وإنشاء الاتحاد الإسرائيلي العالمي) أي قبل هرتسل ومؤتمره الصهيوني العالمي بنصف قرن.

ومن الذين لا ناقة لهم في الأمر ولا جمل، الشعب الفلسطيني. قصده بنو إسرائيل لاجئين من اضطهاد فرعون، وتسللوا إليه وتغلغلوا فيه بعد موت موسى وهارون عليهما السلام، ثم قامت لهم مملكة في الضفة الغربية من فلسطين فقط، دون السهل الساحلي ولا غزة ولا الجليل، بفضل داود النبي المحارب، وسليمان ابنه نبي السلام. وما كاد سليمان ينتقل إلى جوار ربّه، حتى تفسّخت هذه المملكة، وانشطرت إلى نصفين متعاديين متحاربين، مملكة يهوذا في الجنوب بعاصمتها أورشليم، ومملكة إسرائيل في الشمال بعاصمتها الأولى «تِرْصَه»، ثم انتقلت بعد قليل إلى العاصمة الجديدة «السامرة». أما مملكة يهوذا الجنوبية القريبة من مصر ـ ومن اسمها جاء اسم اليهود؛ لأن ملوكها من أحفاد داود ينحدرون من سبط يهوذا ـ فإنها حالفت العدو التقليدي لمصر في ذاك الوقت وهو العراق بأباطرته الطغاة في بابل ونينوى. وحالفت مملكة إسرائيل الشمالية فراعنة مصر. وكان همّ كل من المملكتين الصغيرتين الاستفادة من صراع القوتين العظميين في ذاك الزمان، لكن مجرى التاريخ قضى بغير ذلك، فتحطمت المملكتان: إسرائيل أولا على يد أباطرة آشور في نينوى، ويهوذا أخيرا على يد بختنصر الكلداني الزاحف بجيشه من بابل. وتحت ضغط الموت والدمار لاذت قبائل إسرائيل العشر بالفرار، واختفوا في مناكب الأرض إلى الآن. أما القبيلتان الباقيتان في الجنوب، فقد أخذ من نجا منهم من القتل أسيرًا إلى أرض بابل. يقول كاتب العهد القديم: وفي الشهر الخامس، في اليوم السابع من الشهر، في السنة التاسعة عشرة للملك بختنصر ملِك بابل، وصل نَبُوزَرْدان، رئيس الشرطة، عَبْد ملك

اللاسامية.. واللاإسلامية

بـابل، إلى أورشليـم، وأحـرق بيت الـربّ، وبيـت الملك، وجميع بيـوت أورشليـم، وكـلّ بيت للعظمـاء أحرقـه بالنـار. وهدم جنود الجيـش الكلداني الذين مع رئيس الشرطة الأسوار المحيطـة بأورشليـم. وأمـا سائر الشعب الذين بقـوا في المدينـة، ومَن هـرب منهـا مستسلمًـا لملك بـابل، وسـائر القوم، فقـد أجلاهـم نَبُوزَرْدان رئيس الشرطة. وتـرك رئيس الشرطة من مسـاكين الأرض من يغرسون الكرم أو يزرعـون. (سفر الملوك الثاني ـ ٢٥ : ٨ إلى ١٢).

قطب الرحَى في الفكر الصهيوني

توقفت قليـلا عند هذه الحادثـة لأنها في الفكر الصهيـوني ـ قديما وحـديثا ـ كانت قطب الرحَى، والمحور الذي تـدور حولـه أية عصبيـة يهودية ظهرت من بعد، ، وظهرت كذلك في مقابلها أية حركـة معادية لليهود، مما نسميه اختصارًا «اللاسـامية». كان هـذا المحور الفكري نشيطا عنـدما ظهر الإمبراطـور الإيراني «قـورش» ووريثـه «قمبيـز» في القرنين الخامس والـرابع قبل الميلاد. فقـد اعتمد الأول على كثرة الموتـورين من الحكم العراقي، لا سيما مـن المنفيّين من بلادهـم إلى العراق، فأصـدر مرسومـا بإطلاق سراحهم جميعا، والسماح لهم بـالعودة إلى أوطـانهم، وأسرع اليهـود إلى اغتنام هـذه الفـرصـة، بل زعم رواتهم أن المرسـوم الإمبراطوري قد صدر لهم فقط دون غيرهم، بأمر من الله إلى قورش! كأن السماء والأرض لا همّ لهما إلا اليهود!

الغريب أن هذه العصبية العنصرية سـايرت التاريخ اليهودي، كما سايرتـه الدموع والنيـاحات! والحداد والسواد ما يزال عند الملتـزمين من أصحابنا أفضل وأقـرب إلى الجنـة من البهجـــة والسرور، ومثلهم الأعلى في ذلك يعقـوب عليـه السلام، ليس في بكائه على فقـد يوسف فقط (والمرتكب للجريمـة هم إخوته، الأحد عشر كـوكبا)، بل هم يدّعـون أنــه كان من هـواة البكاء، لا يكف عن الشكوي! أمّـا بنو إسرائيل فمنذ خروجهم مع موسى هربا من طغيان واحد من الفـراعنة، واحـد فقط، فقد جعلـوا اسم فرعـون عمـوما رمـزا للعسف والظلم والفساد، مع أن رواتهـم نقلوا لهم خيرا عن فراعنة آخرين. فعندما وصل إبراهيم إلى مصر مع زوجته سارة، أمرهـا ـ هكذا يقـول الراوية ـ أن تقول إنها أخته فقط حتى لا يقتلـه فـرعـون طمعـا فيهـا. واكتشف فـرعـون الحقيقـة، فغضب «واستدعى فرعـون إبراهيم وقال لــه: ماذا صنعت بي؟ لِـمَ لَـمْ تعلمني أنها امرأتـك؟ لِـمَ قلتَ هي أختي حتى أخـذتها لتكون لي زوجـة؟ والآن هـا هي امرأتك! خذها واذهب! وأمر فرعـون أنـاسًا يشيّعونـه هو وامرأتـه وكل ما له» (التوراة ـ سفر التكويـن ١٢ : ١٨ ـ ٢٠).

وفرعـون يوسف كان أيضـا في التوراة مثالاً في الكرم، كما كـان يعقوب دائما شاكيـا من زمانه. «فقـال فرعـون ليوسـف: أبوك وإخوتك قـد وفدوا إليك. فهذه أرض مصر بين يديك. أنزلهـم في أطيبهـا. ليقيموا في ربوع جَاسَان، وإن كنت تعلم أن فيهم ذوي مهـارة فأقمهم وكـلاء على ماشيتي. وأدخل يـوسف أبـاه يعقوب وأوقفـه بين يـديْ فرعـون، فبـارك يعقوب فـرعـونَ. فقـال لـه فرعـون: كـم أيام سِني حياتك؟ فقال لـه يعقوبُ: أيام سِني غُـرْبَتِي مائة وثلاثون سنة، قليلةً ورديئة كانت أيام سِنِـي حياتي، ولـم تبلغ أيام سِنِـي حياة آبائي أيام غربتهـم. وبارك يعقوبُ فرعون، وخرج من بين يديه» (التوراة ٤٧ : ٥ ـ ١٠).

ولكن يعقـوب وإبراهيم، وحتى مـوسى وهارون عليهم السـلام، يبقون في المأثور اليهودي شـواهد على «عراقـة» هذه الأمــة، ومعرضًا للكثير من قصص العناية الإلَهِيـة الخاصة بهذه المجموعـة البشرية «الخالصة» التي لـم تعرف الكفر أبدا؛ لأنها «شعب الله المختـار» كما يزعم شيوخهم وقـادتهم إلى الآن. لكن هذا الجوّ يتغير إذا وصلنا إلى داود وسليمان عليهما السـلام. فنحن المسلمين نجعلهما من الأنبياء، تصديقا للقرآن الكريـم. أمـا الإخباريون اليهود فهما عندهـم من الزعـمــاء ورجـال السياسـة فقط. والنبي المعـاصر لداود كان صمـويل الذي مـات قبل أن يـؤسس داود مملكتـه في فلسطين، وكـان نَبِـيّ هـذه المملكـة «ناثـان». أمـا في دولـة سليمـان فكان من الأنبيـاء «أخِيَّـاه الشيلـوني» الذي تنبّـأ بتمـزيق مُلك سليمان من بعـده (سفـر الملـوك الأول ١١ : ٢٩ ـ ٣٨). ويشعر الناظر في تفاصيل تلك النبوءة بـأنها قد تـم تأليفها، وتلفيقها على لسان هذا النبي، بعد موت سليمان بقرون طويلـة، بل بعد زوال المملكتين الصغيرتين بـزمن طويل. فـداود شيّد على أطـراف مدينـة القدس حصنـا قويـا يصدّ بــه هجمـات (اليبوسيين) سكان القدس، و (الفلسطينيين) إذا هاجموه من السهل السـاحلي. وكـان هذا الحصن يقـوم على تلّ في غـرب مـدينة القـدس، اسمـه (صهيون)، ثــم أتـم الاستيلاء على بقيـة القدس. فلما جـاء سليمان من بعده تمنى أن يهب الله لـــه مُلكا لا ينبغي لأحـد من اليهـود من بعـده، فنفّذ مشروعًـا ضخما لتجميل هذه البقعـة التي اتخذها عـاصمة، وقسمها إلى أربعـة أقسام: الحي الملكي بقصره وبيوت حريمه، والحي الديني بالهيكل وما يتبعه من البيوت للكهنـة والمخـازن للمؤن، والمكـاتب للتـوثيق والتسجيل، والحي العسكـري بثكنـات الحرس وإصطبلات الخيل ومنـازل القواد، ثـم حي العامـة بمساكنـه ومتاجره وطرقاته وأزقته. كانت هذه هي أورشليم.

وكانت في عيون معاصري دواد وسليمان الذين لـم يشهدوا شيئًا يشبهها رمز مجد سياسيّ وعسكريّ لـم يكـونوا يحلمون بـه! وبعـد خمسة قـرون تـم تخريبها وإحراقهـا بالنـار وإخلاؤهـا من سكانها بأمـر بختنصّـر الكلـداني كما ذكرنـا. وبعد هـذا التاريخ استمـر انهيار أولئك النـاس، إذ عـاد بعضهم إلى فلسطين وكـان ذلك تحت حمايـة الفُـرس، ثم اليونـان ثـم الـرومـان، حتى قـرر هـؤلاء

إخراجهم نهائيًا من فلسطين سنة ٧٠ ميلادية . ثم تعاقب الأباطرة لإكمال المهمة ، فشرّدوا أكثر السكان اليهود إلى العراق ومصر وسوريا ودولة الروم البيزنطية وحتى إيران والهند وشبه الجزيرة العربية وحوض البحر الأبيض المتوسط . ومات الكيان اليهودي سياسيا واجتماعيا ، وإن كان الموت يغسل كل شيء ولا ينظّف شيئا ، كما يقول المثل الأوربي . إذ بقي هذا الشتات اليهودي على مدى ألفي عام يحلم ببطولاته التاريخية القديمة كما قرأها في كتبه التي ألّفها له شيوخه بعد الكارثة بقرون ، ونسبوها إلى الله سبحانه وتعالى ، وشرحوها فأضافوا في الشروح روايات وأساطير أخرى . واليهود بحكم القلّة والذِلّة عاطفيون جدا ، وخياليون إلى أبعد مدى ، وقساة متجبّرون إذا قدروا ، وكأنهم يعوّضون عن الضعف والخوف الذي عاشت فيه أجيالهم ، بالعنف والعسف بلا تعقّل ولا تمييز ، ويبكون على المجد الضائع ، حتى وهم في

○ الحِدَاد والسواد عند الملتزمين من اليهود أقرب إلى الجَنَّة وأفضل من البهجة والسرور .

القدس ، ويقتلون المسلمين في فلسطين ، مع أن آخر من رمم أسوار المدينة وطهّر حائط المبكي من القمامة والقاذورات كان السلطان العثماني سليمان الذي اشتهر بلقب (القانوني) وكذلك (الأفخم) الذي حكم من عام ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦م .

ظهور اللاسامية

ربما أمكن أن نحدد ظهور (اللاسامية) في العالم المتحضر على أنها كراهية وعداوة من جانب أمم العالم المتحضر ضد اليهود بسيادة المسيحية في أوربا والإسلام في الشرق ، وبقاء التجمعات اليهودية هامشية على الجانبين ، تحاول الاستفادة من الصدام بين الكتلتين . يبدو ذلك في أوربا أثناء الحروب الصليبية ، إذ كان اليهود في مستوطناتهم المتناثرة على طريق الصليبيين السائرين شرقًا لقتال المسلمين ، يبيعون لأولئك الجنود الماء والغذاء بأغلى الأثمان ، ويجعلون من تجمعاتهم السكانية بؤرًا للعربدة والفساد والسلب والنهب ، بحيث أصبح (الجيتو) ــ أي حارة اليهود ـ مكانا سيّئ السمعة بين المسيحيين ، ومصدرا للبدع والخرافات والمعتقدات الفاسدة . واشترك رجال الدين من النصارى في تشجيع هذه العداوة والكراهية . فإن ظهر وباء في بلد ، أو فيضان مدمّر ، أو حريق ، أو فتنة اعتقادية ، أو مجاعة ، راح القساوسة والرهبان يخطبون ضد أولئك الجيران المزعجين القذرين المنحرفين قتلة المسيح ، وكان اليهود إذ ذاك يبيحون الطلاق وتعدد الزوجات دون تحديد لعدد ، في حين كان الطلاق وتعدد الزوجات ــ وإلى الآن ـ يعتبران كفرًا وارتدادا عن دين المسيح ، فكثرت المذابح في اليهود ، حتى اضطر الحاخام جيرشوم إلى دعوة مجمع من علماء اليهود للإفتاء بتحريم تعدد الزوجات واعتباره ارتدادا عن الدين اليهودي ، كما جعل الطلاق مقيدا بقيود مشدّدة أولها أن يصدر بحكم محكمة يهودية ، وببينات قوية ، وكان ذلك في القرن السادس عشر ، وجعله جيرشوم من الفتاوى النافذة على اليهود حيثما كانوا من العالم . وفي القرنين الماضيين ـ الثامن عشر والتاسع عشر ـ تفاقم أمر «اللاسامية» في أوربا وانتقل منها إلى أمريكا ، بعد أن تفشى في روسيا لدرجة أن حملات أنصار «اللاسامية» ضد اليهود تحمل اسما روسيا في جميع أنحاء العالم إلى الآن هو كلمة «بوجروم» أي حملة النكال والقتل والتخريب المنظمة ضد المجتمعات اليهودية .

لكن لماذا «اللاسامية» ؟ فنحن نعلم أن أحد أبناء نوح الذين كانوا معه في الفلك في زمن الطوفان اسمه «سام» حسب رواية التوراة في سفر التكوين ، الذي يتعبد به النصارى أيضا . وسام هذا هو الجد الأعلى للآراميين والفينيقيين والعبريين (اليهود) والعرب أيضا . ولكنّ الأوربيين لم يكن يساكنهم في الغرب إلاّ اليهود . فهم الساميّون الوحيدون هناك . وأول استعمال لهذه التسمية كان استعمالا لغويًا بريئًا . ففي القرن الثامن عشر ظهر نشاط جديد في الدراسات اللغوية أساسه مقارنة اللغات . وقدّم اللغوي الألماني شلوتزر بحثًا في الموضوع عام ١٧٨١م سمّى فيه مجموعة اللغات التي أشرنا الآن إلى أسماء بعضها (اللغات الساميّة) . ولم يكن قصد الرجل عنصريًا ، بل أطلق هذا الاصطلاح اختصارا واستسهالاً .

وأخذه أعداء اليهود فصاغوا منه كلمة (اللاسامية) ، بمعنى عداوة الجنس اليهودي ، واتهامه بالولاء المزدوج ظاهرا ، والولاء التام القح لليهود في جميع أنحاء العالم مع التمتع بجنسية البلد الذي يعيشون فيه ، وكما ذكر الباحث اليهودي الفرنسي برنار لازار في كتاب له من جزأين بعنوان اللاسامية ، أن هذه العقيدة السياسية والاجتماعية الخطيرة لم تنشأ من فراغ ، وإنما أوجدتها ظروف سياسية واجتماعية وحربية في الأمم الغربية ، كما ساعد على نجاحها وانتشارها تصرّف مشبوه ، وتعصب بغيض ، من جانب اليهود أنفسهم . ولأن الرجل كان يهوديًا ، فقد حاربه اليهود ـ وكان أديبًا وصحفيًا ناجحًا ـ ففقد عمله وفقد الكثير من سمعته أيضا ، واليهود في ذلك لا يرحمون ، ولو عظم خطره أكثر من ذلك لقتلوه !

وفي ألمانيا تزعّم اللاسامية «شتوكر» الذي دعا جهارًا إلى تخليص الحضارة الأوربية من هذه العشائر الساميّة المخرّبة للقومية والحضارة . وتزعّم

اللاسامية.. واللاإسلامية

حركـة الـلاسامية في فرنسا إدوار دريمـون (١٨٤٤ ـ ١٩١٧م)، ونـلاحظ أنه عاصر تصـاعد العنصريـة اليهوديـة، وإنشـاء طـوائف «أحباء صهيـون» ثـم «الصهيونية العالمية» بزعامة تيـودور هرتسل، ومات في العام نفسه الذي صدر فيه وعد بلفور، ونشر كتابا بعنوان «فرنسا اليهودية» وأنشأ صحيفـة يومية اسمها «الكـلام الحـرّ» لكشف مؤامـرات العنصريـة اليهـوديـة في الحرب والسيـاسـة والاقتصاد. وكـان من معاصريه شارل مـوراس الفرنسي الذي كان يتهم اليهود دائمًا بالخيانـة والتآمـر والتلاعب باقتصـاد البلاد التي تؤويهـم، ثم اشتهر من معاصرينا أديب وروائي فرنسي ذائع الصيت هو لويس فردينان سيلين (١٨٩٤ ـ ١٩٦١م) فرأى بوضوح التآمـر الصهيوني على العرب قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وأعلن أنـه لا يعـارض في استقرار اليهود في فلسطين بشرط أن يهاجروا إليها جميعـا، فلا يبقى منهم واحـد في أي بلد من العـالم، وتتحول فلسطين إلى (معتقل عـالمي) لكل اليهود، كـالمعتقلات التي كـان هتلـر يـزجّ بهم فيها، أو كمـا يقول سيلين تصبح فلسطين هي (جيتـو) يهود الكرة الأرضية كلهـا! وكان يشاركـه في نظرتـه، وينصح اليهود بعـدم الهجرة إلى فلسطين، الفنان اليهودي العـالمي شـارلي شـابلن الـذي عـاش حياتـه كلهـا لا يتبـرّع بشيء لمسـاعـدة الصهيـونيـة على إقـامـة (الـوطن القـومي لليهـود) تجنبًا للمشاركـة في هـذه (الجريمة)!

إهمـال من الباحثين العرب

ولا أريد أن أسترسل في حديث اللاسامية بأكثر من هذا، واكتفي بملاحظة أن هذا البحث لـم يستوفِ حقـه من التنقيب التـاريخي والسياسي والاجتماعي من المؤلفين العرب، وهو إهمـال غريب في قضية حيوية، استطاع اليهود بأبواق دعايتهم في العالم أن يقنعوا العوامّ ـ وهـم الأغلبيـة الساحقة في جميع أمم الأرض ـ بأننا مـن أخطر أنصار الـلاساميـة، بـل أوهموا النـاس بأن الإسلام هـو المسؤول الأول عن هذه اللاسامية المزعومـة!

التشويه اليهودي للإسلام

ولكن لماذا نجح التشـويـه اليهـودي لصـورة الإسـلام في نفـوس من لا يعرفـونـه؟ ربما لقول الشاعر:

إنمّـــا تنجح المقـــالــة في المرء إذا صـــادفَـتْ هَــوًى في الفـــؤاد

وفي فؤاد الغـرب ذكريات غير سعيـدة عن الإسلام، فهو في نظرهـم الدين «المنافـس» للنصرانية واليهـودية، وبهذه النظـرة التجاريـة المادية؛ ولأنـه أيضا أحدث هذه الأديان، وأنشطها مسايرة للحضـارة؛ نظر إليه الغرب بريبة كانت كثيرًا مـا تصل إلى حـد الفزع. إذ اصطـدم الإسـلام منذ ظهـوره بأعظم قـوتين متحكمتين في الشرق الأوسط والغـرب، وهمـا الفرس والـروم. وكانـت رسالتـه رسالة تحرير للشعوب المستعبدة، كما كانت مُثُلـه العليا هي العدالـة والمساواة، فانتشر الإسلام في العالم بمنتهى السهولـة، وبسرعـة مدهشة، كان لا بـد من أن يترك على طريقه حاقـدين وموتورين، كان اليهود ـ بعـد كفّـار العرب ـ أول من تصدى لـه في حياة رسـول الإسلام عليه الصلاة والسـلام. وكان لـلإسلام من المرونــة والوضـوح وعمق التغلغل في النفـوس ما مكنـه من الاستفـادة من جميع الحضارات التي عاصرهـا، تقنية كانت أم فكرية، دون أن يذوب في تيارهـا، أو يفقـد طـابعه وشخصيتـه، بل أبـدع لـه حضارة شاملـة امتـاز بها من أقصى شواطئ المحيط الإطلنطي إلى أبعد جـزائر المحيط الهادي، بحيث أينـع وازدهـر في قارات العـالم المعروف وقت ظهـوره: آسيا وأفريقيـة وأوربـا، ومـا زال بعد خمسة عشر قرنًا، راسخًا لـم يفقد هيبتـه ولا أهميتـه، على حين أن دينًا (علمانيا) هـو الماركسيـة لـم يستطع أن يعمّـر قـرنًـا واحدًا من الزمـان، وفي هـذه المدة القصيرة، وعلى الرغـم من ادعـائـه تحريـر النـاس ومنع الابتزاز والاستغـلال، فإنـه لـم يشيّـد حضارة بل هدم حضارات، ولـم يؤمّـن الناس بل أثـار الفتـن والقلاقـل والانقلابـات والحروب الطاحنـة، وأخيرًا انهار و خلف عالمـه خـرابًا وأنقاضًا.

لـم يستطع أعداء الإسلام أن ينالـوا منه. طرده الإسبان من الأندلس، فإذا بـه يدخـل أوربـا من الشرق، ويظفر بأبعاد شاسعـة جدا. وقبل ذلك حاولت أوربـا المسيحية أن تغـزوه في عقر داره، فاجتاحته القوات الصليبيـة برًا وبحرًا، واستمرت الحروب أكثر من مائتي سنـة، ثـم ارتـدّ الصليبيـون عن الشرق كلـه خـائبين منهـزمين. كـانـوا يحملـون الصليب للدعايـة والإثـارة! واكتفى المسلمـون بتسميتهـم «الإفـرنـج» أي أولئك المهاجين الأوربيين الزاحفين ضد المصالح القومية والروحية للمسلمين المقيمين في بلادهـم وأوطانهم، وحتى التتار عنـدمـــا زحفـوا من الصين، مكتسحين كـــل شيء في طـــريقهم بقيـادة «جنكيزخـان» ثم حفيده «هـولاكـو» الـذي اجتاح بغداد وأمعن في بلاد الإسلام تدميرًا وتخريبًا، لـم يكد يمضي جيل واحد أو اثنـان حتى كان التتار قد اعتنقوا الإسلام، وأدخلوا إليه لمسات حضاريـة من عندهـم، في الصناعات والعمـارة والزخرفـة والأسلحـة وفنون الحرب.

ولكن منذ القـرن الثامن عشر بـدأت الـهـوّة بين حضـارة الإسلام في الشرق والحضارة الغربية تعمق وتتسع. تقلص سلطان الكنيسـة كثيرًا في الغرب بظهور المذهب البروتستنتي المنشق، ثـم تفتَّت المذهبين الكاثـوليكي والبروتستنتي إلى فرق كثيرة متنازعـة لا تكاد تحصى في زمننا الحاضر. وتنبهت القوميات المختلفـة

وتنافست في العلوم والصناعات، على حين بقي الشرق نائمًا بعد قرون من الحروب الصليبية ثم حروب المماليك ثم حروب الدولة العثمانية. كان كل هذا الصراع قد أنهكه، وكان حكامه لا يتحمسون كثيرًا لمسايرة الزمن، هم ومهراجات الهند ورؤساء القبائل المسلمة في أفريقية، فتخلف المسلمون في الحضارة المادية التي كان الغرب قد قطع فيها أشواطًا بعيدة انتهت بصراع الأوربيين على امتلاك مصادر المواد الأولية الضرورية للصناعة، وهي مصادر غنية جدًا في آسيا وأفريقية. وهكذا دخلت دول إسلامية عريقة تحت نير الاستعمار. وكان الإسلام هو النواة المستحيلة الكسر تحت مطارق الاستعمار، فاكتفى بأن يحاصرها ويبقيها في حالة خمول وخمود. من هنا نَفَذَت الصهيونية وقامت بوساطة لصالح الدول الغربية المستعمرة في الأقطار الشرقية التي كان أكثرها من ديار الإسلام.

○ اللاسامية أوجدتها ظروف اجتماعية وسياسية وساعد على انتشارها تعصُّب اليهود وتصرُّفهم المشبوه

وفي القرن التاسع عشر بدأ الضيق والإرهاق يدبان في أوصال الإمبراطورية العثمانية، وانبرت دول الغرب تجردها من مستعمراتها، فحدثت حرب تحرير اليونان ورومانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا ومقدونيا وألبانيا، وترك الغرب القيصرية الروسية تحتل الممالك الإسلامية في جنوب روسيا، ثم هوى الاستعمار على الشرق الأوسط كله، وقام المستعمرون بتشجيع الاستشراق، ليكون المستشار الاستعماري لهذه الدول، وكان عدد كبير من أولئك المستشرقين من اليهود المتعاونين مع الصهيونية، مما شوّه صورة المستشرق في أعين المسلمين إلى الآن، حتى بعد انقراض هذه الطائفة، وتحرر كثير من المستعمرات الإسلامية.

اللاإسلامية بدلا من اللاسامية

ومع ذلك استمرت حركة تآمر الغرب على الإسلام، لاسيا بعد أن سبقه الزمن بمراحل، ولا سيا بعد قيام الصهيونية الاستيطانية باستعمار فلسطين بأموال الغرب وأسلحته وتقنياته. وهكذا نواجه الآن حملة عدائية تحل محل اللاسامية هي (اللاإسلامية)، يقف وراءها خوف قديم من المقوّمات الكامنة في صلب الحضارة الإسلامية، وحقد على ما كان من انتصارات الأسلاف - رحمهم الله - على المعتدين على حوزة الإسلام.

ففي بلغاريا - مثلا - عدد كبير من المسلمين البلغار كانت الحكومة تلزمهم لتسجيل أبنائهم في السجل المدني للمواطنين بإعطائهم أسماء غير إسلامية، وكانت الشيوعية في ألبانيا تضطهد المسلمين الذين يغشون المساجد للعبادة، وتمنع الجهر بالأذان. وكان المسلمون في الصين موضع عسف وظلم من الماركسية الصينية، ومسلمو الفليبين (المورو) تحاربهم الدولة وتعتبرهم من الإرهابيين الخارجين على القانون، والهند ما تزال تمارس المذابح في الهنود المسلمين، ومثل ذلك في جنوب أفريقية، ومسلمو الولايات المتحدة ما يزالون يعدّون دخلاء، وأشنع من كل هذا ما يجري من قتل وتعذيب وتدمير وإبادة للمسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفو، فمعسكرات التعذيب والموت التي يملؤها الصرب والكروات بالمسلمين تهز الرأي العام العالمي هزًا عنيفًا. رأيت شريطًا إخباريًا طويلاً عن هذه المعسكرات في التليفزيون الفرنسي أخيرًا، وعلّق على هذه المناظر البشعة المفكر اليهودي - الصهيوني - إيلي فيزل (جائزة نوبل للسلام) فقال: إنه يعرف هذا الأسلوب من الإجرام السياسي؛ لأنه عاش في معسكرات الموت النازية الهتلرية، وإنّ تكرّر هذه المناظر في أوربا وبين مجموعات بشرية كلها صغيرة وضعيفة يعتبر نذير شؤم للإنسانية كلها، وربما لا يطول الزمن حتى نرى نازية عنصرية أخرى تجتاح الحضارة الغربية. فردت سيدة من نزلاء معسكرات الموت الهتلرية، وليست يهودية بل كانت مشتركة في مقاومة الاحتلال الألماني لفرنسا، وعمّها الجنرال ديغول نفسه، فقالت: إن النازية الجديدة قد بدأت فعلا! فالشبيبة الهتلرية الجديدة تقتل المسلمين الأتراك العاملين في ألمانيا، والشبيبة الرجعية الاستعمارية اليمينية المتطرفة قد بدأت تقتل العمال المغاربة، وهكذا، وكدت أنهار جزعًا وأنا أقرأ هذا الخبر في جريدة «فرانس سوار» - فرنسا المسائية، ص ١٠ بتاريخ الأربعاء ٨ سبتمبر ١٩٩٣م: امرأة تتزعم الصرب في منطقة البوسنة اسمها «بيليانا بلافسيتش» تقول لصحيفة يومية صربية في بلغراد: إنهم يقولون إن (التنظيف العنصري) جريمة حرب؟ يا للمبالغة! إنها ظاهرة طبيعية! قالت هذا لتبرير الضغط على الجماهير المسلمة حتى ترحل. هذه «المرأة الحديدية» قد اشتهرت بأنها تعبّر دائما عن مشاعرها دون مواربة، وتكرر بأعلى صوتها أنها لا تبغي أي خير للمسلمين!

وأخيرًا، هل أبغي أنا أن يتوب الله على الصهيونية، فتقلع عن وحشيتها وجشعها وغرورها، وتقبل السلام العادل الكريم الذي يحفظ كرامتها وكرامتنا أيضا؟ من يدري، فربما أصلح الله القلوب فوقفنا صفًا واحدًا في وجه اللاسامية واللاإسلامية، أما إن كان في الأمر تآمر أو خيانة، فربما زوجنا المخطئ من الصربية بيليانا!

القيم الإنسانية واختلاف الثقافات

بقلم: محمد العربي الخطّابي

الثقافة نشاطٌ فكريّ وخلقيّ دافقٌ، ينطلق من أعمقِ المشاعر الإنسانية وأكثرِها غموضًا وخفاءً، وهذا النشاطُ يواكب حركة الزمن، ويستمدّ منها قدرته على الانسيابِ والتدفُّق.

والنشاطُ الثقافي ليس مجردَ جهدٍ لاستيعاب المعارف وإعادة إنتاجها وَفْقَ نمطٍ ثابت، بل هو سلوكٌ قِوامه الإبداعُ والتجديد، وغايته تحسين الوضع الإنساني ومحاولة التغلّب على كآبته وإصلاح خَلَلِه بقدر الإمكان.

وإذا كان الناس مختلفين في تعريف الثقافة ورسْمِ حدودها بسبب ما تتسمُ به من طابع التعدد والتنوُّع والاختلاف، فإنّ المهتمين بشؤون الفكر والمعرفة لا يجدون صعوبة في الإقرار بقيمة العمل الثقافي وأهميته في صقلِ الملَكَاتِ وتهذيب المواهبِ وتَخصيبِ الخيال، وتقوية الإحساس بسمو الفضائل المُتَمثِّلةِ في الحقِّ والخيرِ والعدل والحرية والجمال، دون أن يَذهب بهم التفاؤل مذهبًا بعيدًا، يجعلهم يعتقدون أن الثقافة في وُسعها أن تحدث تغييرًا جوهريًا وحاسمًا في طبيعة الأشياء، وذلك لأن الإنسانَ هو منشِىءُ الثقافة وراعيها، وهو أيضًا مَطيتها ووِعاؤها وحقلُ تجاربها، والإنسانُ - كما نعلم - مفطورٌ على الخيرِ والشرّ، نزّاعٌ إلى مطاوعة غرائزه، فرديٌّ بطبعه، اجتماعيٌّ بالضرورة وحكمِ العقل، كثيرُ الظنِّ والشكّ، وهو مع ذلك حريص على معرفة ما يجهل، عاجز عن التحكم المطلق في مصيره العاجل والآجل، يَرى الجمالَ بعين القُبح إن شاء، والقبحَ بعين الجمال إن أراد، ويَنظر إلى القيم المعنوية نظرة ذاتية نفعية لا يكاد يتخلص منها إلاّ إذا أدرك مرتبة الحكمة، وهي مرتبةٌ لا يرقى إليها إلا آحادُ الناسِ في أزمنةٍ متباعدة وأمكنةٍ متفرقة.

أركان الثقافة

لكل عمل إنساني أركانٌ يقوم عليها بنيانُه، وأركانُ الثقافة أربعة: العقيدةُ، واللغة، والتاريخُ، والعُمران. فمتى توافر ذلك احتاج الأمر إلى عناصر فاعلةٍ وقُوى دافعةٍ لا يستقيم بدونها نشاطٌ ثقافيّ، وهذه العناصر والقُوى هي العقل، والمخيِّلَة، والذاكرة، والحواسّ، وربما انضاف إليها الحَدْسُ الصادق.

العقيدة

كل ما ينعقد عليه القلب ويطمئن إليه الوجدان من مبادئَ فهو عقيدة؛ فالإنسانُ حينما يَتَيَقَّن من أنه قادرٌ على أن يقولَ لنفسه ولغيره بثقة واطمئنان: «أنا أعتقد كذا وأُجْزِم بكذا» فتلك هي العقيدة، وقد يصح أن نرسمها بأنها اقتناع جازمٌ مطلق، ملازمٌ لصاحبه، راسخٌ في أعماق نفسه، متغلغل في فكره ومشاعره، بادي التأثير في سلوكه وأفعاله وأقواله، ولذلك

كان من آفـاتِ العقيدة الشـك والحيرة، والتوهُّـم والنسيان، وهي آفـات تحدث آثارها السلبيـة في النفس، وربما خلخلت المشاعر وشوّشت الذهـن.

وأمُّ العقـائد هي العقيـدة الـدينيـة التي تستحـوذ على ضمائر المجتمعـات الإنسانية منـذ أقدم العصور، وعليها تنبني سائرُ المعتقـدات الأخرى، فلسفيـةً كانت أو سياسيةً أو اجتماعية.

والعقيدة الدينية تمتاز ببعدهـا الكوني المتمثِّل في شمولية التطلّـع البشري إلى معرفـةِ حقيقة الوجـود والقوةِ المدَبِّـرة لشؤونـه والمتصرفـة في مصير الموجودات، وما يتصل بذلك من أسرار الحياة والموت، والجوهـر والعَرَض، والروح والمـادة، وعلاقـة الكائنـات بعضها ببعض، ومـا يعتري الكلَّ من كون وفسـاد، وثباتٍ وتحوُّل، ونشوءٍ وتطـوّر، وغير ذلك من المسائل التـي ما انفكت تستأثـر باهتمام الجماعات الإنسانية وتـؤثر في توجُّهاتها الفكرية ومنـازعها الشعورية، وتنعكس على ما تصطنعه من أساطير وشعر وغناء وموسيقا وتصوير ونحت، وما تنتهجه من مناهج في الفلسفـة والأخلاق والتشريع، وما شابه ذلك.

والعقيدةُ، بإطـلاق، هي أقوى العـوامل الفاعلـة في إحـداث ما تتميـز به الثقافـة من مظـاهر التنوُّع والتعـدُّد والاختلاف، بل هـي علّـةُ الصّـراع الأبدي الـذي تتقابل فيـه المشـاربُ الفكريـة المختلفـة وتنبجس بفعلـه ينابيعُ الإبـداعِ الإنساني.

والعقيـدة لا تنشأ من فـراغ، بل إنها تنطلـق من مبـادئَ تترسّخ في وجـدان الأفراد والجماعـات بتأثير المحيط الطبيعيّ، وواقع التاريخ، وتعـاقُب الموروثات الروحية والحضـارية والثقافية التي يتناقلها الخَلَفُ عن السَّلَفِ مع مـا يُصاحبها من تغيُّــراتٍ تقتضيها سُنَنُ الحيـاة، وتفـرضها الحاجـةُ إلى مـراجعة الأفكـار وتهذيب مظاهـر السلوك، وضرورة الحفاظ على تـوازن المجتمع وتماسك العُمران وتحرُّك دواليب الحضـارة.

ولا بـدّ في هذا المقـام من التفريق بين العقيـدة والاقتناع، فـالعقيدة مبـدأ راسخ في النفس، متغلغلٌ في الوجدان، قابلٌ للمشاركـة الواسعة، يشمل الفردَ والجماعةَ من الناس ويسهـم في توجيه سلـوكهم العام. أمـا الاقتناعُ فهو موقفٌ فرديٌّ في جوهـره، خاضعٌ لنظرٍ عقلي تطبعه الظَّـرفية، ويحتمل المراجعة والتغيير من غير أن يحدِث للإنسانِ اختلالاً في توازنـه الذهني والعاطفي.

هذا وعلاقة الثقافـة بالعقائد الدينية علاقة عضوية مغرقـةٌ في القِدم بحيث يصعب قطعها ويمتنع محو آثارهـا. فقد ينكر المُلحِد ـ مثلا ـ عقيدتَـه الأصلية التي نشأ عليها في محيطه الاجتماعي، وتشرَّبَـتْـهَا نفسه واستوعبها وجـدانه منذ صغـره، إلاّ أن جوهـر هذه العقيـدة يبقى راسخًـا في أعماقـه، مستقـرًّا في ثنايـا شعـوره الباطن، يَطبع ثقافته، ويشترك في توجيههـا مع مؤثراتٍ مادية ومعنوية أخرى هي أقل شأنًـا من العقيدة الدينية التي لا تـمحـي ولا تنطمس معالمُها إلا بتقادم الأزمـانِ، وانقطاع الأرحـام، وانفصال الأفراد عن محيطهم الاجتماعي والثقافي الأول. وهكـذا فنحن نرى أن الأوربيين ـ وهم شعوبٌ وقبـائل ولغاتٌ مختلفة ـ ما يـزالون ينعتون ثقافتَهم بأنها ثقافةٌ مسيحيـة في الأساس، بالرغـم من انتشار العَلْمانية (الـلايكية) وتياراتِ الأفكـار الإلحادية والنـزعاتِ المادية بينهم، وبالرغــم كذلك من اعتدادهــم بالثقافـة الكـلاسيكية (اليونانيـة واللاتينيـة) واعتمادهـم على أصـولها في بناءِ ثقافـاتهم القومية المتعدّدةِ التي يجمعها مع ذلك شعورٌ غـامضٌ دفينٌ بالانتساب العـام إلى السلالـة الثقافية النصرانيـة؛ ويظهر ذلك عندهـم بصورةٍ جلية كلما تعلق الأمر بـاتخاذ موقف تجاه الثقافـات العالمية الأخرى كالثقافة الإسلامية والثقافة البوذية والثقافة الهندوسية، وهو موقف سلبيٌّ ومتحفِّظ في غالب الأحيان يُصـاحبه نكران متعمّد لتأثير هـذه الثقافـات في فكر أوربـا وتقدم العلوم والمعارف فيها.

اللغــة

اللغـة هي سبيل الإنسان إلى الإعـراب عن نفسـه والتواصل مع غيره بقصـد الإفهام والفهم، والتبليغ والتلقي بـواسطة الأصوات المنطـوقة والألفاظ المكتـوبة والإشـارات المُعبِّـرة وغير ذلك من الـرمـوز والعلامـات التي يصطنعها الإنسـان للغايات المذكورة.

ولما كان من شأن البشر أن يحتاج بعضهم إلى بعض بحكم طبيعة العمران، وضرورة التعاون، فقـد كان لا بد لهم من لغـة مشتركة يتخاطبون بها ويعـربون

○ الوسائل القسريّة لا تفيد في إبادة ثقافة متمكنة وفرض أخرى وافـدة

بواسطتها عن أغراضهم. وفضـلاً عن ذلك فإن أناسًا من ذوي المواهبِ الخاصة يجدون أن لغة التخاطب العادية لا تـؤدّي سوى وظيفة اجتماعية محدودة ولا تفي بتصوير الأحـاسيس الخفية والأفكار الرفيعة والتطلعـات الجمالية التي تنبثـق في النفوس وتصبو إلى تحقيق قدر من التوافق والانسجام والمشاركة الوجدانية في كلّ مجتمع إنسـاني؛ وللوصـول إلى هـذه الغـاية ابتـدع الإنسـان الشِّعر والأسطـورة والرواية والغناء والموسيقـا وغير ذلك من أسـاليب التعبير التي تبتعد بالناس عن مألوف المعاش وتسهم في صقل ملكاتهم وتسمـو بأحاسيسهم، وتصوغ مُـثُلَهم العليا في الحياة. فهذه هي علاقة اللغـة بالثقافـة.

التـاريـخ

ليس التـاريخ مجرد تدوين ووصف واستحضـار لوقـائع الماضي التي يشترك في صنعها الإنسان وظواهر الطبيعة وتواتـر السُّنن الكونية الظاهرة والخفية، بل هـو ـ فضـلا عن ذلك ـ محاولـة فكريـة لاستجلاء الظـواهر والأسبـاب والعلل

القِيَمُ الإنسانية واختلافُ الثقافات

الكامنة وراء تلك الوقائع لتفسيرها أو لاستخلاص العبرة منها، ولذلك نستطيع أن نقرّر أن أروع ما في التاريخ هو ما يتيحه للأجيال المتعاقبة من رؤية وقائع الماضي بعين الحاضر، وتفسيرها تبعًا لهذه الرؤية الذاتية والمتَحَيِّزة التي تُضفي، مع ذلك على التاريخ حيويةً وبريقًا، وتجعل منه أداةً من أدوات الإبداع الثقافي الذي يتجدَّد مع تعاقُب الأزمان وتلاقي الحضارات وتكاثر العمران وتنوع المعارف والقيم الخلقية وتصارع تيارات الأفكار وغير ذلك من العوامل التي تدفع بعجلة التاريخ إلى الأمام، وتجعل منه مادةً ثقافية حيةً، يسهم في تشكيلها العقل والخيال والوجدان، ولذلك كان لكلّ حقل من حقول المعرفة تاريخٌ خاصٌ به، متميزٌ بمناهجه وطُرقه في الاستقراء والتحليل ومقابلةِ الوقائع بنظائرها واستخلاص النتائج من المقدّمات على اختلافٍ في ذلك بين الدارسين من مؤرخي الآداب والفنون والعلوم، والمهتمين بشؤون الحضارات وتجارِبِ الأُمم للكشف عن مدى إسهام الأسلاف في صنع الوقائع وتعليلها ومعاناة آثارها ومواجهتها بالتحدّي والمقاومة، أو بالرضا والاستسلام.

إن التاريخ هو أكثر عناصر المعرفة إثارةً لخيال الإنسان، ولذلك فهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالآداب والفنون وفلسفة الأخلاق؛ وأجملُ ما فيه نسيجُه الأُسطوري الذي يدغدغ الخيال، ويهُزّ المشاعرَ، وينشّط الروحَ، ويخفف من الملل الذي يسببه السرد الجاف للوقائع، والتعسُّف في تأويلها وتفسيرها وَفْقَ منهجٍ «علميّ» في نظر من يتصدَّون لذلك.

العمران

أصلُ العمران نزوعُ الإنسان بفطرته إلى الانتظام في جماعة يفترض في أعضائها قدرٌ معقولٌ من التجانس والتوافق والانسجام، لبناء حضارات وأنظمة يستقيم بها معاشُ الناس وتحدِّد روابطهم وعلاقات بعضهم ببعض وفق أنماط اجتماعية ومعايير خلقية، يقررها الأقوياء في الغالب ويقبلها من هم دونهم في القوة والذكاء والمكيدة.

وحيثما توجد الحضارة بأنماطها المختلفة تتهيأ الأجواء لازدهار العمران وتقدم المعارف وتنوع الاهتمامات الفكرية واتّساع آفاقها، وبذلك تزداد العلاقات الإنسانية تعقيدًا وإيغالاً في الاختلاف وتنازع الآراء والمعتقدات ومشارب الأفكار؛ وكل ذلك ينعكس على الأعمال الثقافية، ويحدث حواليها قضايا أخلاقية ومعضلاتٍ فكرية يزداد معها الصراع احتدامًا، والاختلاف اتساعًا. فهذا هو قدرُ الإنسان.

حِوار الثقافات وَهْمٌ

الحوار في حقيقته أخذٌ وردّ، وقبولٌ ورفْض، وسبيله التسامح، وشرطه تحكيم العقل وحسن الإصغاء إلى الرأي المخالف بغرض الإبانة عن الصواب والوصول إلى الحقيقة التي لا يمكن أن تكونَ إلاّ نسبية.

ولَـمَّا كان لكل أمة عقيدة تعتدُّ بها، ولغةٌ تعرب بها عن نفسها، وتاريخ يحفظ ذاكرتها، ونظام عمراني يميزها من غيرها، فإن الكلامَ عن حوار إيجابي ومتكافئ بين الثقافات إنما هو وهْمٌ لا تقوم به حقيقة.

نعم، إن من شأن الثقافات أن تتلاقى على مسرح التاريخ بصورة أو بأخرى فيحدثُ بينها في العادة صراع تتصدره الرغبة في المداهمة والغَلَبَة والقهر لفرض ثقافة وتنحية أخرى. إلا أن الوسائل القسرية لا تفيد كثيرًا في إبادة ثقافة متمكنة وفرض أخرى وافدة، إلاّ إذا شملت الإبادة الرجالَ والآثار والمعالم الدالةَ على التمَيُّز والخصوصية، وفي هذه الحالة لا يبقى هنالك مجال للصراع إذ يسود حكم الغاب.

إنّ نزوعَ الناس إلى الاختلاف طبيعة جُبلوا عليها، والأمَمُ لا تكتمل عناصر شخصيتها ومقومات هويتها ما لم يكن لها حضورٌ ثقافي متميزٌ تطبعه العقيدة واللغة والتاريخ المشترك ووحدة العمران، علمًا بأن العقيدةَ هي أقوى هذه العناصر وأوكدها في تميُّز المجتمعات الإنسانية وتفاضلها.

والاختلاف ليس مجردَ حقٍّ غامضٍ يجري الناس وراءه بدافع العناد والرغبة في التظاهر، بل هو الميزة الطبيعية لوجود الخلق بما هم عليه في واقع الأمر من تباين الألسنة والألوان والأجناس والأمزجة وتغاير البقاع والأمكنة التي يتَّخذون منها موطنًا ومرتعًا وملاذًا.

صمودُ الثقافات

التاريخ مليءٌ بأخبار الأُمَمِ الماضية التي استماتت في سبيل الحفاظ على هويتها الثقافية، وصمدت بعنادٍ في وجه تيارات خارجية مُغيرة لم تستطع أن تنال من تلك الأمم إلا بمقدار ما توجبه سُنَنُ التطور، وتقتضيه حتمية التبادل الفكري الإنساني القائِم غالبًا على الأخذ والإعطاء وانتقاء الأصلح والأنفع، وما إلى ذلك من الضرورات الناشئة عن الروابط الطبيعية الموجودة بين أعضاء الأسرة البشرية على اختلاف أجناسها ولغاتها ومقوِّماتِ مجتمعاتها الحيوية. وتلك كلُّها مزايا وجِبلاّتٌ خَصَّ الله بها النوع الإنساني.

إن الأفكار والتجارب تنتقل من مكانٍ إلى آخر، وبانتقالها وجولانها يحدث بين الجماعات البشرية المتقابلة تجاوب وتوافق، أو تنافرٌ وتباعد، وعلى أساسِ هذا يكون القبولُ أو الرفض. وآية ذلك في عصرنا هذا ما نشاهده أو نسمع عنه من محاولاتٍ صادقةٍ أو كاذبة لمدِّ أسباب التقارب الثقافي بين الأمم والشعوب من طريق الغزْو والتسلّل، أو بواسطة منظمات أممية وأجهزة إعلامية ووسائل تكنولوجية المراد منها ـ في الظاهر ـ تعبيد سبل التواصل الفكري بين الأمم في زمان تداخلت فيه أنظمة العمران، واختلطت مفاهيم الحضارة، وتداعت كثير من القيم الفكرية والمبادىء الخلقية التقليدية كالعدل والحرية والمساواة والفضيلة والحقِّ والخير، وحامت الشكوك حول مصير الإنسان، وتزعزعت الثقة في حقيقة موقفه من تقدُّم العلوم وتعقيدات الحضارة المادية، وغير ذلك من العوامل السلبية التي تنعكس على الثقافات الإنسانية، وتضع الأمم وأفراد الناس أمام اختياراتٍ صعبةٍ في ميادين الدين والأخلاق والسياسة

والاجتماع والاقتصاد، هذا كله مع اتساع هوة التفاوت بين المجتمعات الإنسانية في شؤون المعاش والتعليم والصحة وأنظمة الحُكم، وما إلى ذلك من الأمور التي تؤكد تفوق الأقوياء وتزيدهم تمسّكًا بأسباب السيطرة والغلبة والتحكم في مصير المستضعفين باسم الدفاع عن «حقوق الإنسان»، والرغبة في ترسيخ دعائم الليبرالية الرأسمالية والنزعات المادية وتوسيع مناطق النفوذ وما شابه ذلك.

حقوق الإنسان واختلاف الثقافات

إن للإنسان - كما هو معلوم - حقوقًا طبيعيةً يقتضيها انتسابه إلى النَّوع البشري ونزوعه إلى العيش وسط جماعات منظمة؛ وهذه الحقوق الطبيعية تعرف بالبداهة ولذلك يُقرّها العقل، وتؤيدها الشرائع الإلهية، وتجري بها الأعراف والعادات، ويتوقف عليها بقاء نظام العمران، وتستقيم بها علاقات الأفراد بعضهم ببعض. ومن هذه الحقوق: حقّ الحياة، وحقُّ السعي في طلب الرزق، وحقُّ التنقل في فجاج الأرض، وحقُّ تكوين الأسرة ورعاية الذرية، وحقُّ الانتساب إلى جماعة إنسانية قائمة على التعاون والتكافل وتقاسم الأعباء المدنية والاجتماعية، وهو ما يُخوّل كلّ فرد الحقَّ في إبداء الرأي، والتطلع إلى العدل والإنصاف والمساواة وما إلى ذلك.

وكل ثقافة لا تحمل في صلبها ما ذكرناه من مبادئ ومقتضيات هي ثقافة عقيمة عديمة النفع والقيمة.

ولا مفهوم للحقوق دون واجبات، فهُما أمران متلازمان يتوقف أحدهُما على الآخر، ولهذا كانت الحاجة ماسَّة إلى الشرائع والضوابط الاجتماعية والقوانين الوضعية لتنتظم شؤون الناس، ويَتَبَيَّنَ الحقُّ من الواجب، ويأخذَ كلُّ واحد ما له ويؤدّي ما عليه.

وفي الأزمنة المتأخرة ظهر لبعض المفكرين والفلاسفة ورجالِ السياسة من الأوربيين أنَّ «حقوقَ الإنسان» يجب أن تحظَى باهتمام خاص وأن يفردَ لها ميثاق يُبيّن مداها ويحدِّد المبادئَ التي ينبغي أن تقوم عليها. فحينما اندلعت نيرانُ الثورة في فرنسا عام ١٧٨٩م قرّر رجالها أن يصدروا ما سَمَّوه «بإعلان حقوق الإنسان والمواطن»، ظنًّا منهم بأنهم سيتخلّصون بذلك من المظالم التي لحقتهم من حُكامهم ومن سلطة الكنيسة ذات النفوذ الواسع في بلدانهم آنذاك، فقد كان العدل بينهم مفقودًا والبطش بمواطنيهم شديدًا.

إلاّ أن صدورَ ذلك الإعلان في حينه لم يكن بدايةً لاطمئنان الناسِ على الحقوق المسطورة فيه، ومن جملتها كفالة حرية الاعتقاد لجميع المواطنين والامتناع عن إلحاقِ الأذى بأحدٍ بسبب رأيه أو معتقده الديني؛ فقد بطش رجال الثورة بآلافِ القساوسة والرّهبان واضطهدوهم وأجبروا العديد منهم على اتباع أساليب، واعتناق أفكارٍ تخالف معتقداتهم، ثم عمّ التقتيل والقمع حتى شمل كلّ من ظنوا فيه الاعتراض والمخالفة لِمَا تدعو إليه الثورة، وقد ظهر عند تطبيق ذلك الإعلان أن المقصودَ بالإنسان والمواطن هو من يناصر الثورةَ ويسير في ركابها دون غيره.

وفي أعقابِ الحرب العالمية الثانية التي نشرت الدمارَ والمجازر في ربوع أوربا اتفقت الدولُ الغربية على إصدار وثيقةٍ أطلقوا عليها «التصريح العالمي بحقوق الإنسان» استمدوا مبادئه من آراء مفكريهم وساستهم، أي من واقع بيئتهم وأساليبهم في التفكير والمعاش. ومرةً أخرى ظهر أثناء التطبيق أن واضعي هذا التصريح لم يكونوا يقصدون «بالإنسان» إلاّ مواطني دول الغرب ذوي الأصولِ الثقافية التوراتية والإنجيلية دون غيرهم من مُواطني الشعوب الأخرى. ولا أدلّ على ذلك من النهج العنصري الظالم الذي دأبت على سلوكه الدول الاستعمارية الأوربية تجاه سكّان «المستعمرات» التي كانت تحت سيطرتهم، فقد حرموهم من أبسط «حقوق الإنسان» التي سَطَّروها في ذلك التصريح، وامتهنوا كرامتهم وأخضعوهم لكل أنواع الميز والمهانات؛ وقد استمرّ ذلك في الستينيات والسبعينيات من هذا القرن من غير أن يفكر أحدٌ من ساسة أوربا في احترام المبادئ المسطرة في ذلك التصريح.

وأما في الولايات المتحدة الأمريكية فإنّ المواطنين السّود بَقوا محرومين من كثيرٍ من حقوقهم المدنية إلى سنة ١٩٦٢م، ولم يُعترف لهم بها إلاّ بعد كفاح وفِتَنٍ دموية قُتِلَ فيها عددٌ من الناس واغتيل زعيمهم القسيس لوثر كينج. وفضلاً عن ذلك كلّه عمدت لجنة برلمانية برئاسة ماك كارثي إلى اضطهاد المفكّرين ورجال الأدب والفَنّ وعددٍ من المواطنين الآخرين بتُهمة التعاطف مع الأيديولوجية الشيوعية، وتخللت ذلك محاكمات ومتابعات منافية لنص التصريح العالمي المذكور وروحه.

وفي أوربا أيضا نشأت وترعرعت أقسى الأنظمة الدكتاتورية كالفاشية والنازية والبلشفية والشيوعية والفرنكوية (في إسبانيا) والسلزارية (في البرتغال). وعاش مواطنو كثيرٍ من الدول الأوربية ومستعمراتها تحت وطأة الإرهاب والقمع، وحُرموا من حقوقهم المدنية، وكانت تلك الأنظمة الاستبدادية قد استمدّت مبادئها في السياسة والحُكم من بعض الفلاسفة والمفكرين المنحرفين الذين مجّدوا العنصرية والعُنف وصراع «الطبقات»، أمثال نيتشه وكارل ماركس، وشارل مورا، وجورج صوريل.

وفي أوربا وأمريكا أيضًا ظهرت في هذا القرن جماعاتٌ عنصريةٌ متطرفةٌ وتياراتٌ دينيةٌ مسيحيةٌ متزمتة. والأُصولية التي يُنعَت بها اليوم بعضُ المسلمين إنما أُخِذَت من اللفظ الإنجليزي: Fondamentalism، وهي حركةٌ بروتستانية نشأت في الولايات المتحدة في أوائل هذا القرنِ، وأثارت كثيرًا من الجدل بسبب معاداتها لنظريات علمية ودعوتها إلى تفسير الأحداث الكونية والدنيوية بالرجوع إلى التوراة. وفي أوربا ظهرت تيارات مماثلة بين الكاثوليكيين.

وحينما سقطت الشيوعية ووقعت في هوةِ الإفلاس المادي والمعنوي ظنَّ قومٌ أن الجوَّ قد خلا للّيبرالية الرأسمالية وأن انتصارها صار محققًا وأكيدًا؛ والليبرالية عندهم هي أُختُ الديمقراطية، بل هي وجْهها الاقتصادي ومظهرها المادي؛ وأما دستور الديمقراطية فيتمثل في طائفة من المبادىء المتعلقة بالحريات العامة والخاصة وما يترتب عليها في مفهومهم من «حقوق» ومقتضياتٍ، الغايةُ منها تنظيم علاقة المواطنين بعضهم ببعض وعلاقتهم بالسلطات الحاكمة في دولٍ يهيمن عليها المالُ والجاهُ والنفوذ ونظام الطبقات المتفاوتة والتوجيه الإعلامي المُدَمّر للقيم الخلقية.

وإلى هنا نستطيع أن نقول إن «التصريحَ العالمي لحقوق الإنسان» الذي

القيم الإنسانية واختلاف الثقافات

صدر عـام ١٩٤٨م، لـم يجد قط سبيلـه إلى التطبيق العملي الكامل والشامل والنـزيه، لا في دول الغـرب التي صاغت فصولـه وَوَسَمَتْـهُ بطـابعها الفكـري والسياسي، ولا في الدول الشيوعية، ولا في معظم الـدول التي يضمها ما سَمَّـوه بـالعالم الثـالث، وذلك لأسبـاب مختلفة تخصّ كل طـائفـةٍ من هذه الطـوائف الثلاث. وقد نتـج عن ذلك كلّـه اختلالٌ كبيرٌ في العلاقـات الـدولية مَـرَدُّه إلى اختلاف الثقافـات، وتعـارض المصالح الحيوية، وانعـدام التكـافؤ بين الأمـم والشعوب، وميل الـدولِ القوية إلى بسـطِ هيمنتهـا الفكريـة والأديولوجيـة على الدول الضعيفـة بدافع الشعور بالتفـوق وامتلاك وسائل القوة وآلاتهـا، علمًـا بأن ذلك التصريح ينص في ديبـاجتـه على أن يكـون «مثـلاً مشتركًـا تسعى إلى بلوغـه كل الشعوب والأمـم».

فلمـاذا إذن هـذا التدهـور الـذي أصاب ميـدان التطبيق الشمولي والعملي للمبـادئ التي يُفترض فيها أن تكـون أسـاسًا وقـاعدة عـاليـة لحقوق الإنسـان الطبيعيـة والمدنيـة، وذلك حتى في دُول الغــرب، بـدليل الهجمات العُنصريـة والطائفية التـي مـا زَالَ يتعرض لها الأجانب القاطنـون في دول الغرب، والحيف الذي يلحق ببعض الشعـوب المكافحـة في سبيل الحفـاظ على كرامتها وعقيدتها وأرض وطنها، فـلا تجد لها مكانًا في «ميزان العَدْل» الدولي ؟

يظهـر لي أن لهذا التدهـور سببيْن رئيسيين، أولهمـا : إهمال الـوازع الخلقي الـذي لا تنضبط من دونـه عـلاقـة إنسان بـإنسان ولا أمـة بأمـة. فمفهـوم الحريـات على اختلاف أصنـافها لا تكـاد تَـحُـدّه حـدودٌ في مواثيق «حقـوق الإنسان» ودساتير الدول التي صاغتـه؛ فـالمعاشرة الجنسية غير الشرعية مباحةٌ للراشدين على أوسع نطاق، والشذوذ الجنسي مسموحٌ بـه بشكل عَلَنـي، وبيع المخـدِّرات في الأزقـة والشـوارع معـدودٌ في بعـض الـدول من ضمن الحريـات العامـة، وإشهـار الإلحـاد والترويج لـه مبـاحٌ، وزواج المثيلين من الذكـور أو الإنـاث مُباح أيضًا، وكلّ ذلك باسم «حقـوق الإنسان» و «الحريات العامة». وواضح أن هذه الأنـواع من الممـارســات المنافيـة للأخـلاق القويمـة تُعـدّ من صميم الفسـاد والإبـاحية في كثيرٍ من الدول غير الأوروبيـة التي تفـرض عليها عقيـدتها ومقـومـاتها الثقافيـة الاعتـداد بـالـوازع الخلقي الـذي يَجْعلُ النـاسَ يتصرفـون في نطـاقِ حريـة معقولـة راشـدة لا تستهيـن بمسؤوليـة الإنسان عن أقوالـه وأفعالـه وسلوكـه.

وأمـا السببُ الثـاني فيرجـع إلى غموض مفهوم العـدل وتَشَـوُّش صورتـه في أذهـان كثيرٍ من المناصرين لحقوق الإنسان في دول الغرب خاصة.

العـدل وتوابعـه

الميزان هو رمـز العدل عند كثير من الأمـم، وكلُّ ميـزان إلاّ ولـه في الحقيقـة أو في الوهم كفّتان إذا تعادلتـا في الوزن كان ذلك هو العـدل لمن يُريد أن يُبَسّط الأمـور. وقـد احتلّت فكرة العدل مكانًـا أثيرًا في ثقافـاتِ الشعوب، فأمـرت به الشرائع الإلهية، وتردد ذكره في أعمال الفلاسفـة والحكمـاء، وفي أقوال الشعراء، وأصحاب الملاحم والأساطير، وجَرت بـه الحِكَـمُ والأمثالُ السائرة حتى رَسَخَ في أذهـان العامـة والخاصة من الناس وصار من أعـزّ المطالب وأنفَسِ القيـم.

وليس معنى هذا أن العدل سائدٌ دائمًا في عـالم الناس، نافذ الكلمة بينهم، بل إنــه من أوسع الغُـيّـاب شهـرةً وأكثرهـم ذكـرًا، يختفي عن الأنظـار زمانًـا ويفتقده النـاسُ مرارًا في معاملاتهــم فتسوءُ أحوالهـم، وتختلُّ أمورُهـم، وبسبب ذلك تزداد نفوسهم شـوقًا إليـه، فلا يجدون مناصًا من معــاودة التغنّـي به أملاً منهم في رجوعـه.

ومتى اختل العــدلُ وخفّت مـوازينـه حلَّ محلَّــه الظلـــم والجورُ والحيفُ والشطَطُ والعــدوانُ والقهــرُ والعسفُ والهضمُ والغصبُ والاضطهـــاد . . . إلـخ، فانظر كيف أنَّ العدلَ واحدٌ وأضدادُه كُثُر !

إن العدل مبدأ لا يقبـل الانقسـام، ولكنـه يتَّسـع ويطول بـالامتداد ليشملَ عدلَ الإنسـان مع نفسه ومع ذَويــه، وعدلَـه مع أمثالـه، والعـدلَ في الأحكام القضائيـة والمعاملات المدنية والـدولية، وبالجملـة العدل في الأقــوال والأفعـال والعُهود التي تمتـلئُ بها الذِّمَـم وتستوجب الوفـاء.

والعـدل حق النـاس جميعًـا، وهو أيضًـا واجبٌ بالإضافــة إلى كل واحــدٍ منهم، فإذا عَـمَّ وسـاد انفتحت أمـام الناس أبوابُ الإنصـاف والمساواة والحرية والإحساس بالكرامـة، ونال كلُّ واحدٍ منهم حقَّـه المشروعَ، ونشِطَ لأداء ما عليه من واجبات.

ولــو أنَّ الناسَ في هـذا العصر فَكَّـروا في صياغــة ميثـاقٍ عالمي يبين طـرقَ العـدل ومـراميـه وأسـاليب تطبيقـــه لاتَّفقت كلمتُهــم على مبـادئَ مشتركـةٍ ولأغناهم ذلك عن «التصريح العالمي لحقـوق الإنسان» وغيره من المواثيق الدولية الأخرى؛ لأن العـدل هو جماعُ الفضـائل، وأساسُ الحُكْم، وقـاعدة العـلاقات الإنسانية، وهـو السبيل القويم المُفضي إلى الاستقرار والسلام والـوفاق. ونحن نعرف ـ مع الأسف ـ أنَّ ميزانَ العدل بين الدول مُخْـتـل في هذا الزمـان، وقلَّمـا تستوي كفتاه، كما أنــه معدوم أيضًا في عددٍ من شعـوب الأرض لضعف الوازع الخلقي الذي لا تستقيم من دونـه معاملـة، ولا ينجلي بغيابه وجـهُ حقٍ، وما دام الأمـر كـذلك فــإنَّ الكلام عن «حقـوق الإنسان» سيبقى ــ كما هو الآن ــ مثارَ خلافــاتٍ عميقـة، وتـأويلاتٍ متضـاربـةٍ، ومساومـات مُبطلـة تضيع معهـا حقوق المستضعفين، وتـزداد أحوالهم بسببهــا سوءًا، ويتـذرع بها «الأقويـاء» لِيُـثَـبِّتوا سلطانهم ويستمروا في كيل الأشياء المتماثلـة بمكيالين مختلفين.

إنّ الحق واحدٌ، وقِوامُـه العدلُ والإنصافُ والمساواة؛ فإذا كان الحق بحيث يشمل الجميعَ بالنَّصَفَــةِ والتســاوي حتى يطمئن المستضعفـــون إلى نيلـــه والتمكّنِ منه عنـد الاقتضـاء، فتلك هي العلامــة الدالَّـة على شيـوع العـدلِ وانتشاره وحســن تطبيقـه؛ وليس يكفي تسطير المبـادئ وتدوينها لِتُـتْـرَك بعد ذلك نهبًـا للتأويـلات المُجحفــة التي لا يستفيد منهـا إلاّ الأقـويـاء بينما يضيع الضعيف في متاهاتها.

وأخيرًا، فإن العَملَ في سبيل نشرِ سلطان العـدل ينبغي أن يستمدَّ قُوتَـه من رسالـة الثقافــات المُتنوعـة التي تعترف بقيمـة الإنسـان وكرامتـه، وتحرص على حِفظِ التـوازن بين مطالب الـروحِ ومقتضيـات المـادة، وتُفسح للـوازع الخُلقي أوسع مجـال.



عبد العزيز الرفاعي شاعر الوجدان والفضيلة

بقلم: د. جريدي سليم المنصوري الثبيتي

كان عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله - رجلاً متعدد المواهب والجوانب، وبمناسبة وفاته تحدثت عنه الصحف السعودية، وكان تركيزها على الرفاعي الرجل بالدرجة الأولى. وقد رأيت أن الجانب الشعري لدى الرفاعي يستحق وقفة خاصة، فأردت أن أسهم بهذه المقالة، فلعلها تقضي شيئًا من حقه علينا، أليس هو القائل:

أكرمُوني فَقَوِّمُوني بنقد
أنا أشتاق أسمع النقادا
امزجوا فكركم بِفَيْض
من الحب لنحيا به فلا نتعادى
واجعلوا نقدكم من النور أصفى
ليس ناراً تُورِّثُ الأحقادا (١)

لقد أراد للنقد أن يسير في فلك الفضيلة والحب بعيدًا عن التجريح والأذى. ولا شك أن النقد إن خرج إلى ذلك لم يعد نقدًا يرمي إلى التقويم وإبراز مواطن الحسن والجمال.

كان **الرفاعي** رجلاً متعقلاً، ولعل سيطرة التعقل عليه جعلته يستبعد طائفة من قصائده التي قالها في شبابه، ولعل أصدقاءه بمكة المكرمة يعرفون بعض هذه القصائد، فهم الذين أطلقوا عليه «**شاعر الأغصان**»:

يا شاعر الأغصان غصنك مورق وجداك نهل بالأطايب مثمر

وقد أراد شاعرنا أن يقطع هذه الأغصان، ويترك ظلالها، وهي أشعاره في المراحل التالية للشباب، وإن كان هناك من يرى أن ظلال **الرفاعي** «هي المعادل للّذة والمعاناة الإبداعية التي يتفيأ المبدع ظلالها» (٢).



شاعر الوجدان والفضيلة

وهـذا تفسير مقبول لمن يـريد أن يسبـح في آفاق مقتضيـات عنوان ديـوان الرفاعي الذي أطلق عليه «**ظلال ولا أغصان**». غير أن من يرجـع إلى مقدمـة الديوان فسيجد **الرفاعي** يصرح في أكثـر من موضع بأن شطـرًا من شعره طـواه وأسدل عليه الستـار، وهو شعر العواطف والأحـاسيس، وحين تطرق لترتيب الـديـوان قـال «ومن الطبيعي أن يـأتي شعر العاطفـة قبل . . . أي كـان من الطبيعي أن تأتي الأغصـان أولاً ثم تزحف الظـلال»، وذكـر في موضع آخر أن صرامـة الطبــع أبت إلا أن تحجب الأغصـان وتسمح للظلال، وهكـذا غاب عنا كثير من شعره الوجداني.

ولعل ما جاء في قصيدة الشاعر **محمد عبد القادر فقيـه** من تسمية الرفاعي بشاعر الأغصان ما يستحق الوقوف، وقد تكرر ذلك في القصيدة نفسها، وهو أمـر يمكن ربطه بحيـاة الـرفاعي وتـاريخ المرحلـة الأولى مع صحبه في مكـة المكرمــة، وما نظم من شعـر في تلك الفترة من عمـره، فهو شـاعر الأغصـان مثلمـا كـان هناك شـاعر آخـر من رفاقه اسمه «شـاعـر الأزهـار». فالحياة بهم كـانت تميل شبـابًا وتتفتح جمالاً، فـلا عجب أن تخلـع على الشعـراء بعض مظاهرهـا في أسمائهـم الفنيـة.

شعر مرحلـة الشباب

ولك أن تنظر إلى **الرفاعي** وقد قرأ **شوقي والشريف الرضي** قبل تخرجـه من المرحلة الابتدائية، وبعـد ذلك يعجـب إعجابًا خاصًا **بعلي محمـود طـه وعمـر أبو ريشـة**، ولهذا يتذكر **علي محمود طـه** وينظم على منوالـه قصيـدته في وصف بحيرة «**كومـو**». بل إن تأثره بهذين الشـاعرين وأمثالهمـا يتضح في عـددٍ من قصائده مثل قصيدة «**أغنيـة تتمنـع**»، والتي منها قولـه:

أحبـايَ في نفسي من الشعـر غنـوة — يجيـش بها قلبي وتـأبىٰ على فمي
تميل مـع الأغصــان في ميســانها — وتسري مـع الألحان في كـل منغـم
لها رقّـة الأنسـام في كل خفقـة — وفيهـا جـوى الأنـداء تهفـو لبرعم
بها نغمـة الينبـوع يجري بـروحـه — حنينًـا إلى الأعشـاب يشكـو ويحتمي
بها صبـوة المفتـون يحلم بـالهوى — رفيقًـا إلى هيفـاء ذات تنعّم

وهذا الشعر من مرحلة الشباب، ولعلـه يمثل البقية الباقية من شعر تلك المرحلة، والذي أسدل على أكثره الستار. وهو في هذه القصيدة **فنان بارع يرسم بالكلمـات، لا يمكن فصلـه عن كبار شعـراء الـوجـدان في العالم العـربي**، وتستطيع أن تقف على مظاهـر الشعر الـرومانسي في هذه القصيـدة، بدءًا من الألفـاظ الموحية الحالمة الشفافـة ومرورًا بالصور التي قد يتكئ فيها على تراسل الحواس أحيانًـا ـ فـالأغنية تميل مع الأغصان، وفيهـا رفيف الزهـر وبها هجعـة الصحراء وفرحة العصفـور، ويحس لها كالشهـد نكهة قبلة ـ وانتهاء بهذا العالم الشعري الذي يستمده الشاعر من الطبيعـة ويوقظه بما ينسبه لـه من صفـات الأحياء وبما يخلع عليه من رؤاه وآلامـه وأحلامـه.

وليس غريبًا أن يجعل الرفاعي قصيدتـه السابقة مباشرة قبل القسم الخاص بالطبيعـة في ديوانـه، كأنمـا وجد فيهـا شيئًا من روح المرحلـة التي اختـار منها قصائد الطبيعـة مثل الفراشة، ووصف البحيرة، وحواره مع شجرة الصبّار.

ومثل هذه الموضوعات عني بها شعراء الرومانسية بشكل خاص، ولا يخفىٰ أثر ذلك فيما كتبه الرفاعي في هذه الموضوعات، **استمع إليه يقول عن الفراشة**:



عبـد العزيـز الـرفـاعي «شـاعر الأغصـان»: صـورة التقطت لـه في العراق عنـد حضـوره أحـد مؤتمرات الأدبـاء

مضت إلى الزهر تشكـو الزهر غلتها — وتـرتـوي قُبَـلاً من ثغـره النـادي
زهـر إلى الـزهـر مـا أنـدى تعـاطفـه — هَـزّ الطيـور فهـزت كل ميّـادِ

وإذا كان **الرفاعي** جمّ التـواضع فوصف ديـوانـه في أكثر من مـوضع من مقدمتـه بأنـه نظم، **فإن التـواضع يعـد واحـدًا من القيم التي تلح عليـه حتى ظهرت في شعره وذلـك قولـه**:

وفي السهـول التي أرخت غـلائلهـا — أهـوى التواضـع ما أسماه في الـوادي

ويظهـر الحب الكبير لـدى شـاعـرنـا في تلك القصـائد التي تـوزعتهـا

المناسبات، فتحية لندوة العلماء بالهند وتحية للجزائر وأخرى لعُمان. ولك أن تستمع إلى قوله في تحية تونس :

يـا رعى الله ما بتـونس من خيـــــر وأسماه أن تنمي الـرجـالا
بلِـد تُنبت البطـولات والمجـــد وتـرعى الأمجاد والأبطـالا
ورثـت مجد عقبـــة الخير مـن قبل، فـراحت تـورث الأجيـالا
وابن خلـدون قمـة الفكـر منكم يـالها قمـة أبت أن تنـالا
وأبـو القـاسم الـذي فجّـر الشعـر ينـــابيـع لا تكفّ انهمالا

بل إن التي قالها في ظلال الصداقة تفيض بذلك، وهكذا اتجهت القصائد إلى كثير من أمثـال **أبي تـراب، وعبـد المقصود خوجـه، وسراج مفتي، وابن خميس، وباعطب، ومحمـد حسن فقي**، وليس غريبًا أن يتجـه إلى رجال هذا البلـد ممن لهم فضل وأثـر في المسيرة الأدبيـة، فهـو أديب يحسن تقـديـر هـذه الأمـور.

أثر التراث في شعره

ويظهر في شعـر الرفاعي أثر التراث واضحًا جليًا، حيث نجـده يستلهم التراث في مواضع عـدة، من ذلك توظيفـه للشخصيات التراثيـة مثل فرعـون وعقبة بن نافع وابن خلدون وأيوب عليه السلام :

يـــا رافع البأس عـن أيـــوب معجـــزة
هـــــلا رفعت بفضـل منـك عـن بـاسي ؟

وهو في ذلك يتكئ على تـاريخ الشخصية الذي استقر في الفكـر العربي، بل إنـه قد يعتمـد على العبارة فيـوظف النّص التراثي، كمـا في قولـه مخاطبًا الأستاذ **محمد عبد القادر فقيه** بعد أن حدّثـه - في قصيدتـه - عن تفرق الصحب وتغير الأحوال، فقال الرفاعي :

حـــدثتني عمّا أحـــال شبـــابهم (من ذا الـــذي يـــا عـــزّ لا يتغير)

وهذا يدل على حضور التراث الشعري في ذهن الرفاعي نظرًا لكثرة قراءاتـه واطلاعـه، مثلمـا يدل على حسـن اختياره للسائر من الأقـوال والأشعـار وإفادتـه منهـا.

ومن يطالع ديوان **الرفاعي** يجد فيـه عـددًا من الأبيات التي تتضمن الحكم حيث رصد الرجل نتاج خبرتـه وثمرة تجاربه، من مثل قولـه :

إن العـلا اليـوم لا تُـوتىٰ على مُثُل ولا تجيـب لنفسٍ في ذرى الشمـم

وقولـه :

وبنـــاء الصروح سهلٌ لبـــانٍ وبنـــاء النفـــوس صعب القيـــاد

وقولـه أيضًا :

لكمْ طمـر الـــدهـر فـنّ الأديب وضـــاعت بـــه نغمـــة البلبل
جفتـــه الحيـــاة وعفت عليـــه سنـــون العصـــور ولـــم تسأل

توظيف المحسنات البلاغية

وقد أفاد الرفاعي من المحسنات البلاغية على المستوى الجمالي الشكلي وعلى المستوى الـدلالي كذلك، كما هـو الحال في قولـه للشـاعر **باعطب** الذي غادر الرياض إلى جدة وابتعد عن أصحابه ومنهم الرفاعي :

إن تكن في الـريـاض فالثغـر يشـدو مستعيـــدًا ولـــم أقـل مستعيضُ
وليـــاليـك مشرقـــات على الثغـــــر كما هنّ في الـــريـــاض البيضُ

حيث عـوّل الشـاعـر على كلمتي (الـرياض، والثغـر) مفيـدًا من تعـدد



صورة التقطت للرفاعي وهو في الثلاثينيات من عمره في منزله بجدة في عام ١٣٧٩هـ
(الصور من إرشيف الرفاعي الخاص)

الدلالات، وربما اتجـه إلى الجناس وهو وثيق الصلـة بظـاهرة أكثر وضوحًا عند **الرفاعي**، وهي ظاهـرة التكرار الـذي يتجاوز التكرار الصـوتي - الجنـاس - إلى تكرار الكلمـات في البيت الواحد أو في عدد من الأبيات المتتالية :

جـــــراحي نـــــازفـــــات مـــــا تطيب
فماذا في جـــــراحي يـــــا طبيب ؟
أجـــــرحي غير جـــــرح النـــــاس أعمـى
أصـم فـــــلا يـــــرى أو يستجيب

وانظر إلى القيمة الجماليـة لتكرار حرفي الزاي والهـاء وبعض الكلمـات في قولـه في الفراشة :

مضت إلى الزهـر تشكو الزهـر غلتها وتـرتـوي قُبلا من ثغـره النـادي
زهـر إلى الـزهـر مـا أنـدى تعـاطفـه هـــز الطيـور فهـزت كل ميّـــادِ
روحي وروحـك في معنـاهما شبـــه تهوى الـزهور، وأهـواها على النـادي

ولعلنـا نلاحظ في البيـت السابق أن الشاعـر يخلع المعـاني الإنسانيـة على الأشياء، وهـذه سبيلـه في التعامل مع الأشياء في الطبيعـة، يلتمس في الروابي معنى الترفع، وفي ذرى الجبـال معنـى الصمـود والشمـوخ، ويجد في السهـول معنى التواضع :



شاعر الوجدان والفضيلة

وفي الروابي إذا ما اخضوضرت وزكت ... أهـوى تـرفعهـا والـرفـرف البـادي
وفي الذرى شـامخات الأنف صـامدة ... على الحوادث في كـر المدى العـادي
وفي السهـول التي أرخت غـلائلهـا ... أهـوى التواضـع ما أسماه في الـوادي

وربما استبطن الأشياء باحثًا عن الوجـود الشعري الكامن فيها على نحو ما جاء في وصفه لبحيرة «كومـو» حيث قـال :

إن كـــــومـــــو قصيـــــدة ... لـــــم يقل مثلهـــــا البشرْ

وكذلك يستعين بهذه الأشياء على كشف ذاته ومحاورتها من خـلال حواره مع مظاهر الطبيعـة، كما في حواره مـع شجرة الصبّـار التي جعلهـا معـادلاً لذاتـه التي اشتدت عليها الحياة القاسية وهي صابرة :

لا تأبهي بـالحادثـــات ولا تـــذلي للـــزمـــانِ
لـــــوذي بصبرك وارقبـي طيب المجـــــاني
أنت العـــزاء لقلبي الملتـاع في حـر الـــدخـانِ
الصبر من شيم الكـــرام، إذا تنـاءى عـن جبـانِ

ولا يقلّ عن هذا ما أبدعه **الرفاعي** من حوار بين شَعْرتين، فقد قفزت تجربة الشيب بشكل جديد، فالبياض يخاطب السواد، ليس سواد الشعر ولكنه سواد الليل؛ لأن الشاعر «قد بيّض الليالي وعودًا»، استمع إليه يقول :

شعـرتـان اثنتـان في اللمّة الســو ... داء قـــد جـرَّتــا عليَّ الـوبـالا
قـــالتـــا تهمســـان لليل سرًّا : ... نحن رَكْبُ الصبـاح حط الـرحـالا

العناية بالصور الشعرية

وكما ترى هذه العناية بالصور الشعرية حيث الصباح قرين النور والضياء، وهو نهاية الليل الـذي يرتبط بالظلام المؤدي إلى الضـلال والضياع في الطريق، ولعلك تلمس طرفًا مما أراده الشاعر من أن الشيب نذيـر وقد ولّى العمر، ومن هنـا برزت صـور مشـابهة ترتبط بـالقلق، والتسـاؤل الذي كثر عنـد الرفـاعي وبخاصة في نهاية عدد من قصائده.

وليس ذلك القلق وهذا التساؤل إلا جزءًا من متطلبات «**الرومانسية**» التي لونت أكثر شعر الرفاعي، ولعل نظرة في عناوين قصائده تدل على هذا، مثل : **تائه، بقية، تساؤل جراح، كبد ضائعة، أغنية تتمنع، فراشة، عزاء . . .**

وهـو أمر نلمسـه بشكل أكثر جـلاء في المعجم اللغـوي حيث الكلمـات المجنحـة ذات الشفافيـة بعيدًا عن كل ما يتعارض مع اللغــة الموحية السهلة؛ ها هو ذا في قصيدته «**سبعـون**» التي يصور فيها هذه المرحلـة من العمر ـ وقد ألقاها في حفل تكريمه بنادي جدة الأدبي عـام ١٤١٣ هـ ـ يقـول :

سبعـون قـــد وفـد الشتـــاء يـزورني ... والنـــار قـــد خمدت، وليس ثقـــابُ
حنَّت إلى عبـق التراب جـــوانحي ... لا غـــرو يشتـــاق الترابَ تـــرابُ

وقد ذكر فيها ما ألـم برفاقه وصحبه الذين فرقهم الموت، وهذا ما نجده في رثائه لصديقه الأستاذ **أحمد محمد جمال**، حيث قـال :

تقـاطـر صحبي يبحرون إلى الغيب ... فما بـالكم خلفتمـــوني يـا صحبي

إلى أن يقول :

رُوَيْـــدكُـمُ إني على الإثـــر قـــادم ... فشـــأنُكُـمُ شـــأني ودربُكُـــمُ دربي

وقد لحق به بعد فترة قصيرة. ولا شك أن مثل هذا من شعر المناسبات عند الرفاعي شعر وافر، وهو يطوعه لتلك المناسبات حيث يزخر بأسماء الأصحاب وبعض الأمور المشتركـة والإيماءات الخاصة، وحين تكون المناسبات عـامة فإن هذا الشـاعر ينهل من منهل الحكمـة الذي لا ينضب. وواضح أن همّـه لـم يكن همًّـا خـاصًا وإنما عـايش الهـم الجماعي للأمــة العـربية والإسـلاميـة، وقصائده تجسد موقفه من بعض قضايـا الأمـة مثل قضايا الاستقلال، وقضايا نشر العربية والإسلام. ولـم يكن مفهوم الشعر عنده ضيقًا بل كان بسعة عقل الرجـل ووعيه لطبيعـة الفن، يدلك على هـذا إشاراتـه في مقـدمة ديـوانه مثلما تلمس هذا في تعاطيه للقصيدة العموديـة والشعر الحـر. حقًا إنـه يعرف طبيعة الحياة وتطور الزمان، أليس هو القائل :

قف يــا زمـان فقـصّ من أخبـارنـــا ... أم قـــد تعبت فـــلا تقص وتخبر ؟
سر يــــا زمـــــان . . فإن دأبـك أن تسير كما نسير، وأن يطيع مسيَّر

رحم الله الشـاعـر عبد العـزيـز الـرفـاعي، وأسكنـه في ظلال رحمتـه وجنتـه.

الهـوامش

(١) ديوان الـرفاعي وعنوانـه «ظـلال ولا أغصان»، ط ١، دار الرفـاعي، ١٤١٣ هـ. وكـل الشـواهـد الشعريـة من هـذا الديـوان عـدا قصيدتـه «سبعـون» وقصيدتـه في رثـاء الأستـاذ أحمد محمد جمال رحمه الله.

(٢) هذا الرأي للدكتور محمد مريسي الحارثي الذي ألف كتابًا عن الرفاعي اكتمل يوم وفاته مطبوعًا حسب ما جاء في ملحق الأربعاء ص ٤٠، وقد تم استعراض الكتاب في ذلك العدد من الجريدة.

انظر : جريدة المدينة ـ ملحق الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤١٤ هـ.

من كتّاب العدد

● د. جريدي سليم المنصوري الثبيتي.

ـ دكتوراه في الأدب والنقد.

عمل معيـدًا ثـم محاضرًا، ثم أستـاذًا مساعدًا ورئيسًا لقسم الأدب بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ـ لـه مشـاركـات في النـدوات والمحاضرات بالأندية الأدبية.

ـ لـه نشـاط صحفـي وإذاعي.

ـ كتب عـددًا من الدراسات والأبحـاث العلمية، وقـد صدر لـه كتـاب بعنوان «شاعرية المكان».





الصهيونية والهروب من الواقع:

دراسة في الشعر العبري الحديث

د. سعيد عبد السلام العكش

لم تكن الحركة الصهيونية بمنأى عن التيارات الفكرية والحضارية التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر، خاصة نمو الحركات القومية بين الشعوب الأوروبية، وتعاظم الحركة الاستعمارية الأوروبية. وأمام هذين التيارين شهد المجتمع الأوروبي تراجع الليبرالية ومفاهيمها (١) التي تجسدت بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وتعرضت الصهيونية في تلك الفترة لنفس الآثار الناجمة عن الثورة الفرنسية التي تعرضت لها أوروبا عامة(٢)؛ فقد مزقت أفكار هذه الثورة الكيان اليهودي التقليدي، وقلصت نطاق المدارس الدينية، وشجعت الزواج المختلط، والانخراط في جانب الليبرالية، والجلوس في برلمانات الأغيار(٣) والاندماج معهم وهو غير ما تريده الصهيونية، فهذا يؤدي في نظرها إلى ذوبان «الشخصية اليهودية» المنفصلة واندماجها بالكل(٤). لذلك فقد دقت الثورة الفرنسية بالنسبة للصهيونية أجراس الهلاك بالبيان التاريخي لنابليون بتحرير اليهود واندماجهم بباقي المجتمع (٥).

وعليه فيجب ألا يستغرب أحد أن يجد في الأدب الصهيوني خيوطا من نفس النسيج العنصري الذي تلا الثورة الفرنسية(٦). فبالرغم من كل التقدم العلمي والتقني الذي يؤكده الصهاينة نستطيع أن نلمس الأساس التشاؤمي السلبي في موقفهم من العلم وامكاناته البعيدة في توحيد المجتمع البشري، فقد انتقد ناحوم سوكولوف (١٨٥٩ ــ ١٩٣٦م) رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، بنفس نبرة العنصريين الرافضة للواقع الجديد بعد الثورة الفرنسية، انتقد الاكتشافات والاختراعات العلمية الحديثة قائلاً إنها لم تحقق الكثير للإنسان ومن الأولى بالبشر الرجوع إلى الطبيعة والحضارة الأصلية(٧). فقد قاده إيمانه «بنقاء السلالة اليهودية» ــ كغيره من الصهاينة ـ إلى الإيمان بالنموذج الأصلي على اعتبار أنه بالتأكيد أنقى النماذج. وكانت الطبيعة في رأيه ــ واستناداً لآراء العنصريين ـ هي الميدان الذي احتضن الفصائل البشرية بصورها الأصلية غير

الصهيونية والهروب من الواقع:

دراسة في الشعر العبري الحديث

المهجنة، وأدى الابتعاد عن الطبيعة إلى اختلاط الأعراق ومن ثم تدهور الإنسان.

وقد ظلت ظاهرة التهرب من الواقع من الظواهر التي أدان بها كثير من النقاد الحركة الصهيونية[٨]. ونستطيع أن نلمس هذه الظاهرة بوضوح في الشعر العبري الحديث، فقد انعكس الهروب من الواقع بكل مظاهره على العديد من القصائد الشعرية عند معظم الشعراء الصهاينة وذلك بالانطلاق إلى الطبيعة والتغني بالغابات وحب الزراعة، وفي مقدمتهم الشاعر الصهيوني بياليك[٩] الذي نجده يعبر في قصيدة «في الحقل» عن شوقه للتحرير والانطلاق باندماجه في الطبيعة الطلقة. ويستهل قصيدته هذه بالتعبير عن أنه وجد خلاصه وحريته في الانطلاق في الحقول التي لا تحدها الأسوار والتي يخيم عليها الأمان فيقول:

هربت اليوم إلى الحقل من حزني خائر القوى

هربت إلى حيث تهفو مشاعري وتتدفق أفكاري

ثم يبدأ في التجاوب مع الحقل ومناجاته والاختباء بين سنابل القمح والإصغاء إلى صمت الغابة مستمعا إلى أسرارها فيقول:

آتي بين القمح وأختبئ، وأغرق بين سنابله

واندفع مع سيقانها الوفيرة، وانجرف مع فيضان أمواجها

وأصغي لصمت الغاب وأسمع أسرار الدغل

وفي هدوء يترامى إلى أذني همس الأشجار

فأسمع سر حديث أوراقها [١٠]

كما يعبر بياليك في قصيدة «قومي انطلقي» عن حرقة شوقه للتحرر والانطلاق باندماجه في الطبيعة فيقول:

قومي انطلقي، يا أختي العروس

قومي انطلقي، قومي انطلقي

فلقد أحضرت إليك بشرى الربيع

من خلف سور حديقتي[١١]

وكثيرًا ما تهرّب **دافيد شمعوني** [١٢] من واقعه وعبر في قصائده عن شوقه إلى الأماكن التي لا تحدها حدود، إلى الأماكن المترامية الأطراف فاتجه نحو الطبيعة يقول:

ما أجمل ألا توجد حدود من كل جانب

لا أسوار خانقة، ولا حواجز ضيقة

ما أجمل أن تحيط بي مياه، ومياه

مياه فقط، مياه وسماء

لقد فضلت دائما سماه

ليس فيها أي حدود لطيران عظيم[١٣]

من الواضح أن هذه القصائد تتكون من مجموعة من الكلمات الرومانسية ذات الدلالة الواضحة مثل: «هربت، اندفع، أنجرف في فيضان أمواجها، أختبىء، أصغي لصمت، انطلقي، لا أسوار خانقة، ليس فيها أي حدود» وهي كلمات إن دلت على شيء فهي تدل على رغبة الشاعر في الهروب من وجوده وواقعه المحسوس.

وربما يتساءل القارئ بقوله: **إن تناول الشعراء اليهود للطبيعة في أشعارهم شيء عادي مثلهم في ذلك مثل معظم شعراء العالم الآخرين**. وربما يكون على حق للوهلة الأولى فالقصائد الوصفية التي تتناول حب الطبيعة تتوافر بالفعل في آداب جموع لا حصر لها من شعراء العالم، **غير أن التغني بالطبيعة كان شيئًا نادرًا في الشعر العبري الحديث فقد كانت حياة الجيتو اليهودي** [١٤]**في منطقة الاستيطان** [١٥] **بعيدة عن أي اهتمام أو إحساس بجمال الحياة**، وذلك لأن اليهود كانوا يعيشون في عالم صغير من الحياة التجارية الصرف التي لا تربط الإنسان بشيء، كما كانوا مبتعدين ومنعزلين عن العالم الكبير [١٦]. وكانت استعارة الطبيعة في الشعر العبري الحديث تعبر عن الرغبة في الهرب إلى شيء مطلق يحرر الشاعر من واقعه. ففي قصيدة **«أيها الرائي اذهب واهرب»** يهرب **بياليك** من واقعه ويعود من حيث أتى ـ إلى الطبيعة حينما يرفض الشعب دعوته الصهيونية فيقول:

أعود ببطء من حيث أتيت

أعود إلى مرعاي وسهولي

وأقطع عهدًا مع جيزات الغابة

> ”الثورة الفرنسية دقّت أجراس الهلاك للصهيونية بتحرير اليهود ودمجهم في المجتمع“

"تهرّب الأديب اليهودي من الواقع اعتبره النقاد إدانة للحركة الصهيونية"

أمـــــا أنتـم — فـأنتـم رمـم وعفـن

وغـــــدًا ستعصف بكم الـــــريـح [١٧]

كما يهرب الشاعـر في قصيدة «**الغدير**» من واقعه وينطلق جائلاً في الغـابة وحقول القرية قائلاً :

أعـــرف غـــابـــة ، وفي الغـــابـــة

أعـــرف غـــديـــرًا متـــواضعًـــا

وفي ظلمات الغـــابـــة ، وفي عزلـــة عن العـــالم

وفي ظل شجـــرة بلـــوط مـــرتفعـــة ، وفي ضـــوء

خـــافـت ، وعاصفـــة معتـــادة

يحلم الغـديـــر بمفـــرده حلم عـــالم منعكس

ويصطـــاد لنفســه في الخفـاء الصيــد الـذهبي

ومـــا مـن أحـــد يعلم مـــا في قلبـــه [١٨]

وقد كانت العودة إلى الزراعة من الأركـان الرئيسة لظاهرة الهروب من الواقع التي اتصف بها معظم العنصريين خـاصـة بعـد أن قسمـوا البشر إلى فئتين : سكان الغابات الذين يبنون الحضارات، وسكان الصحارى الذين يُوْدُون بتلك الحضارات. وقـد أخذ رواد الصهيـونية شعـار العنصريين «**العودة إلى الأرض**» بالنص كشعار للمهاجرين اليهود، وتبناه الصهاينة بنفس الوقت كرد فعل غير مباشر للاتهام المعـادي للسامية [١٩] الذي يعتبر اليهـود ينتمون للفئـة الثانيـة الذين يودون بـالحضارات. لذلك فقد نادى زعماء الصهـاينة أمثال **ليو بنسكر ومارتن بـوبر وناحـوم سوكـولوف** بـالعـودة إلى الأرض التي أصبحت شعـارًا أساسيًا من شعارات الحركة الصهيونية [٢٠].

وعبر الشعراء الصهاينة عن هذا التقليد في قصائدهم الشعرية ففي قصيدة «**أمنيـة نفسي**» للشاعر اليهودي مانـه [٢١] **تظهر أمنيتـه في أن يعيش في حضن الطبيعة الهادئـة في يهودا** [٢٢]، والأمل في «البعث القـومي» الـذي لابـد من الوصول إليه عن طريق الزراعـة والاشتغـال بالأرض فيقـول :

أولى أنـــا الإنســان ، لـــو أنني كنت حـــرًا

في مكـــــوثـي أو ذهـــــابي

إذن لحلقـت وســـــافـــــرت إلى الشرق

حيث أنشـد هـاليفي [٢٣] الشعـــر ومـــات

هنــــــالك في حقـــــول القمـح والإثمار

تـــــزول آلامي بسرعـــــة وتنـــــدثـــــر

أين أنـت ، أين أنـت أيتهـــا الأرض المقدســـة

روحـــي تحــــــــن إليـــــــك

. . . .

وأغنيـــــة المزارع المعـــــافي ، النشيط

تسمـع مـن الحقــــــول المرويـــــــة

صـــوت النـــاي آتٍ مـن ضفـــة الجدول

حيـث الــــــراعـي يسقـي قطيعـــــه

ســأعمـل أنـــــــا أيضًـــــــا

بحقـــــول القمـح والإثمـــــار [٢٤]

وقـد أكـدت الحركة الصهيـونيـة منـذ بدايتهـا على العمل الـزراعي وحيـاة الكيبوتس [٢٥]، وكـان ميدان العمل الـذي كرست الجماعـات الصهيونيـة أنفسها له بصورة رئيسة هو ميدان الـزراعة نظرًا لأن زراعة الأرض كان يعتبر منذ البداية الأساس الأول «للوطن القومي».

ففي قصيدة «صدقتم أيها البناة الشبان» يفخر تشرنيحوفسكي [٢٦] بهؤلاء الشبان الذين يفلحون الأرض ويبارك عملهم فيقول :

هنـــا يحفـــرون ، هنـــا ينشـــرون ، هنـــا يعـــزقـــون

هنـــاك يـــزرعـــون ، هنـــاك يضعـــون السماد ،

وهنـــاك أيضًـــا البنـــاة ! وينمـــو الكيبـــوتس [٢٧]

ويرسم بياليك في قصيدة «**في الحقـل**» صـورة للمستوطنين الصهـاينـة في فلسطين الذين يعيشون في وئـام مع الطبيعـة وعناصرها، ويؤكـد شوقه إلى أن يكون مثل من سبقوه من إخوانـه إلى الهجـرة، وأصبحوا يعيشون من ثمار فلاحة الأرض، وبذلك يكون تعبيره هنا ممثلاً لأمنية «البعث القومي» التي رأت المثالية في العودة إلى الأرض فيقول :

منذ أن ذكرتني بإخـوتي البعيدين العاملين في بيت أمي

الـــذين قـــد يـــرفعـــون أصواتهم في هـــذه اللحظـــة

مــــــــن أعلى جبــــــــل أو تــــــــل

مجيبين على تحيتـي المرسلـــــــــة إليهـــم [٢٨]

وكـان من الملاحظـات الأوليـة التي سجلتهـا اللجنة الملكيـة البريطـانيـة لفلسطين في تقريرهـا لعام ١٩٣٧م ظاهرة التهرب من الوقـائع الموضوعية التي وسمت النشاط الصهيوني بسمتها بصورة عامة [٢٩].

ويتمثل ذلك أساسًا في المهام التي ادعتها الصهيونية لنفسها وهي بصدد خلقها للمجتمع اليهودي في فلسطين. فلقد زعمت الصهيونية أولاً أنها ستنهض في فلسطين بعبء «رسالة حضارية» تتمثل في تمدين وتحضير فلسطين.(٣٠) وعبر الشعراء الصهاينة عن هذه المزاعم في قصائدهم فيدعي **تشرنيحوفسكي** أن فلسطين أرض خربة، خاوية، ولن يعمرها سوى اليهود فيقول في قصيدة **«يابلادي ! يا وطني»** :

في خِرائبها تقام من جديد
مدن تزخر بالحياة
وتتوالد نساؤنا بكثرة
وتشيد المباني الجديدة (٣١)

ويشير ش. **شالوم** (٣٢) إلى هذه المزاعم نفسها في قصائده فيقول :

في البدء كان القفر، وحشة الجبل منذ الأزل
جيل بلا ندى ولا مطر
بعوض يحمل الحمى، عقرب أسود تحت حجر
آثار الزمن الوحشية
جئت ولا شيء في يدي، سوى ذكرى قول خفي
وقضيب محراث متخلف، علاه الصدأ من زمن (٣٣)

هذه الدعوة الصهيونية تتطابق مع الفكر العنصري الرأسمالي الأوروبي في القرن التاسع عشر الذي صاغ هذه الفكرة لكي تكون تبريرًا لاستعمار الشعوب المتخلفة واستغلالها من قبل الرأسمالية الأوروبية تحت شعار «إعدادها وتمدينها» لتصبح في مستوى يسمح لها بأن تحكم نفسها. ويشهد على ذلك ما قرره المفكر الصهيوني **تيودور هرتزل** (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) قائلاً : «وسنكون هناك جزءًا من الحاجز الذي يحمي أوروبا في آسيا. سنكون مخفرًا أماميًا للحضارة في وجه الهمجية. ويتوجب علينا كدولة محايدة، أن نبقى على اتصال مع كل أوروبا التي سيكون عليها ضمان وجودنا» (٣٤). ويزيد الزعيم الصهيوني **ماكس نورداو** (١٨٤٩ ـ ١٩٢٣م) إلى الفكرة وضوحًا ليقرر : «سوف نبذل وسعنا لكي نعمل في الشرق الأدنى ما عمله الإنجليز في الهند، نحن ننوي الذهاب إلى فلسطين بمثابة الحملة المعتمدين للمدنية والتحضير، ورسالتنا هي توسيع الحدود الأخلاقية لأوروبا حتى نصل إلى الفرات» (٣٥).

« الهوامش والمراجع »

(١) الليبرالية حركة تدعو إلى المساواة والتعايش بين الأعراق والفئات الاجتماعية المختلفة.

(٢) أدت الثورة الفرنسية إلى أخطر اضطراب في المجتمع الأوروبي وإلى أزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة في كثير من الدول وخسائر جسيمة أصابت كبار الرأسماليين. وقد نظر مفكرو هذا المعسكر نظرة تشاؤمية إلى المجتمع الصناعي الحديث، وما تضمنه من اختلاط بين الفئات الاجتماعية والعرقية والدينية، وحركة دائبة بين الجموع البروليتارية وانتقالها من مكان إلى مكان بشكل أفقدها جذورها وهويتها، وكانت النتيجة المتوقعة لمثل هذه النظرة الحنين إلى الماضي وما تضمنه من أسوار فاصلة بين القطاعات الاجتماعية وترجيح لحياة المجتمع الزراعي على المجتمع الصناعي مع تأكيد خاص على الغابات والأشجار. راجع : خالد القشطيني، الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١م ص ٣١.

(٣) الأغيار بالعبرية «جوييم» وتطلق على الشعوب غير اليهودية دون سواها وقد اكتسبت هذه الكلمة إيحاءات بالذم وأصبح معناها «الغريب».

(٤) يعتبر المفكرون الصهاينة أمثال أحاد هعام وبيرتس سمولنسكين وماكس نورداو أن اليهوديّ «عنصر متميز مستقل غير قابل للاندماج أو العيش بسلام مع المجتمعات غير اليهودية». راجع : د. غسان العطية، الصهيونية حركة عنصرية واستعمارية، مقال في المجلد الثاني من كتاب «الصهيونية والعنصرية» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧م ص ٢.

(٥) طالب نابليون اليهود في بيان تاريخي بالاندماج في المجتمع الفرنسي في قوله المأثور «فليبحث اليهود عن أورشليمهم الجديدة في فرنسا» (راجع : إسحق دويتشر، اليهودي وغير اليهودي، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٨٧).

(٦) من الوثائق الرئيسة التي ربطت بصراحة بين العنصرية وتطورات الثورة الفرنسية المقالة التي كتبها الكونت دي جوبينو بعنوان «رسالة عن اللامساواة بين الأعراق البشرية» واعترف فيها بأن الغرض الأولي لمقاله هو محاربة الأفكار الليبرالية والديمقراطية التي دعا إليها رواد الثورة الفرنسية. وقد بين جوبينو أن «العرق الآرى هو أرقى الأعراق وأنقاها وأن حضارات الشعوب الأخرى قد تلاشت وانقرضت نتيجة اختلاط أبنائها بأبناء الأعراق الأخرى.
(راجع : الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، ص ٣٢).

(٧) نفس المصدر السابق، ص ٣٢.

(٨) نفس المصدر السابق، ص ٣٥.

(٩) حاييم نحمان بياليك شاعر روسي يهودي (١٨٧٣ ــ ١٩٣٤م) يعد أميرًا للشعراء العبريين في العصر الحديث.

(١٠) د. رشاد عبد الله الشامي، حاييم نحمان بياليك، حياته واتجاهاته الأدبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٦٩م، ص ١٤٨.

(١١) كل أشعار حاييم نحمان بياليك، دار نشر «دفير»، تل أبيب ١٩٤٤م، ص ٦٠.

(١٢) دافيد شمعوني شاعر روسي يهودي (١٨٦٦ ـ ١٩٥٦م) هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٩م.

(١٣) أهارون بن أور، تاريخ الأدب العبري الحديث، المجلد الثالث، دار نشر «يزرعيل»، تل أبيب ١٩٥٩م، ص ٧٢ ـ ٧٣.

(١٤) الجيتو : تستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى أحياء اليهود في أوروبا ومن المحتمل أن تكون كلمة «جيتو»

الشعراء الصهاينة روّجوا لدعوى رسالة اليهود الحضارية في فلسطين

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن اعتقاد العنصريين بأن سكان الغابات يبنون الحضارات وسكان الصحراء يهدمونها جاء مؤاتيًا أيضًا للحركة الصهيونية للهروب من الواقع وذلك في دعواها ضد العرب، ووجد هذا الاعتقاد أصداء مختلفة في قصائدها الشعرية باتهامهم بتدمير الحضارات فيقول تشرنيحوفسكي:

مـن أجل أب شـاخ ومـن أجـل أم عجـوز
قـدّسَـا الـرب في قـوتها وبـأسها
وبـاركـا الابنـة وتـركـا ابنها
للحـرب المقـدسـة ضـد وحـوش البشر
ضد إنسان الصحراء المزدري والمتعطش للدماء (٣٦)

ويحذر هذا الشاعر الصهيوني في قصيدة «ألفية شاؤول» المستوطن اليهودي من العربي الذي يصفه «بالمتوحش» ويخشى أن يأتي ويهدم ما قام به من إعمار فيقول:

اجعل حراسة في الليل والنهار ضد العربي المتوحش
خشيـة أن يـأتي فينـزع شجـرتك (٣٧)

إن فلسطين التي زعم اليهود أنها كانت صحراء قبل قدومهم، إنما كانت تصدر الحبوب والحمضيات بكميات وفيرة. وقد ورد ذلك في كتابات بعض الصهاينة فيقول المفكر الصهيوني آحاد هعام (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م): «لقد اعتدنا في الخارج على القول إن أرض فلسطين شبه صحراوية، وليس فيها زرع ولا حيوان، فمن شاء امتلاك أرض يستطيع أن يحضر إلى هنا فيأخذ منها ما يريد. إلا أن الواقع يختلف عن ذلك تمامًا، إذ يصعب أن نجد على طول البلاد وعرضها أرضًا غير مزروعة، والمناطق الوحيدة التي لم تستصلح هي مساحات من رمال وجبال صخرية تحتاج إلى جهود شاقة لكي تصبح مناسبة لزراعة أشجار الفاكهة» (٣٨)

خلاصة ذلك أن ظاهرة التهرب من الواقع وسمت الحركة الصهيونية في فلسطين مثلما وسمتها منذ بداياتها الأولى، فقد انطلقت من مسلمات الفكر العنصري الأوروبي لتبرير استعمارها لفلسطين بما يتضمنه ذلك من النظر إلى اليهود بوصفهم «جنسًا أسمى وأرقى» من العرب، الذين فشلوا في استثمار بلادهم وجاء اليهود بكل ما يملكون من «مواهب فريدة» لكي يقودوهم في مدارج الرقي والتقدم.

استخدمت للمرة الأولى لوصف حي من أحياء البندقية عام ١٥١٦م.

(١٥) منطقة الاستيطان: مصطلح يطلق على مناطق التجمع اليهودي في شرق أوروبا عامة وفي روسيا خاصة.

(١٦) آهارون بن اور، تاريخ الأدب العبري الحديث، المجلد الثاني، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ وراجع أيضًا: أفراهام شأنان، قاموس الأدب العبري الحديث والعام، ص ٨٩٧.

(١٧) كل أشعار بياليك، ص ٢٩٧.

(١٨) حاييم نحمان بياليك، حياته واتجاهاته الأدبية، ص ٢٧٠.

(١٩) معاداة السامية مصطلح يستخدم عادة للدلالة على معاداة اليهود وكان الصحفي الألماني «ولهلم مار» هو أول من استخدم هذا المصطلح عام ١٨٧٩م وذلك بعد الحرب البروسية ـ الفرنسية التي تسببت في انهيار كثير من الماليين الألمان مما جعلهم يلقوم باللوم على اليهود.

(٢٠) الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية، ص ٢٧.

(٢١) هو الشاعر م. ص. مانه (١٨٦٠ ـ ١٨٨٧م) تعلم في أكاديمية للفن بمدينة بترسبورج. توفي في السابعة والعشرين من عمره.

(٢٢) يهودا اسم مملكة إسرائيل الجنوبية قديمًا التي انفصلت عن المملكة الشمالية بعد موت سليمان.

(٢٣) يهودا هاليفي (١٠٧٥ ـ ١١٤١م) شاعر وطبيب أندلسي يهودي، يعد من أشهر الشعراء اليهود في العصور الوسطى.

(٢٤) يوسف كلوزنر، الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث ١٧٨١ ـ ١٩٣٩م، عكا ١٩٨٦م، ص ٨٨.

(٢٥) الكيبوتس مستوطنة صهيونية تضم جماعة من المستوطنين يعيشون ويعملون سويًا بطريقة جماعية. وقد أريد لها في البداية أن تعتمد على الزراعة بصفة أساسية.

(٢٦) شاؤول تشرنيحوفسكي شاعر روسي يهودي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٣م). يعد هو وبياليك قطبي البعث الأدبي العبري في روسيا.

(٢٧) أشعار شاؤول تشرنيحوفسكي، دار نشر «دفير»، تل أبيب ١٩٦٨م، ص ٦٨.

(٢٨) راشد حسين، حاييم نحمان بياليك، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة العبرية، القدس، دار نشر «دفير»، تل أبيب ١٩٦٦م، ص ١٦٧.

(٢٩) الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، ص ٣٥.

(٣٠) السيد يسين، الصهيونية ايديولوجية عنصرية، مقال في المجلد الأول من «الصهيونية والعنصرية» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧م، ص ٨٩.

(٣١) كل أشعار تشرنيحوفسكي، ص ٨٩.

(٣٢) هو الأديب شالوم يوسف شابيرا. ولد بمدينة بارتسيب ببولندا في عام ١٩٠٤م.

(٣٣) ش. شالوم، أشعار، الجزء الرابع، «يفنه»، تل أبيب ١٩٦٦م، ص ١٣٨.

(٣٤) الصهيونية أيديولوجية عنصرية، ص ٨٩.

(٣٥) نفس المصدر، ص ٨٩.

(٣٦) أشعار شاؤول تشرنيحوفسكي، ص ١٢١.

(٣٧) نفس المصدر، ص ١٢٣.

(٣٨) د. روجيه جارودي، ملف إسرائيل، دار الوثبة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٥.

هواية الإعنات

بقلم: د. محمد رواس قلعه جي

أنزل الله تعالى الدين ليسعد به معتنقوه، وكل من سخر الدين لإتعاس معتنقيه فقد ضلّ الطريق، وخرج بالدين عن هدفه؛ لأن رحمة الله تعالى تسبق عذابه.

ومن رحمته: أنه يكفّر بالحسناتِ السيئات، كما قال تعالى: ﴿إن الحسناتِ يُذهِبْنَ السَّيئات﴾ هود ١١٤.

ومن رحمته: أنه يكفّر الصغائرَ باجتناب الكبائر، كما قال تعالى: ﴿إنْ تجْتَنِبوا كبائرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكفِّر عنكُم سَيِّئاتِكم﴾ النساء ٣١.

ومن رحمته: أنه يرجّح يوم القيامة كِفّةَ الحسنات بكلمة «أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله» على كِفة السيئات التي ملئت بسجلات السيئات، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سِجلاً ـ ملئت بالسيئات ـ كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أَتُنْكِر من هذا شيئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا. يا رب، فيقول: أَفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا. يا رب، فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظُلْم اليوم، فيُخرج بطاقة فيها «أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله» فيقول الله: احضُرْ وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلَم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء». (١)

ومن رحمته: أنه فرض على الأغنياء كفالة الفقراء، حيث يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا مُخالف له من الصحابة فيما نعلم: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لأخذتُ فضولَ أموال الأغنياء ورددتُها على فقرائهم». (٢)

ومن رحمته: أنه تعالى لم يرهق عباده بتكليف من التكاليف الشرعية، فتكاليفه تعالى منوطة بالإمكان مع عدم الإرهاق، فاستَمِعْ إلى الجن الذين عرفوا الإسلام، كيف يصِفونه؟ : بأنه لا ظلم فيه ولا إرهاق، حيث يحكي لنا الله تعالى قولهم في سورة الجن: ﴿وأنّا لمّا سمِعْنَا الهُدى آمَنّا به، فمن يؤمِن بربّه فلا يَخافُ بَخْسًا ولا رَهَقًا﴾ الجن ١٣.

ويكون عدم الإرهاق هذا من أن الله تعالى راعى في جميع تكاليفه الشرعية الأصلية إطاقة أواسط الناس من عبادِه، كما قال تعالى: ﴿يُريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بكُمُ العُسْر﴾ البقرة ١٨٥، حتى إذا صارت هذه التكاليف مرهقة لشخص من الأشخاص بسبب ظرف خاصٍ به، كالمرض أو السفر أو الإعاقة أو نحو ذلك، فتح اللهُ له بابَ الرحمة، كما قال تعالى: ﴿فإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا * إن مع العُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح ٥ و٦، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسرًا﴾ الطلاق ٧؛ لأن الله تعالى لا يكلّف نفسًا إلا وُسعها، كما قال تعالى: ﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَها﴾ البقرة ٢٨٦، وكما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا أمَرْتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». (٣)

أصول يرونها حقًّا

ورغم كل هذه الأدلة والنصوص الجاعلةِ التيسيرَ أصلاً من أصول الشريعة يجب الأخذُ به، ومقصدًا من مقاصدها يجب التوجه إليه، فإننا نجد فريقًا من الدعاة والوعاظ يأبون إلا إعنات المسلمين وإرهاقَهم، بتكليفهم من الأحكام أشقّها وأصعبها، معتمدين في ذلك على عدة أصول، يرونها حقًّا، ولا نراها كذلك، وقد نرى بعضها حقًّا، ولكنه لم يوضع موضعَه، ومن هذه الأصول ما يلي:

الأصل الأول: الحزن والهَمّ والخوف والبكاء: فالمسلم المثالي عندهم هو الإنسان الدائم الحزن، الدائم الهَمّ، والدائم البكاء، الدائم الخوف، ومصدر همه وحزنه الآثام التي ارتكبها، وكأنه قد قطع كل رجاء له من الله تعالى.

إنهم يعتمدون في تربية الناسِ على تقوية عقدة الذنب في نفوسهم، وإماتة الشعور بالرجاء، مع أن الرجاء بالله تعالى هو المقدَّم، وأن الله تعالى يفرح بتوبة عبده المؤمن، ولا يفرح بعقوبة عبده المذنب، وأن العبادة الناشئة من حب الله تعالى أعمق وأعظم أثرًا من العبادة الناشئة من الخوف من الله، ولذلك قدَّم اللهُ تعالى الحب على الخوف في قوله جل شأنه: ﴿إنَّهم كانوا يُسارِعونَ في الخيراتِ ويَدْعوننَا رَغَبًا ورَهَبًا﴾ الأنبياء ٩٠.

إن التربية غير المتوازنة ـ أعني التي يكون فيها الخوف أقوى من الرجاء ـ لا تُنتج إنسانًا سويًّا، كما أن الإفراط في الرجاء وضمور الخوف من نفس الإنسان قد يدفعه إلى التحلل من القيم الدينية إلى الانحراف، وكلاهما مَرَض يتطلب علاجًا، والعلاج مع إقامة التوازن بين الخوف والرجاء، وجعل امتثال التكاليف الدينية نابعة من الحب وليس من الخوف.

الأصل الثاني: العمل بالأحوط: والفتوى بالعمل بالأحوط ـ أو بالاحتياط ـ يضيّق الخناق على الناس، ولذلك قرر الفقهاء أنه لا يفتي المفتي بالأحوط، ولكن الإنسان إن أراد أن يحتاط لدينه فذلك أمر حسن، وليس لأحد أن يُلزِمه بذلك، بل ويذهب فريق من العلماء ومنهم ابن تيمية يرحمه الله تعالى ـ وهم على حق فيما ذهبوا إليه ـ إلى أن العملَ بالاحتياط ليس من الدين، ويرى ـ يرحمه الله تعالى ـ أن الشك إذا طرأ على الإنسان وجب عليه إزالته بترجيح أحد طرفيه، ولا يستحب ولا يشرع الإعراض عن هذا الترجيح للعمل بالأحوط (٤) ويرى ـ يرحمه الله تعالى ـ أن المشكوك في وجوبه لا يجب فعلُه ولا يستحب تركه (٥) وأن المشكوك في تحريمه لا يجب تركه ولا يُستحَب فعله (٦).

الأصل الثالث: التوسع في سد الذرائع: وهو يعني تحريم كل ما يُتَوَهَّم أنه يمكن أن يكون ذريعةً للفساد، ونحن لا نريد أن نناقش فيما إذا كان سد

❞ التزيُّد في الدين مثل الإنقاص منه، ليس من الدين ❝

الذرائع أصلاً معتبرًا في الشريعة أو لا، فإن هـذا موضع اختلاف قديم، حيث اعتبره بعضهم أصلاً من أصولها، وأنكر بعضهم الآخر كونه أصلاً من أصولها؛ لأن الله تعالى حين حـرم الحرام يعلم أن الفعل الفلاني سيكون ذريعـةً له، ومع ذلك فإنه قد أحله، وما أحله الله لم يكن لأحد أن يحرّمه، ولكننا نريد أن ننبه إلى خطر التـوسع في استعمال هذا الأصل؛ لأن التوسع فيـه يؤدي إلى تحريـم الكثير من المباحات، وهذا فيه الكثير من التضييق على الناس والإعنات لهم.

الأصل الرابع: عـدم النص على الحِلّ، أو عدم فعل الـرسول: الأصل في الأشيـاء والتصرفات الحِلّ، ولا يحرم منهـا شيء إلا بـدليل محرِّم، عمـلاً بقولـه تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَ لكُم مـا في الأرْضِ جميعًا﴾ البقرة ٢٩، لا يُستثنىٰ من ذلك إلا العبـادات غير المعقـولــة المعنى، فإنـه لا يشرع أداؤهـا إلا كما ورد بها الشرع، ومن حرَّمَ كلَّ ما لم يرد به نص محلِّل، أو كل ما لم يفعله الرسول ﷺ فقد أخطأ الطـريق، وضيَّقَ على النـاس واسعًـا؛ لأن الأصل أن يُطلَب النصُّ على التحريم، ولما كانت النصوص ـ من قـرآن أو سنة ـ محدودة، كانت المحرمات محدودة، ويبقى مـا عـداهـا على أصـل الحِلّ؛ وقلبُ الآيـة بطلب النص على الحِلّ، يجعل الأشياء الحلال محدودة، ويبقي ما عداها على التحريم، وهذا فيه إعناتٌ كبير وتضييق على العبـاد، بل وإن ذلك يؤدي إلى تعجيـز الشريعة عن مسايرة الحضارة؛ لأن ذلك يعني تحريم كل جديد.

الأصل الخامس: الخلط بين العـادات والعبـادات: عندمـا يطلق الفقهاء كلمة «العبادات» فإنهم يريدون بها ما جاءت به النصوص الشرعية من قرآن أو سنة ــ مما هـو غير معقول الحكمـة في أذهان النـاس، وإنما هو أمـر تعبدي، كصلاة الظهر أربع ركعات، وجلد القاذف ثمانين جلدة، وتحديد عورة الرجل بما بين السرة والركبة، ونحو ذلك.

أما «العادات» فهي على نـوعين: عادات ورد بها الشرع، وما ورد به الشرع منها فقد صار شرعًا لا تجوز مخالفته، ونوع لم يرد به الشرع، وهذا يكون الأمر فيه على السَّعة، ولا يجوز تحريمه إلا إذا كان مناقضًا لنص شرعي، أو مخالفًا لمقصد من المقاصد المعتبرة للشارع، ولكن بعض الـدعاة أو الوعاظ يُلحِق الكثير من العادات التي لم يـرد بها نص شرعي بالعبادات، فيحـرمها؛ لأنه لم يـرد بحِلِّها نص شرعي، أو لأن الرسول ﷺ لم يفعلها، وهـذا يورث تضييقاً على الناس في حيـاتهم، فيشعـر المرء أنـه محاط بالقيـود من كل مكـان، فينغّص عليـه هـذا الشعور حياته.

دوافع الإعنات

إن بعضهم يجعل هـذه الأصـول الخمسة التي من شـأنها إعنات النـاس، عمدته في الفتوى، يدفعه إلى ذلك أمران:

الأول: توهمُه أن التيسير على النـاس يدفعهم إلى التحلل من الـدين، وأن التشديـد عليهم فيه ـ اعتمادًا على هذه الأصـول الخمسة ونحوها ــ يدفعهم إلى التزام أحكام الدين.

وهـذا ظن غير صحيح؛ لأن هـذا لا يـدفعهم إلى التـزام الـدين، ولكنـه يدفعهم إلى التـزيُّد في الـدين، والتزيد في الـدين ليس من الدين، كـالإنقاص منه؛ ولأن هذا التشدد ينفّر من الدين من يريد الدخول فيه، كما يصد من يريد التوبة من الفساق عن التوبة، لما فيه من الإرهاق والإعنات، ولذلك أعفى ابن تيمية يـرحمه الله تعالى مَن مضى عليه سنون كثيرة وهـو يكسب من الحرام، وقد جمع ثروة من الحرام، ولا يعلم الذين ظلمَهم بأخذِ أموالهم، أعفاه من إنفاق ما جمعه من الحرام في مصالح المسلمين، لئلا يصده ذلك عن التوبة(٧)

الثاني: نيل الحَظْوَة عنـد العوام؛ لأن جمهـور العوام يعتقـدون أن العالم كلّما كان أكثر تشددًا كان أكثر تقوى.

ونحن لا نطعن في دين ولا في إخلاص كل من سلك مسلك التشدد، ولا نقول: إنه يريد بذلك نيلَ الحظوةِ عنـد العوام، وتكثيرَ مريديه، ولكننا نقول: إن كل واحد يحب أن يكـون محبوباً من الناس، مبَجّلاً بينهـم، وإذا قال القول حفظـه الناس عنـه، وإن فعل الفعل اقتدوا بـه، وإذا علم المرء أن طريقَـه إلى ذلك سلوكُ طـريق معين، فإن عقله البـاطن يقوده إلى هذا الطـريق، ويبرر له سيره فيه، ويكـون سيره فيه أسرع إذا التمس له عقلُه البـاطن المبرراتِ الشرعية لسلوكه، وهذا ينطبق على هؤلاء، فإنهم على ما هم عليه من التقى، فإن عقلهم الباطن يزيّن لهم التشدد ويدفعهم في طـريقه دون شعور منهم بذلك، بل وهم يحسبون أنهم بذلك يُحسنون صنعًا.

ولذلك كـانت العصمة في الـوقوف عنـد أوامر الله تعـالى ونواهيـه، وعدم التزيد فيهـا، ولا تجاوزها إلى غيرها، وإذا التبست بغيرها فـالمفروض بالمفتي أن يُفتِيَ المستفتي بما هو أسهـل عليه من الحق ترغيبًـا للناس في الـدين وتحبيبًا لهم فيـه، وتحقيقًا لمقصـد الشارع بقـوله تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكم في الـدينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج ٧٨. والله أعلم وهو سبحانه ولي التوفيق.

○ ○

الهوامش

(١) أخرجه الترمذي في سننه بسند صحيح في كتاب الإيمان، بابٌ فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة: صدقة/ ٥ ب من تأليف الكاتب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

(٤) موسوعة فقه ابن تيمية، مادة شك/ ٦٢ من تأليف الباحث، والمراجع التي أشارت إليها.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ١٢٤، والقواعد النورانية ص ٩٣ لابن تيمية أيضا.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤/ ٦٢.

(٧) موسوعة فقه ابن تيمية، مادة: كسب/ ٥ جـ، والمراجع التي أشارت إليها.

اتّجاهات زكي نجيب محمود في مجالي العقل والوجدان



د. زكي نجيب محمود

محمد مرسي محمد مرسي

توفي في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٤ هـ أحد رواد الحركة الثقافية العربية د. زكي نجيب محمود، الذي يعتبر عطاءً متصلاً من الفكر، وأثرى المكتبة العربية بدراسات مهمة، واشتهر بكتابيه «المنطق الوضعي» و «تجديد الفكر العربي»، وقد استشعر في الفترة الأخيرة دنو أجله فأنجز عمله العظيم «حصاد السنين».

إن زكي نجيب محمود يعد مثلاً حيًّا لظاهرة الدمج بين العقل والوجدان، ولهذا فإن من الطبيعي أن نسأل الآن: ما الإسهامات التي قدمها هذا المفكر في كل من هذين المجالين؟

أولاً: مجال التحليل العقلي

يمكن أن نقول: إن زكي نجيب محمود قدم الكثير لمجال العقل ابتداء من محاولاته لتحديد «مفهوم العقل» نفسه مبينًا مجالات استخدامه، إلى محاولته إشاعة النظرة العقلية على نحو ما حددها في النقاط الخمس التالية:

١ - أولى الصفات التي تشكل ما نسميه بالنظرة العقلية، وهي نفسها نتائج نابعة من ذلك المبدأ العقلاني، أن تتحدد الأشياء بنسبها الصحيحة بعضها من بعض، فيبدو الكبير كبيرًا كما هو، والتافه تافهًا كما هو، فقد تهتم الدولة المتحضرة بمسألة علمية تريد لها أن تستقر في أذهان الناس، ولكنها تتغاضى عن توافه السلوك التي ربما اختارها هذا الشخص أو ذاك.

٢ - من النتائج التي تترتب على الوقفة العاقلة أيضا إيثار الآجل على العاجل الذي قد يكون فيه خير قليل قد يعقبه شر كثير، أو كان في الآجل خير كثير قد يسبقه شيء من ألم التضحية.

٣ - من أبرز جوانب النظرة العقلية وأكثرها أهمية بالنسبة لنا، أن تُرد الظواهر إلى أسبابها الطبيعية، فلا يعلل - مثلا - سقوط المطر إلا بظروف المناخ.

٤ - النظرة العقلية تنظر إلى الواقع كما هو لتحوره إلى واقع جديد إذا أرادت، دون أن تقيم بينها وبين الواقع حائلاً تنسجه الأوهام، ثم سرعان ما تنسى أنه أوهام. فإذا كان البدائي يخلق لنفسه الخرافة لينظر بمنظارها إلى واقع الدنيا، فإن المتحضر هو الذي يواجه تلك الوقائع كما تبدو لبصره وسمعه.

٥ - على أن أبرز ما تتميز به النظرة العقلية إلى الكون هو حب الإنسان للمعرفة. حيث يلمّ بأسرار البيت الذي هو ساكنه؛ فالعقلاني في نظرته ذو نهم إلى معرفة الحقائق والطبائع والعلل، لا يصده عن ذلك شيء من التحريم الذي يفرضه البدائيون على أنفسهم.

لكنّ هناك جانبًا بالغ الأهمية هو استخدامه للفاعلية العقلية أو النشاط العقلي في تحديد كثير من المفاهيم الشائعة وتحليلها وإلقاء الضوء عليها، وهي مهمة شاقة في مجتمع اعتاد أن يرسل القول على عواهنه ويستخدم الفكرة الغامضة لمجرد أنها موجودة، أو لأنها تثير وجدانه، مع أن الحياة الفكرية بمعنى من أدق معانيها هي تحديد الفواصل بين المعاني المتداخلة أو المتشابهة؛ ولك أن تحكم على أمة بدرجتها في مدارج الحياة الفكرية بمقدار ما استطاع أبناؤها تحديد المعاني التي يتداولونها [(١)]. وهذا هو الدور الذي تقوم به « **الفاعلية الفلسفية** ». فما توصف به الفاعلية الفلسفية أحيانًا **أنها محاولة لتوضيح المفاهيم التي تقع عند الناس بين الجهل التام والعلم التام، يعني أنها مفاهيم يتداولها الناس وهم على بعض العلم بها،** فلا هم يجهلونها كل الجهل، ولا هم يعلمونها كل العلم، فتتناولها الفلسفة بالتحليل والتوضيح لعلها تبلغ من معانيها مبلغ التحديد الدقيق الحاسم. فهذه المفاهيم التي تقع عند الناس وسطًا بين الغموض والوضوح هي أشبه بمدينة تراها على مبعدة فترى بروزًا ممتدًا في الأفق [(٢)].

وهكذا قل في كثير من المفاهيم والأفكار التي نتداولها في مجرى حياتنا الفكرية، بل في مجرى حياتنا العملية، والتي نشعر أن الحياة، فكرية أو عملية متعذرة بدونها، ومع ذلك فعلمنا بها لا يكاد يتعدى علمنا بأن الأفق البعيد مدينة كبيرة. وهنا يكون عمل الفلسفة أن تدنو بنا من تلك المفاهيم لنراها في تفصيلاتها ودقائقها. والعجيب أن يتهمك الناس نتيجة لهذا التحليل بأنك تعقّد البسيط وتصعّب السهل. حين جاءهم

الفيلسوف بتحليل يفكك لهم أوصال المفاهيم التي يتداولونها فثاروا في وجهه كأنهم كانوا يجدون النعمة في الفهم المبهم، ويخشون أن يفسد تحليل الفلاسفة عليهم ما كانوا به ينعمون ! (٣).

كانت طريقته أن يمسك بعدسة مكبرة تكشف للقارئ عناصر الفكرة التي هي مدار الحديث، فذلك وحده كفيل أن يزيل ضباب الغموض الذي يكتنف المفاهيم المحورية التي عليها تدور ثقافتنا (٤).

فالتوضيح معناه تحليل المفهوم الغامض لاستخراج العناصر الداخلة في تكوينه لكي نفهمه، تمامًا مثل أي عملية كيميائية، فلكي تفهم الماء أو الهواء أو قطعة الفحم أو ما شئت فهماً علميًا، عليك بتحليلها في المعامل، وكذلك التحليل العقلي للأفكار الغامضة عليك أن تحللها تحليلاً عقليًا لكي تكشف عناصرها ومكوناتها التي دخلت في تكوينها (٥).

ونرى أستاذنا الكبير **الدكتور إمام عبد الفتاح إمام** يقدم نماذج لهذه الأفكار التي قام **زكي نجيب محمود** بتحليلها ويقسمها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : أفكار سياسية

أ ـ المثقف الثوري :

في الستينيات ظهر تعبير «المثقف الثوري» وشاع على أقلام الكتّاب، وكان على مفكرنا الكبير أن يطرح على نفسه هذا السؤال : **متى يكون المثقف مثقفًا ؟** وكفى، **ومتى يكون مثقفًا وثوريًا معًا ؟** ويجيب من خلال منظورين «للإسراء والمعراج»، أما الأول فهو حديث للرسول الكريم أورده **ابن عربي** يقول فيه : «ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به» مشيرًا بذلك إلى رجوعه من حالة الرؤية «رؤية الحق» إلى دنيا الناس ليخاطب فيهم من ضلَّ ليهديه سواء السبيل. والمنظور الثاني حديث لواحد من الصوفية يقول : «صعد محمد النبي العربي إلى السموات العلى ثم رجع إلى الأرض، قسماً بربي لو بلغت هذا المقام لما عدت أبدًا»، ونحن هنا أمام نمطين مختلفين من الوعي : الأول تتميز به حالة النبوة، والآخر حالة المتصوف الذي يشاهد « الحق » ويتمنى ألا يعود إلى الناس، فإذا عاد كانت عودته غير ذات نفع كبير؛ لأنه سيحصر نفسه في ذاته منتشيًا بما قد شاهد (٦) وها نحن أمام رجلين : رجل يرى الحق فتكفيه الرؤية، ورجل يرى الحق فلا يستريح له جنب حتى يغير الحياة وفق ما رأى، ولست أرى ما يمنع من التوسع في التطبيق بحيث نجعلها تفرقة بين المثقف الذي ينعم بثقافته، إلا إذا استخدمها أداة لتغيير الحياة من حوله. وفي هذه الحالة الثانية يكون المثقف مثقفًا وثائرًا معًا . . » (٧).

ب ـ إرادة التغيير :

ويحدد هنا أن الإرادة هي نفسها العمل الذي يحقق الهدف ويزيل ما قد يحول دون تحقيقه شريطة أن يكون الهدف هو هدفك أنت وإلا كنت آلة مسخرة في يد صاحب الهدف، إنك في العمل الإرادي أنت الآمر والمأمور، إنك وأنت تعمل العمل الذي تسعى به إلى تحقيق أهدافك، فأنت عندئذ بجميع سلوكك تجسيد للإرادة وتنفيذها (٨).

وهكذا نجد أن قولك «إرادة التغيير» لا يزيد شيئًا عن قولك «الإرادة» ؛ لأن هذه لا تكون بغير فعل، ولا فعل دون تغيير؛ فسواء أكان التغيير الحادث ضئيلاً أم جسيماً فهو تغيير، لأنك لا تفعل الفعل في خلاء، بل لتحرك به شيئًا فيتغير مكانه، وباختصار **كل إرادة فعل وكل فعل حركة وتغيير،** ومن ثم فلا ينبغي أن نتحدث عن «إرادة التغيير» بل عما نريد تغييره، أو الهدف الذي من أجل تحقيقه تغير ما تغير، وهو يقترح أن يتجه التغيير إلى المعايير والقيم التي تسود حياتنا ويضرب لها مثلا بالتوحيد بين العام والخاص : «فنحن بما ورثناه من تقليد اجتماعي أحرص ما نكون على «الملك الخاص» وأشد ما نكون إهمالاً «للملك العام» كما هي الحال في العناية الواجبة بالابن والعناية الواجبة بالمواطن البعيد والعناية بتنظيف الدار من الداخل والعناية بتنظيف الطريق العام، بين المال الذي نملكه والمال الذي تملكه الدولة، بين العيادة الخاصة يديرها الطبيب الذي يستغلها، والمستشفى العام يديره الطبيب نفسه ـ لكنه يديره باسم الدولة» (٩).

وقل مثل ذلك في معاني «الجاه» و «الصدارة في المجتمع» و «الزهو بعدم الخضوع للقانون» (١٠).

جـ ـ يمين الفكر ويساره :

حول هذا المفهوم يقول : «إنني أراها محتومة حتماً وهي أن ليس هناك فواصل فارقة في ميدان الفلسفة بين يمين ويسار، وكذلك لست أعتقد أنه يطوف لأحد ببال أن يكون في «العلم» يمين ويسار . . » (١١).

لكن هذه التفرقة تكون واضحة في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة . . فضلاً عن مضمون الأدب دون الشكل، ومضمون الفن التشكيلي وشكله معًا عند من يطالبون الفنان بأن يحمل فنه رسالة في الاقتصاد والاجتماع (١٢).

المجموعة الثانية : التطرف الديني

توصل المفكر الكبير من تحليله لمفهوم التطرف إلى أن هناك أربع خصائص للمتطرف في مجال الدين أو في أي مجال غير الدين هي :

(١) إذا كان اتخاذ الإرهاب وسيلة لإرغام الخصوم هو العلامة الحاسمة التي تميز المتطرف عمن سواه، كان محالاً أن يلجأ إليه إنسان قوي واثق بنفسه وعقيدته، وإنما يلجأ إليه من به ضعف في أية صورة من صوره، لماذا ؟ لأن الإنسان إذا أحس في نفسه ضعفًا تملكه الخوف من أن يطغى عليه أصحاب المواقف الأخرى، وكأيّ خائف آخر ترى المتطرف هلوعًا جزوعًا يُسرع إلى أقرب أداة للفتك بخصمه إذا استطاع قبل أن تسنح الفرصة أمام ذلك الخصم (١٣).

> « ليس هناك فواصل فارقة في ميدان الفلسفة بين يمين ويسار »

اتجاهات زكي نجيب محمود في مجالي العقل والوجدان

(٢) سمة أساسية للمتطرف، وهي سمة تؤخذ عليه، أن يقوم بإرهاب الآخرين لإرغامهم على قبول ما يدعو إليه هو وزمرته، وفي ذلك الإرهاب يسكن جوهر التطرف، فليست المسألة أنه يختار لنفسه وجهة نظر يرى الأفكار والمواقف من خلالها، وإنما المسألة أنه يريد أن يُرغم الآخرين بالقوة على الأخذ بها. فالأمة الإسلامية مثلاً نفرت من الخوارج، لماذا ؟! «كانت العلة في تطرفهم، هي اللجوء إلى القسوة العنيفة إرهابًا لكل من وقعت عليه أيديهم حتى يوافق على وجهة نظرهم، وإذا لم يفعل قتلوه بأفظع صور القتل وأبشعها، مع أنهم كانوا لا ينقطعون عن عبادة الله لحظة واحدة، ويديمون الصلاة حتى لقد كانوا يعرفون بها كانت تتقرح به جباههم من السجود على حصباء الأرض العارية» (١٤).

(٣) لا يتطرف بالمعنى السابق إلا من حمل على كتفيه رأسًا فارغًا وخاويًا، اللهم إلا أضغاثًا دفع بها إلى ذلك الرأس عن فهم أو عن غير فهم. وذلك لسببين :

أ ـ أن تكون الأفكار التي شحن بها رأسه غير علمية لأن الفكرة العلمية مقطوع بصوابها.

ب ـ أن ما يمتلئ به رأس المتطرف، ما دام لا يمت إلى العلم بصلة، لا بد أن يكون فيه الخصائص المضادة للعلم، ومنها «حرارة الانفعال» وغموض المعنى واحتمال أن تتعدد فيه وجهات النظر (١٥).

(٤) السمة الأخيرة أن التطرف، في الواقع، حالة من حالات التكوين النفسي، ولا نقول إنه وجهة نظر إلا من باب التساهل، وإنما هو في حقيقته الدفينة «حالة نفسية» تجعل صاحبها على استعداد لأن يتطرف وكفى ! فليس المهم هو الموضوع الذي يتطرف فيه، بل المهم في تكوينه أن يتطرف للتطرف في حد ذاته، ومن هنا رأينا أمثلة كثيرة لمتطرفين يقفزون بين يوم وليلة من تطرف في فكرة إلى تطرف في الفكرة التي تناقضها، فتراه اليوم متطرفًا في رؤية إسلامية معينة ثم نراه غدًا متطرفًا في رؤية شيوعية، أو العكس مع أن الإسلام والشيوعية ضدان لا يلتقيان.

ثانيا : مجال الوجدان

يتمثل الجانب الوجداني عند مفكرنا في الفن بصفة عامة، والأدب بصفة خاصة، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن **زكي نجيب محمود** هو واحد من أبرع كتاب المقالة الأدبية في أدبنا المعاصر، وهو صاحب رأي خاص في نقد الأدب وكتابة المقال الأدبي.

لكننا نريد الآن أن نفرق بين الأدب بوصفه ممثلاً لجانب «الوجدان» والعلم بوصفه معبرًا عن «العقل»، فأين يختلفان وكيف يلتقيان ؟!

الأدب والعلم

كثيرًا ما عقد مفكرنا موازنات مطولة بين الأدب والعلم لكي يفرق بينهما من ناحية، ولكي يهاجم من ناحية أخرى أصحاب «**الأدب العلمي**» مبينا أنهم يخلطون بين أمرين لا يجوز الخلط بينهما. ذلك لأننا نجد أنفسنا، في حالة الأدب والعلم، أمام ضربين من الكلام يختلف أحدهما عن الآخر أتم الاختلاف، ويستحيل أن يتحول إليه «كما يستحيل أن تتطور الأغنام إلى أبقار»، لا لأن الأدب متميز عن العلم بجمال أسلوبه، مع جواز اتحادهما في مادة القول، بل لأن الاختلاف أعم من ذلك بكثير : فالعبارة العلمية من طراز والعبارة الأدبية من طراز آخر، ولن يستطيع جمال الأسلوب أن يعبر ما بينهما من فجوة واسعة سحيقة (١٧).

ونحن هنا إنما نعود بطريقة أخرى إلى ثنائية **«العقل والوجدان»**، وإلى ثنائية المجالين المختلفين من مجالات القول لنفرق بينهما بدقة وعناية. **فالعلم تعميم والفن تخصيص، العلم تجميع والأدب تفريد. العلم يلاحظ الأشياء والنظائر ليستخلص منها أوجه الشبه فيصوغها في قانون واحد ينظمها، والفن يلاحظ جزئية واحدة يقف عندها.** العلم يستبعد الخصائص نفسها التي يستبقيها الفن، فالخصائص الفريدة التي تميز فلانًا من الناس دون سائر الأفراد هي التي يستبقيها الفنان ليحللها ويصورها، وهي نفسها التي يستبعدها العالم؛ لأنها ليست مشتركة بين سائر أفراد النوع الإنساني. فيقول عالم النبات عن الزهر ما ينطبق على الزهر كله ما دام منتميًا إلى فصيلة واحدة. أما الفنان فيقف عند زهرة واحدة وفي لحظة زمنية واحدة يلقفها من تيار حوادثها الدافق قبل أن تمضي إلى غير عودة فيصورها رسمًا أو أدبًا أو ما شاءت له مادته التي يستخدمها وسيلة لإثبات ما يريد أن يثبته (١٨).

النقد الأدبي :

هناك مدارس كثيرة في النقد الأدبي يحسن أن نسوق عنها كلمة لنعرف أين يقف مفكرنا من هذه المدارس (١٩). فلنفرض أن أمامنا ديوان شعر أخرجته المطابع وراح النقاد يعالجونه كل على طريقته الخاصة، فكم زاوية للنظر يمكن أن ننظر منها إلى هذا الديوان ؟

١ ـ هناك الزاوية التي ينظر منها الناقد إلى الديوان المنقود، نظرة يحاول بها أن ينفذ ببصره خلال الشعر الذي يقرؤه إلى «نفس» الشاعر الذي أنشأ الديوان : ما طبيعتها ؟ أهي نفس مرحة متفائلة ؟! أم هي مكتئبة متشائمة ؟ أم هي كيت ؟ فالناقد في هذه الوقفة يتخذ الشعر «وسيلة» لغاية يهتم بها، وليس الشعر هنا غاية في ذاته، بل هو عند ناقد من هذا الطراز وسيلة للكشف عن نفسية صاحبه، وبعبارة أجلى وأوضح، **المهم عند الناقد هنا هو «علم النفس» لا «الشعر»** ومن أمثلة ذلك وقفة **العقاد** في كتابه «**ابن الرومي : حياته من شعره**» . . وقد تسمى هذا الاتجاه في نقد الأدب والفن بالاتجاه «النفسي» ويمكن أن نقول إن «فرويد» وهو يقرأ مسرحية «**أوديب**» لسوفكليس كان ناقدًا أدبيًا من هذا الطراز.

٢ ـ هناك زاوية أخرى للنظر إلى الديوان المنقود وهي شبيهة بالزاوية الأولى في كون الناقد يتخذ من الشعر الذي بين يديه «وسيلة» لغاية تثير اهتمامه في المقام الأول، وكل الفرق بين الرؤيتين أن **الناقد في الحالة الأولى يبحث من خلال الشعر عن «نفسية» الشاعر، في حين أن النقد في الحالة الثانية يبحث خلال الشعر عن «الحالة**

الاجتماعية» التي كانت تحيط بذلك الشاعر، فكأنما شعر الشاعر هنا هو بمثابة وثيقة تاريخية لصورة من صور الحياة الاجتماعية، ويمكن اعتبار كتاب طه حسين عن المتنبي مثلا لهذا الاتجاه الاجتماعي في النقد.

خلاصة القول، فقبل أن يقف الناقد من الشعر المنقود وقفة نفسية أو اجتماعية أو تأثرية، كان عليه أولا أن يتأكد أن الذي بين يديه «شعر» يستحق المعالجة بهذه الطريقة أو تلك، **ومن هنا فإن الناقد عليه ـ في رأي مفكرنا**، وتلك هي وجهة نظره في النقد ـ أن يفحص الشعر نفسه، أي أن **ينصب النقد الأدبي على الأثر الأدبي ذاته** أو ينحصر في النص ذاته، فأمام الناقد ترقيم على صفحات من كتاب ومهمته أن يحلل هذه التشكيلات اللفظية التي انتشرت أمامه على صفحات الكتاب أي النص ولا شيء غير النص؛ فالكلمات المرقومة على الصفحات هي موضوع النقد، وتحليلها وتشريحها وفحصها من جميع وجوهها هو مهمة الناقد بالأثر الأدبي ولا ينبغي أن يعتمد في فهمه على شيء سواه: «إنني لا أكون ناقدًا أدبيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إذا ما اتخذت الأثر الأدبي نافذة أنظر من خلالها إلى شيء سواه، كأن أنظر إلى البيئة والظروف الاجتماعية والسياسية التي هي قائمة وراء الأثر المدروس، إذ لو فعلت لكانت القطعة الأدبية التي أمامي بمثابة الوثيقة التاريخية لا أكثر ولا أقل ولا أصل من الأثر الأدبي إلى نافذة أنظر منها إلى دخيلة نفسه أو دخيلة نفس الناقد، إذ لو

«التطرّف حالة من حالات التكوين النفسي»

فعلت لكنت أشبه بعالم النفس يحلل لمريضه أحلامه وردود أفعاله وخواطره ومشاعره.. **الناقد** لا هو عالم اجتماع ولا سياسة ولا عالم نفس ولا طبيعة **وإنما هو ناقد أدبي غايته دراسة قطعة أدبية يختارها للدراسة** »[20]. وتلك وجهة نظر في النقد يدافع عنها كثيرون عندما يذهبون إلى أنه: «لابد من اتخاذ العمل الفني ذاته محورًا لكل ما يقال في ميدان النقد وأساسا لكل تذوّق، فالاستطراد في الكلام عن شخصية الفنان، أو وقائع حياته أو ظروف مجتمعه دون أن تربط بين ما تقوله وبين العمل الفني ذاته، لا تعدو أن تكون استطرادات ذات قيمة تاريخية أو نفسية أو اجتماعية، لكنها ليست نقدًا بالمعنى الصحيح»[21].

على أن النقد الأدبي يدخل في مجالات أشد تعقيدًا كما تفعل البنيوية مثلاً مما يجاوز هذه التحديدات العامة التي وضعها مفكرنا، لذا سنكتفي بهذه الفكرة لننتقل إلى أدب المقال.

أدب المقال

قلنا إن زكي نجيب محمود يكاد يكون من أبرع كتاب «المقالة الأدبية» في أدبنا المعاصر، ولقد كان له تصور خالص لهذا اللون من الأدب تأثر فيه بأدباء المقال الإنجليز بصفة خاصة، لكن اهتمامه بهذا الطراز من الفنون الأدبية جاء مسايرًا لاهتمام أدباء عصره بالمقال: «فأديبنا قصير النفس، تكفيه المقالة الواحدة ليفرغ في أنهرها القليلة كل ما يتأجج به صدره من عاطفة وما يختلج به رأسه من فكر؛ فإن غضب أديبنا من نقص يلمحه في بناء الجماعة أو أخلاق الفرد فزع إلى المقالة يصب فيها ثورة غضبه. وإن افتتن أديبنا بمجال الطبيعة الخلابة لجأ إلى المقالة يبث فيها ما أحس من عجب وإعجاب. فالمقال عندنا ملاذ الأديب بصفة عامة، باستثناء قلة قليلة عمدت إلى القصة أو المسرحية... إلخ ولا بأس أن يلجأ إلى المقال إذا سار على قواعد الأدب الصحيح»[22].

ولمفكرنا العديد من المقالات الأدبية التي كان لها تأثير جاد في نفوس الأدب العربي وروحه مثل مقال:

١ ـ بيضة الفيل، ٢ ـ جنة العبيط، ٣ ـ نفوس فقيرة، ٤ ـ الكوميديا الأرضية.

هذه بعض إسهامات زكي نجيب محمود في مجالي العقل والوجدان عرضتها بإيجاز شديد، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل ثوابه.

الهوامش

(١) زكي نجيب محمود، قيم من التراث. دار الشروق، ١٩٨٤م.

(٢) زكي نجيب محمود، هموم المثقفين. دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٢م.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) زكي نجيب محمود، قصة عقل. دار الشروق، ١٩٨٣م.

(٥) من حوار أجراه الدكتور صلاح قنصوه مع مفكرنا لمجلة المستقبل العربي عام ١٩٨٨م.

(٦) زكي نجيب محمود، في حياتنا العقلية. دار الشروق، ط ٢، ١٩٨١م.

(٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢) المرجع نفسه، ص ١٤٤، ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٩٤، ١٠٠ على الترتيب.

(١٣) زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية. دار الشروق، ١٩٨٧م.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٢٦٥.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٢٦٨.

(١٦) زكي نجيب محمود، أفكار ومواقف. دار الشروق، ١٩٨٣م.

(١٧) زكي نجيب محمود، قشور ولباب، الإنجلو المصرية، ١٩٥٧م، ص ١٠٧.

(١٨) المرجع نفسه، ص ١٠٨.

(١٩) انظر كتابه في فلسفة النقد ص ٢٢٠ وما بعدها، وكذلك قشور ولباب ص ١١٨.

(٢٠) زكي نجيب محمود، فلسفة النقد. دار الشروق ١٩٨٣م، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢١) فؤاد زكريا، من مقدمته، لترجمة كتاب النقد الفني، تأليف جيروم ستولنيتز. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٢٢) زكي نجيب محمود، جنة العبيط. دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٢م.

المراجع

(١) الدكتور زكي نجيب محمود فيلسوفًا وأديبًا ومعلمًا ـ الكتاب التذكاري الذي أصدره قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٨٧م ـ مطابع الوطن.

(٢) يحيى هويدي، الفلسفة الوضعية في الميزان ـ مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢م.

(٣) عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي: دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود. دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٤) إمام عبد الفتاح إمام، مجموعة مقالات مختلفة عن زكي نجيب محمود.

صداع العقول

البرهان المنطقي

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

كتب أستاذ الفلسفة بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ويزلي سالمون كتاباً عن المنطق، ترجمه الدكتور جلال موسى وقدم له الدكتور محمد علي أبو ريّان، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٨٦ م عن الشركة العالمية للكتاب. وقد فرق المؤلف في هذا الكتاب بين البرهان والاستدلال.

«وصداع» هذا الشهر عن حقيقة البرهان التي انطلق المؤلف في تقريرها من مثال من مغامرات شارلوك هولمز عن كتاب لم يَرَ النور بالعربية بعد، وهو كتاب مغامرة العقيق الأزرق «مغامرات شارلوك هولمز» تأليف أرثر كونان دويل (١).

وقصة المثال أنه وقع في حوزة شارلوك قبعة عتيقة من اللباد، فعلم أن صاحب القبعة ذو أوصاف كثيرة، من بينها أنه ذو ثقافة عالية، وأقام للدكتور واطسون البيّنة على ذلك بأن وضع القبعة على رأسه، فغمرت جبينه، واستقرت على عاتق أنفه.

ثم قال شارلوك: إن رجلاً بهذا المخ الكبير لابد وأن ينطوي مخه على شئ ما!.

قال أبو عبد الرحمن: وأورد ويزلي هذه البيّنة في صورة البرهان المنطقي من ست قضايا، فالخمس الأول مقدمات، والسادسة نتيجة على هذا النحو:

هذه قبعة كبيرة.

شخص ما صاحب هذه القبعة.

أصحاب القبعات الكبيرة أناس ذوو رؤوس ضخمة.

الناس ذوو الرؤوس الضخمة لهم أمخاخ كبيرة. الناس ذوو الأمخاخ الكبيرة ذوو ثقافة عالية.

إذن صاحب هذه القبعة ذو ثقافة عالية (٢).

قال أبو عبد الرحمن: هاهنا أشياء تتعلق بالمصطلحات. فالنتيجة تسمى قضية. وكل واحدة من المقدمات تسمى قضية. والبرهان هو جميع المقدمات. والمحصل في هذا السياق نتيجة برهان منطقي، وليس برهانا. وقد تكون نتيجة برهان مقدمة في سياق برهان آخر. وتوصف النتيجة بأنها قضية مؤيدة ـ بصيغة اسم المفعول. وكل واحدة من المقدمات تسمى بيّنة. وتكون المقدمات برهانا إذا كان بينها وبين النتيجة علاقة. وتسمى المقدمات والنتيجة معًا برهانا إذا أريد صورة البرهان المنطقي. وإذا أريد الحجة من صورة البرهان المنطقي فالمراد بالبرهان النتيجة فحسب(٣).

والحجة في المقدمات تقوم من جهتين:

أولاهما: أنهن مستمدات من الواقع.

وأخراهما: أنهن بينات على النتيجة.

قال أبو عبد الرحمن: معنى كونهن بينات على النتيجة: أن يكون لهن علاقة بالنتيجة، فقد تكون المقدمات صادقات ولا يكنَّ برهانًا لا نتفاء العلاقة بالنتيجة. بل قد تكون النتيجة صادقة أيضًا، إلا أنها ليست نتيجة فعلية لتلك المقدمات الصادقة لانتفاء العلاقة، ولهذا لا يكون سياق تلك المقدمات وتلك النتيجة برهانا منطقيًا.

مثال ذلك:

كل الثدييات مائتة.

كل الكلاب مائتة.

إذن كل الكلاب ثدييات(٤).

قال أبو عبد الرحمن: حافظت على التعبير، والمراد بالمائت الميّت، أي الذي يموت ولا يخلد. وبيّن ويزلي انتفاء العلاقة بين المقدمات والنتيجة بقوله: «المقدمات ستظل صادقة وإن كانت الكلاب زواحف وليست ثدييات. وتكون النتيجة صادقة، ولكن ليس ثمة شئ في المقدمات يقدم أي أساس لها»(٥).

قال أبو عبد الرحمن: هذا تناول لأول مباحث الكتاب، وهو مبحث «مجال المنطق» والكلام عن «البرهان».

وبقيت مسائل لا تسعها هذه الجولة.

ونعود إلى مناقشة برهان شارلوك، فنجد المقدمة الثانية تقول: «شخص ما صاحب هذه القبعة». قال أبو عبد الرحمن: قد لا يكون للقبعة شخص لاحتمال مبالغة الخياط في سعتها، وأنها لم تكن في قياس مالكها، وحينئذ لا يكون مالكها صاحبها بمعنى الشخص الذي يستدل بسعتها على كبر جمجمته.

ولكن هذا الاحتمال يدفع بمجرى العادة وهو العلم بجماجم تَسَعُ هذه القبعة، والعلم بأن الخياط لا يعبث بعمل قبعة لا تسع رأس أحد من البشر.

إذن مقدمة «شخص ما صاحب . . . » صادقة برجحان.

ونجد المقدمة الثالثة تقول: «أصحاب القبعات الكبيرة أناس ذوو رؤوس ضخمة».

ويردّ على هـذه المقدمـة أن صاحب القبعـة الكبيرة قد يكـون امتلكها وهي أوسع من رأسه فعالجها بلباس تحتها .

إلا أن هـذا الاحتمال مدفـوع بأنه خـلاف مجرى العادة ، فـالمقدمـة صادقـة رجحانا . وهـذه المقدمة على صدقهـا فضول ، والأولى أن تكون قيدًا في المقـدمة الثانية هكذا : «صاحب هذه القبعة ذو رأس كبير» .

ونجـد المقدمـة الـرابعة تقـول : «النـاس ذوو الرؤوس الضخمـة لهم أمخاخ كبيرة» .

قال أبـو عبد الرحمن : هـذه المقدمـة مشروطة بشرط مهمل هاهنـا ، وهو أن يكون الرأس الكبير سليمًا من الآفات .

وإذن فما يدرينا أن صاحب القبعة ذو رأس كبير بسبب الورم؟!

وحينئـذ لايكون كبر الـرأس دليلاً على كبر المخ . ونجـد المقـدمة الخامسـة تقول : «الناس ذوو الأمخاخ الكبيرة ذوو ثقافة عالية» .

قـال أبـو عبـد الرحمن : يـرد أن المخ الكبير دليل على الموهبـة فكـرًا وذاكـرةً وتخيلاً . والثقافة العـالية نتيجة قراءة وسماع وانتقاء ، وقد يعطـل الموهوب موهبته فلا يحصل ثقافة عالية .

وحينئذ يكون المخ الكبير دليلاً على الموهبة لا على الثقافة العالية .

ونجد القضيـة السادسـة ـ وهي النتيجـة ـ تقول : «صاحب هـذه القبعة ذو ثقافة عالية» .

قال أبو عبد الرحمن : مادام في المقـدمات فضول ، وما دام بعضها يحتاج إلى قيود فينبغي صياغة البرهان على هذا النحو :

«هذه قبعة كبيرة .

إن كان صاحبها الذي يلبسها سليم الرأس بلا ورم ، ولم يكن يعالج سعتها بلباس تحتها بل كانت على قدِّ رأسه فرأسه كبير . كبير الرأس ذو مخ كبير .

ذو المخ الكبير ذو موهبة .

إذن صاحب القبعة ذو مخ كبير ، وذو موهبة» .

قـال أبو عبـد الرحمن : هـذا بـرهان منتج لـوجـود العلاقـة بين المقدمـات والنتيجة ، وهي علاقة كشفت عن كون النتيجة مبددة ضمنًا في المقدمات .

وكل المقدمات صادقة عيانًـا سوى مقدمتي كبر المخ لكبر الرأس ، ووجود الموهبة لكبر المخ ، فهاتان المقدمتان تحتـاجان إلى اختبار علمي يؤيد صدقهما في الواقع أو ينفيه . ومن أقرّ بصدق المقدمات لزمته النتيجة .

والمؤلف ويزلي يـرى هذه الصـورة من التركيب برهـاناً مـا دام منتجًا بغضّ النظر عن الصدق في الواقع .

قال ويزلي : « حين يقدم برهان ما للتحليل المنطقي يكون التساؤل عن صلة المقدمـات بالنتيجـة موضع بحث . فـالمنطق يبحث في العـلاقة بين المقـدمات والنتيجة ، وليس في صدق المقدمات» (٦) .

قال أبو عبـد الرحمن : دفعه إلى التمسك بصورية المنطق فَصْلُـهُ بين المعرفة والمنطق ، فالمنطق عنده علم يمـدنا بأدوات لتحليل البراهين . ثم قصر التحليل على العلاقة بين النتيجة وما يؤيدها من بينات .

قـال ويـزلي : «إن المنطق يعـالج البراهين والاستـدلالات ، ذلك أن أحـد أغراضه الرئيسية هو تزويدنـا بالمناهج التي تمكننا من التمييز بين ما هو صحيح منها منطقيا وما هو فاسد» (٧) .

قال أبو عبد الرحمن : ينظر إلى المنطق من جهتين :

أولاهما : من نـاحية صُـوريَّته ، ومعنى صـوريته أن تكـون أمثلة مقـدماتـه افتراضية . والعلـوم تشرح للطلبة بـالأمثلة الـواقعية ، والافتراضيـة ، والتخيلية . فنشرح الفعل والفـاعل والمفعول بـه : بضرب زيـد عَمْرًا . ولا يكـون لهذا الخبر المفترض ـ مثالاً ـ وجودٌ في الواقع . وهكذا المنطق إذا أريد تصويره للطلبة يهم أن تكون مقدماته منتجة بغضّ النظر عن صدقه في الواقع .

وأخراهما : استخدام المنطق وتطبيقه ، فلا بد من كون المقدمات مسلمة من الطرفين لتلزمهما النتيجـة وينقطع الخلاف . وإذا نازع من لم يسلـم بـالمقدمات فلا بد من اختيـار المقدمات بوسائل المعـرفة فتكون صادقة أو كـاذبة يقينًا ، أو رجحانا أو احتمالا مستوي الطرفين .

ويكون الوثوق بنتيجة البرهان تبعا لدرجة الوثوق بتلك المقدمات .

والذي يرغب أن يكون المنطق في التطبيق منتجا صوريا غير ملتزم باختبار المعرفة لصدق المقدمات ، إنسان عابث هازل في موضع الجد .

بل لابد من تناغم المعرفة والصناعة المنطقية عند البرهنة على الأشياء ؛ لأن وظيفة المنطق اختبار الأدلة والبراهين لتكون صحيحة منتجة ملزمة .

فوسائل المعرفة تمتحن صحتها ، وصناعة المنطقي تمتحن إنتاجها ، وصناعة الجدلي تبين لزومها . ولا تكون المقـدمات منتجة في استعمال المنطق تطبيقاً حتى تكون المقدمات صادقة أو مسلمة . إن البرهان تنظيم معارف ، وإنتاج معرفة من معرفة . فإن أنتج المنطقي من مقدمات غير صادقة ولا مسلمة قيل عن نتائجه : إنها افتراضيـة ، أو وهمية ، أو متخيلـة . وإن أنتج من مقدمـات مختبرة بوسـائل المعرفة قيل إن نتائجه حقيقية بيقين أو رجحان ، أو محتملة يكون فيها التوقف .

ويتجلى دور ذي الصناعـة المنطقية في كشف المغالطـة في مقدمات صـادقة ونتيجة صادقة مثل :

كل الثدييات مائتة . . . إلخ .

فـالثدييـات تموت بلا ريـب ، ويموت غيرهـا . والكلاب تموت ، ويمـوت غيرها . فهاتان مقدمتان صادقتـان . وكل الكلاب ثدييات قضية صادقة ، وهي نتيجة صـورية في هذا المثـال ، وليست نتيجة فعليـة ؛ لأن الموت ليس خصيصة للثدييات ، بل يموت غير الثدييات ، والله المستعان .

الهوامش

(١) انظر المنطق لويزلي ص ١٦ [حاشية] .
(٢) المصدر السابق ص ١٨ .
(٣) هذا استدراك مني .
(٤) المصدر السابق ص ٢١ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢ باختصار غير مخل .
(٦) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٧) المصدر السابق ص ١٥ .

شجرة الزيتون وشجرة الزّقّوم: حول قضايا الحضارة والمدنيّة

بقلم: د. محمد مورو

أنتم رافضون للحضارة والمدنية والعلم والتقدم والحداثة، تعيشون في الماضي ولا تعيشون في الحاضر، وترفضون المستقبل. هكذا دائما يتحدث العلمانيون.

والحديث بهذه الطريقة يحمل مغالطات بالجملة، مغالطات أكثر من عدد كلمات تلك الجمل التي يلوكها العلمانيون دائمًا وأبدًا.

من هذه المغالطات التعامل مع الحضارة الغربية وكأنها هي الحضارة والعلم والمدنية، ورفض الاعتراف بالتعددية الثقافية والحضارية. ومنها إغفال تحليل علاقات السيطرة الثقافية على الصعيد الدولي، ومنها تجاهل الظرف الذاتي والموضوعي لعلاقتنا المعاصرة بالحضارة الغربية؛ أي إغفال ظاهرة الاستكبار والاستعمار والنهب والتبعية والقهر والعنصرية التي شهدها العالم وشهدناها على يد الحضارة الغربية، ومنها أيضا أن لنا نسقنا الحضاري والثقافي.

وإذا انطلقنا من أن لنا شخصية حضارية وثقافية متميزة، وأن هذه الشخصية الحضارية، والثقافية مثل الشجرة، فإن العلمانيين يطلبون منا أن نقطع تلك الشجرة من الجذع؛ لأن قطع الجذور مستحيل، وأن نلصق على هذا الجذع شجرة الحضارة الغربية؛ وبالطبع هذا مستحيل علميًا وموضوعيًا؛ لأن النتيجة أن الشجرة ستموت ولن تورق ولن تثمر، فلا نحن حافظنا على شجرتنا ولا نحن استفدنا من الشجرة الأخرى.

والموقف الصحيح والعلمي هنا أن نبدأ بدراسة خواص شجرتنا ونعرف أسباب ضعفها، ونستفيد من تجارب الآخرين حول أفضل أساليب العناية بالشجرة وأفضل طرق ريها وتغذيتها ورعايتها وأحدثها، أي الانفتاح الثقافي الواسع جدًا على تجارب الآخرين لنجعلها زادًا وغذاءً وماءً لشجرتنا الحضارية التي سوف تهضم هذا الزاد الثقافي كله داخل أجهزتها وأنسجتها الحية وتجعله جزءا منها.

إن الإسلاميين هنا، وانطلاقًا من فهمهم لهذه النقطة، لا يدعون إطلاقا للانغلاق الثقافي والحضاري، فهذا أولا: مستحيل، وهو ثانيا: يخالف تجاربهم، **لأن الحضارة الإسلامية هي أكثر الحضارات انفتاحًا واستفادة من التجارب والثقافات والحضارات**، والدعوة إلى الاستفادة من تجارب الآخرين فريضة إسلامية «اطلب العلم ولو في الصين» «الحكمة ضالة المؤمن» «من عرف لغة قوم أمن مكرهم». واللغة هنا ليست مجرد اللسان بل هي كل أنواع العلوم والثقافات، والحكمة طبعًا تعني كل أنواع الفنون والعلوم والثقافات، وكذا العلم يعني مختلف أنواع العلوم.

وانطلاقا من هذا الانفتاح الحضاري والثقافي فإننا لا نرفض أن نطعّم شجرتنا بمختلف أنواع الأشجار الأخرى، والتطعيم في علم الزراعة معروف ولكن له شروطه، فهو لا ينجح إلا بين أنواع معينة من الأشجار، ورفضنا للتطعيم بالحضارة الغربية لا ينبع من الأمر في ذاته؛ بل ينبع من الموقف العلمي الصحيح للتطعيم، لأن التطعيم هنا سيفشل حتمًا؛ لأنه بين شجرتين حضاريتين مختلفتين تماما؛ **لأن حضارتنا تقوم على**

> الحضارة الغربية ترفض التفاعل الحضاري الحر، وتسعى للهيمنة المطلقة.

التوحيد والحرية والعدل، **والحضارة الغربية تقوم على الوثنية والقهر والنهب والعنصرية والمنفعة اللاأخلاقية.**

إننا نطلب ونرحب ونؤمن بتعاون الحضارات وتفاعلها، ونؤمن ونرغب في ذلك بالشروط العلمية الصحيحة مع الحضارة الغربية، لكن المشكلة هنا أن الحضارة الغربية لا تريد التعاون ولا التفاعل الحر مع الحضارات الأخرى، إنها تريد الهيمنة الثقافية والحضارية والقضاء على الحضارات الأخرى، ولم ولن تسمح للآخرين بالاستفادة منها، إنها تطلب منهم العمل كعبيد لديها، وأظن أن الجميع يعرف أنه في حين أن حجب العلم عن المسلم وغير المسلم جريمة في الحضارة الإسلامية، فإن الغرب يحاكم ويعاقب من يجرؤ على محاولة الاستفادة من التقنية الغربية، **وقضية المهندس المصري عبد القادر حلمي خير مثال على ذلك، ذلك الرجل الذي حكم عليه بالسجن بتهمة نقل التكنولوجيا الأمريكية!**

الحضارة الغربية إذن هي التي ترفض التفاعل الحر بين الحضارات، وتاريخها مع العالم هو تاريخ الهيمنة والنهب والقهر والتعامل مع العالم بعنصرية، لذا فإن طريق التعاون مقطوع، ولا سبيل لنا إلا انتزاع العلم والمدنية والثقافة الحديثة انتزاعا، وتحقيق النهضة من خلال الصراع مع الغرب وليس الخضوع له ما دام طريق التعاون والتفاعل الحر مقطوعًا سلفًا.

وهب أننا أسقطنا كل هذه الحقائق وسلمنا بالمنطق العلماني في أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية، وعلينا أن ندخل البيت الحضاري العالمي، وأن الغرب لم ولن يمنعنا من ذلك، فهل هذه الحضارة التي تدعو العالم للدخول الحر فيها وليس التبعية لها تملك مقومات هذه العالمية، الحضارة لن تكون عالمية إلا إذا كانت تتسع للأبيض والأسود والأحمر والأصفر، ولن تكون عالمية إلا إذا كانت ذات معايير واحدة تجاه كل الجماعات البشرية، ولن تكون عالمية إلا إذا كانت منجزاتها تخدم كل البشر وليس جنسًا واحدًا منهم.

وإذا كانت الحضارة حضارة عنصرية فكيف تكون عالمية؟! وإذا كانت حضارة مزدوجة المعايير فكيف تكون عالمية؟! وإذا كانت منجزاتها العلمية قد استخدمت ليس لصالح الأوربيين وحدهم، أو طبقة واحدة منهم في رواية أخرى، بل استخدمت هذه المنجزات العلمية في قهر الآخرين ونهبهم. كيف تكون عالمية وهي التي تفسد البيئة وتثقب الأوزون وتجعل الإنسان يعيش فوق بركان نووي وذري!

إذا كان لا بد من وجود حضارة عالمية، فلن تكون إلا الحضارة الإسلامية التي تنظر للناس من جميع الألوان والأجناس والأديان نظرة واحدة، بل هي حضارة شارك في صنعها واندمج فيها الأصفر والأسود والأحمر والأبيض، الآسيوي والأفريقي والأوربي، والتي ترفض فكرة العنصرية فـ«الناس سواسية كأسنان المشط»، والتي لم تحجب العلم يوما عن أحد؛ بل سارعت إلى تقديمه إلى من يطلبه ومن لا يطلبه، وهي الحضارة التي تجعل أبناءها ليسوا فقط ممنوعين من ممارسة الظلم والقهر والعنصرية، بل هم مطالبون شرعًا بإزالة أنواع الظلم والقهر والفقر والعنصرية كافة عن أيّ إنسان أو جماعة بشرية، **وهي الحضارة ذات المسؤولية الأخلاقية عن البيئة والإنسان بل والحيوان** «لو عثرت عنزة في العراق لسئل عنها عمر» والتي تقول: «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم» والجار هنا قد يكون فردًا أو جماعة أو مدينة أو دولة أو قارة أو كوكبًا آخر، **الحضارة التي لا تعرف ازدواج المعايير ﴿ولا يَجْرِمنكُمْ شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** (سورة المائدة: ٨).

وهكذا فإن الدعوة إلى الحضارة العالمية تستلزم الدعوة بالضرورة إلى الحضارة الإسلامية لا الحضارة الغربية التي تحمل كل القيم والممارسات التي تسقط عالميتها.

قد يرد العلمانيون قائلين: إنك تتحدث عن الحضارة الغربية ككتلة صماء، والأصح أن تتحدث عن مذاهبها الصالحة فقط. ونسأل نحن بدورنا: ما مذاهبها الصالحة، مع العلم أن الاعتراف بفساد مذهب أو مذاهب واسعة منها، وليست استثناء، أو مذاهب طرفية أو جانبية فيها، يستلزم بالضرورة التفكير في كون الأرضية الثقافية ذاتها فاسدة لا تلك المذاهب فقط، ما دامت انتشرت واتسعت وعاشت في الحضارة الغربية، أي إنها خرجت عن أن تكون استثناءً من القاعدة أو شذوذًا عنها أو مجرد شيء هامشي فيها.

أليست النازية والفاشية والصهيونية والشيوعية من إفرازات الحضارة الغربية، إذن لا يعني أن فساد هذه المذاهب وسقوطها يؤكد فساد الحضارة الغربية برمتها، حسنًا، سنتجاوز هذا ونتحدث عن المذاهب المزعومة الصلاح وهي الرأسمالية أو الليبرالية أو الديمقراطية وكلها شيء واحد طبعا، ولكن أليست تلك المذاهب هي التي حكمت الدول الاستعمارية، وهي التي ارتكبت جرائم إبادة الهنود الحمر والأندوجين في استراليا، واسترقّت الأفريقيين السود، ونظمت المذابح للشعوب في الجزائر وفلسطين وفيتنام والسلفادور، ونهبت

شجرة الزيتون وشجرة الزقوم: حول قضايا الحضارة والمدنية

> « تجتمع في الغرب ممارسات ظاهرها الحرية وباطنها الخضوع اللاشعوري »

العالم كله، وأفرزت الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات التي امتصت دماء الشعوب وتركتها في حالة مجاعة وإفلاس؟ على أية حال سندعو واحدًا **من كبار العلمانيين للشهادة في هذا المذهب الأخير المزعوم الصلاح، وبعدها لن يكون هناك محل للدعوة إلى الحضارة الغربية أو أحد مذاهبها الساقط أو السائد.**

يقول د. فؤاد زكريا: «العالم كله يعرف أن الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا قد ارتكب من الفظائع ما لا تقاس جنبها أية فظائع، وأن فنون التعذيب قد وصلت على أيدي الفرنسيين في شمال أفريقيا إلى حد بالغ الفظاعة».

هذا عن الليبرالية الفرنسية، فماذا عن الأمريكية يا دكتور فؤاد؟ يسجل لنا الدكتور فؤاد: «الفظائع التي ارتكبت في فيتنام وتشجيع المذابح السياسية في تشيلي، والتعصب العنصري ضد الزنوج في أمريكا والتأييد الشديد لدولة عنصرية مثل إسرائيل».

ويصل الأمر بالدكتور فؤاد زكريا ـ ونحن نوافقه على استنتاجه ـ إلى أن الليبرالية والديمقراطية في الغرب وأمريكا ما هي إلا وهم، وأن الحرية الفردية وغيرها من الحريات ما هي إلا أكذوبة، يقول الدكتور فؤاد زكريا: «إن الأمريكي العادي قد تشكل عقله بالطريقة التي يريدها المهيمنون على أجهزة الإعلام الجبارة، وهم الذين يسيطرون على أساليب التفكير وطرق السلوك في المجتمع بأسره وأن النتيجة الحتمية لذلك أن يصبح الإنسان حتى في أبسط قراراته اليومية إنسانًا مسيّرًا لا مخيّرًا، وهكذا تجتمع في أمريكا ممارسات ظاهرها الحرية وباطنها الخضوع اللاشعوري، وأن في هذا البلد ترتع عصابات مثل المافيا وتهزأ من كل شرعية وانضباط، وتمارس تأثيرها في انتخابات الرئاسة والنقابات، وتسيطر على الاقتصاد القومي، وأن الإحساس بالأمان منعدم لدى المواطن العادي ويخاف الرجال والنساء أن يسيروا ليلاً في قلب المدن الأمريكية، ويضيف **الدكتور فؤاد**: «إن المجتمع الأمريكي تنتشر فيه اتجاهات السحر والخرافة والشعوذة»، ويخلص في النهاية إلى أن «المجتمع الأمريكي غير متوازن والحياة فيه غابة تفتقد الكثير، والعائد النهائي على الإنسان ناقص هزيل».

ويضيف الدكتور فؤاد «إن الانتخابات الأمريكية مظهر لأزمة خطيرة في الديمقراطية، وأخطر ما في هذه الأزمة هو أن الأمور كلها تسير كما لو كان كل شيء على ما يرام، والشكل الخارجي للعملية الانتخابية يوحي أن كل شروط الحرية والاختيار السليم وتكافؤ الفرص قد استكملت، ومع ذلك فمن وراء هذا الشكل الخارجي يكمن خلل أساسي يستطيع أي شخص يتعمق في تحليل الأحداث أن يلمح ممارسات لا صلة لها بالأخلاق، بجوهر الديمقراطية كما ينبغي أن يكون».

وما يقال عن نفاق الحرية في أمريكا، يمكن أن يقال بصورة أوسع عن إيطاليا، وبصورة أو بأخرى عن كل أوربا، أي إن هذا المذهب الأخير في الغرب فاسد أيضا، إذن ماذا يبقى من شيء في الحضارة الغربية يدعونا العلمانيون إلى الأخذ به.

إننا حين ندافع عن الحضارة الإسلامية ونتمسك بها ونحاول إنهاضها، فإننا في الواقع نحقق هدفين؛ الهدف الأول: هو التصدي لمحاولة الهيمنة والسيطرة الغربية علينا؛ لأننا ندرك أن الهيمنة الثقافية والحضارية هي أحد أساليب الغرب في السيطرة علينا، وأنها الأكثر فاعلية في تحقيق سيطرة مجتمع على مجتمع من كل الوسائل الأخرى السياسية والعسكرية المباشرة، والهدف الثاني: أننا نؤمن بأن قيم الحضارة الإسلامية هي القيم الأصلح إنسانيا، وأن على انتشارها يتوقف مصير البشرية، وأننا نطمح بها إلى تحرير الإنسانية وإنقاذها من الهاوية التي تسير إليها بسبب سيادة الحضارة الغربية.

الدعوة العلمانية إذن، والتي تستخدم مصطلحات الحضارة العالمية والمدنية والعلم والتقدم والحداثة والمعاصرة، ما هي إلا محاولة لتحقيق السيطرة الغربية الثقافية علينا كوسيلة تضاف إلى الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهي بهذا الأسلوب تحقق هدفين:

أولهما: تسهيل السيطرة الغربية علينا، وإفقادنا قدراتنا الذاتية على المقاومة بمسخ شخصيتنا الثقافية.

وثانيهما: تشويه سمعة تلك الكلمات والمدلولات والمصطلحات لارتباطها بالممارسات العلمانية والغربية؛ فيتم بناء حاجز نفسي بيننا وبينها، أي حرماننا من المدنية والعلم والتقدم والحداثة والمعاصرة. ولا شك أننا قد اكتشفنا هذه المؤامرة الخبيثة، **فنحن نرفض الخضوع للهيمنة الغربية، ونحن نحرص على تأكيد هويتنا وشخصيتنا من أجل مزيد من القدرة على المقاومة للهيمنة الغربية، ونحن نعتبر العلم والتقنية والحداثة والمعاصرة فريضة علينا ينبغي أن نسعى وراءها في أي مكان وزمان لنستفيد منها من خلال دمجها في مشروعنا الحضاري الحي القادر على هضمها من خلال أنسجته الحية وتحويلها إلى عوامل قوة وازدهار في كياننا الحضاري الحي.**



المشروبات في حياتنا :

الغذاء والدواء وبعض الداء

د. أحمد محمد النجار

اشتهرت مختلف شعوب العالم العربي بكرم الضيافة، وحفلت حياتنا وعاداتنا اليومية، سواء في منازلنا أو أماكن عملنا وأفراحنا وأحزاننا وأثناء رحلاتنا وحتى أوقات فراغنا، بالتسلية وتقديم المشروبات المختلفة. ولكل مشروب مناسبته ومذاقه ونكهته الخاصة وفوائده الغذائية، ويُقدّم على صور مختلفة، فمنها المثلج والحار والحلو والقابض. ونجد أن بعض المشروبات تُقدم صباحا وبعضها مساء مثل الشاي والقهوة والكاكاو، ومنها ما يقدم صيفا أو شتاء أي أثناء الحر أو البرد وهكذا. ونجد أن عددًا من المشروبات يقدم كمواد غذائية وبعضها يقدم كدواء وعلاج، ومنها ما يقدم في المناسبات المختلفة كالأفراح والأعياد والمآتم والأسفار.



الشاي: أدخله الصينيون إلى أوروبا، ومنها إلى باقي دول العالم

وفي كل دولة من الدول العربية هناك مجموعة من المشروبات تقدم بطريقة خاصة ومختلفة في طريقة تحضيرها عن الدول الأخرى، ويعتمد ذلك على بعض الإضافات البسيطة للمواد الرئيسية والمكونات الفعالة في موادها الخام.

إشارات القدماء

بالبحث والتدقيق وجد أن عددًا كبيرًا من المشروبات العربية يعتمد أساسًا على ثرواتنا الطبيعيّة، أو من النباتات التي تزرع في حقولنا وصحارينا، أو تستورد من بعض البلاد الآسيوية المجاورة للبلدان العربية. ويتم تجهيز عدد كبير من هذه المشروبات من الأعشاب والنباتات، وكثير منها يستخدم كغذاء وعلاج، كما اتضح أن لبعضها آثارًا فعالة في علاج العديد من الأمراض الشائعة. وفي هذا المجال فقد سبق لعدد من علماء العرب - في مؤلفاتهم - ذكر مجموعة من فوائد المشروبات وأثرها في علاج الأمراض، ومن أمثلة ذلك : «التذكرة» لداود الأنطاكي، «القانون في الطب» لابن سينا، «الصيدلة» لأبي الريحان البيروني، «شرح العقد» لابن ميمون، وكلها غنية عن التعريف والبيان. وفي هذا المجال قال أبوقراط الطبيب اليوناني المشهور:«ليكن غذاؤك دواءك وعالجوا كل مريض بنباتات أرضه فهو أجلب لشفائه».

كما اكتشف عدد كبير من المشروبات اليومية كعلاجات مختلفة، فمنها فصليات الجذور المسهلة، ومنقوعات الأوراق والأزهار المخفضة

للحرارة، والخلاصات الخام المنظمة للطمث، والنباتات المخفضة لـلسكر في الدم، وعدد آخر من فوائد مشروبات النباتات المختلفة.
وسوف يتناول هذا المقال المكونات الكيمياوية والفوائد الطبية والآثار الجانبية لعدد من المشروبات الشائعة.

الشاي

الشاي من أهم المشروبات المعروفة في العالم العربي وأكثرها انتشارا. ويعتبر الشاي من المشروبات الشائعة في معظم دول العالم. والصينيون هم أول من أدخله إلى أوروبا، ثم انتقل إلى باقي دول العالم والعالم العربي.

ويتم الحصول على أوراق الشاي من نبات الشاي الذي يصل ارتفاع شجرته إلى عدة أمتار . وتجمع أوراق نبات الشاي وتفرد بعد جمعها في طبقات رقيقة على شبكة من السلك أو الخيش للتخلص من الماء الزائد، ثم توضع في مطاحن وتفتت الأوراق الجافة ثم تنخل وتؤخذ القطع الصغيرة لتدخل عملية الأكسدة، وفيها يفقد الشاي اللون الأخضر ويتحول إلى الأسود الداكن، ثم يجفف في أفران خاصة ويعبأ في عبوات تجارية. وتحتوي أوراق الشاي على الكافيين والتانين وكميات بسيطة من الثيوبرومين والثيوفيلين والزانثين، ويحتوي على ١٥٪ من حمض الجالتونيك ومواد ملونة وزيوت طيارة وأنزيمات. ويتم تجهيز الشاي بغليه مع الماء حيث يمتص الماء كثيرا من المواد الفعالة من الشاي، والمعروف أن معظم المواد المكونة للشاي سريعة الذوبان في الماء الساخن.

والطريقة الصحية لتجهيز الشاي هي صب الماء المغلي فوق أوراق الشاي وتركها لمدة خمس دقائق وبعدها يصفى الشاي ويُحلّى ويُشرب. أما غلي الشاي لمدة طويلة في الماء فيؤدي إلى زيادة نسبة التانين ويتحول الشاي إلى اللون الأسود الداكن بدلا من اللون الذهبي الشفاف.

والشاي منبه قوي لاحتوائه على الكافيين الذي يؤثر على المراكز العصبية وينبهها. كما يؤثر على القلب فيزيد من سرعة ضرباته وقوته ويحدث نشاطا في الدورة الدموية. والشاي مشروب منعش ومفيد إذا ما شرب باعتدال لاحتوائه على مادة الكافيين. ولكن الإفراط في شربه يؤدي إلى زيادة نسبة الكافيين في الجسم الذي يؤدي إلى اضطراب في ضربات القلب وضيق التنفس وفقدان الشهية، وذلك يحدث في حالات شرب الشاي المغلي لمدة طويلة والمحتوي على نسبة عالية من مادة التانين كما ذكرنا.

ولقد استخدمت معظم دول العالم الشاي وتعددت طرق تجهيزه، ويحلى بالسكر ويضاف إليه اللبن أحيانا، وتُؤكل معه المربات والشيكولاته في بعض البلدان. ويستحسن أن يمنع الشاي عن الصغار والمتقدمين في السن مع عدم الإكثار من الشاي للشباب.

القهوة

تنتج القهوة من أشجار البن الدائمة الخضرة،



القهوة: تساعد على الهضم، لكنها محظورة على مرضى القلب

وثمرة البن تحتوي على بذرتين ويكون لونها أخضر داكنًا وتنضج بعد حوالي ستة شهور، وتتحول إلى اللون الأصفر ثم الأحمر القرمزي. وتغمر البذور في الماء لمدة ٢٤ ساعة حتى تتخمر، ثم تغسل وتجفف في الهواء، ثم تبدأ عملية التحميص. وخلال هذه العملية يفقد البن معظم ما فيه من ماء ويتحول جزء من السكر الموجود إلى كرامل، وتتكون فيه بعض الأحماض وتزداد نسبة الكافيين وتتكون مادة جديدة هي الكافيول. ويحتوي البن على مواد بروتينية ومواد سكرية ومواد دهنية أهمها أحماض الوليك وبالمتيك، ومن أهم المواد الفعالة في القهوة الكافيين والتانين، وإليه يعزى التأثير القابض في القهوة. وللقهوة تأثير منبه على الجهاز العصبي المركزي، وتستعمل لعلاج الإسهال وفي علاج بعض أنواع الحمى. وشرب القهوة بمعدل فنجانين في اليوم يعتبر عاملا مساعدا على الهضم نظرا لتأثير الكافيين في الجهاز العصبي. بينما يؤدي الإسراف في شرب القهوة إلى إثارة الجهاز الهضمي والعصبي ويؤدي إلى الأرق الدائم والتسمم المزمن واضطراب الجهاز الهضمي. ويختلف تأثير



الكافيين الموجود في القهوة من شخص لآخر حسب طباعه ومزاجه، فمن الناس من تكون لديه حساسية عالية للبن، ومنهم من لا يبدو عليه تأثير واضح. وتستخدم القهوة لمقاومة تأثير المخدرات كالأفيون، حيث تكون أعراض النعاس والتأثير المهبط في الجهاز العصبي المركزي. وللقهوة تأثير خفيف مدر للبول. وتمنع القهوة عن الأطفال ومرضى القلب وذوي الأمراض العصبية.

الكاكاو

تحتوي ثمرة أشجار الكاكاو على بذور وهي التي



تستخدم كغذاء ودواء، وتحمص بذور الكاكاو وتنزع منها القشور ثم تطحن وتباع كمطحون الكاكاو. ويحتوي الكاكاو على ٥٠٪ مواد دهنية (زيت الكاكاو)، ١٢٪ مواد بروتينية، ١٢٪ مواد نشوية وسكرية، وحوالى ٣,٥٪ أملاح معدنية مثل البوتاسيوم والفوسفات وبعض الألياف. ويحتوي مسحوق الكاكاو على مادة الثيوبرومين (١٪) وهي تشبه مادة الكافيين الموجودة في الشاي والقهوة، وهي مادة منبهة تعمل على تسريع ضربات القلب وتزيد في سرعة تدفق الدم. ويضاف مسحوق الكاكاو إلى الماء المغلي والحليب ويشرب فيكون غذاء مقويا ومنشطا. ومادة الكاكاو من المواد الأساسية في صناعة الشيكولاته وذلك بعد إضافة بعض المواد المعطرة مثل الفانيليا والقرفة والمواد الغذائية الأخرى إليها.

وتستخدم زبدة الكاكاو في تلطيف الجلد وفي عمل الكريمات والمراهم واللبوس، وهي علاج معروف لتشقق الشفتين وحلمة الثدي والشرج. ومشروب الكاكاو من المشروبات المنبهة للجهاز العصبي المركزي وهو مدر للبول. ويعد الكاكاو مشروبا مغذيا ومفيدا وخاصة في فصل الشتاء.



جمع أوراق نبات الشاي تمهيدًا لتجفيفه وتعبئته، ومن ثم تصديره

مشروبات صيفية

من المشروبات الصيفية الشائعة في معظم بلدان العالم العربي والتي تقدم باردة: التمرهندي والكركديه والخَرُّوب والعرق سوس.

التمرهندي

أشجار التمر هندي من الفصيلة القرنية، وثمارها تشبه ثمار الرمان. وعرفت في الكتب العربية باسم (الحومر). ويحضر التمرهندي بنقع ثماره في الماء لمدة يوم أو غليها في الماء لمدة ساعة وتحلى بالسكر. وتحتوي الثمرة عادة على حوالى ٣ أو ٤ بذور، وتقطف الثمار وتقشر وتعجن ويضاف إليها قليل من عصير قصب السكر لحفظها من التلف. ويحتوي التمرهندي على أحماض الطرطريك والستريك وحمض التانين وبعض المواد القلوية الأخرى. وعرف العرب فوائد التمرهندي منذ قديم الزمن؛ فيقول ابن سينا في القانون: «ينفع من القيء والعطش في الحميات، ويقبض المعدة المسترخية من كثرة القيء ويسهل الصفراء». ولقد استخدم التمرهندي في أوربا مغليا مع الشاي ضد الحميات، ومن أهم فوائده أنه ملين ومرطب ومزيل للحموضة الزائدة في المعدة.

الخروب

تحتوي قرون الخروب على حوالى ٥٠٪ من وزنها سكريات وبعض الأملاح المعدنية والأصماغ المعروفة باسم (تراجاسول). ويستخدم منقوع الخروب في الماء الدافيء مرطبًا ومعدلا لحموضة المعدة وللهضم، وتستخدم مستخلصاته لعلاج الإسهال عند الأطفال. ولكونه غنيًا بالسكر والأملاح المعدنية فهو يوصف كعلاج عند حالات الإسهال للأطفال الرضع، ويفيد في علاج الدوسنتاريا والإسهال عند الكبار. ولقد ذكر ابن سينا عن الخروب قوله: «أصلحه الخروب الشامي وهو قابض».وقال علماء العرب أن اليابس منه حابس للبطن رديء للصدر والرئة مقو للمعدة ومدر ومنشط لإفراز المرارة.

الكركديه

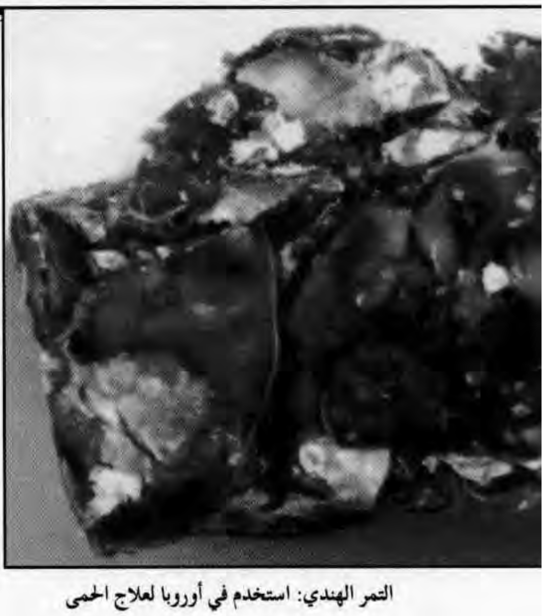
يحضر مشروب الكركديه من كأس أزهار نبات الكركديه المعروف باسم (الحماض الأحمر)، ويشرب باردا أو ساخنا وهو شراب شعبي مشهور في معظم الدول العربية .

ويحتوي الكركديه على أحماض نباتية مختلفة تشبه أحماض التمرهندي مثل حمض الطرطريك والستريك ، كما يحتوي على التانين وعدد من الأملاح المعدنية المختلفة وخاصة الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد. ولقد ثبت أن للكركديه فوائد كثيرة في إزالة الحموضة ويساعد على الهضم، وهو عموما مرطب ومنشط وهاضم ومفيد لأمراض الصدر والربو وضعف المعدة والتهاب المفاصل.

العرق سوس

تستخدم جذور نبات العرق سوس المعمر لتحضير هذا المشروب بنقع الجذور في الماء لمدة يوم وينتج عن ذلك مشروب حلو المذاق. ولقد ثبت أن هذا المشروب الشعبي يحتوي على سكريات وجلسرين ونشا وبعض الأحماض الأمينية من الأسباراجين والجلوتامين، ويحتوي على عدد من الأملاح المعدنية مثل: البوتاسيوم والكالسيوم والماغنسيوم والفوسفات وبعض الهرمونات، كما أنه يحتوي على بعض المشتقات الكيماوية الصابونية التي تسبب الرغوة عند صبه وشربه.

ولقد وصف أطباء اليونان العرق سوس لمعالجة السعال الجاف والربو ومغالبة العطش، وذكر ابن



التمر الهندي: استخدم في أوروبا لعلاج الحمى

سينا في القانون أن عصارته تنفع من الجروح وهو ملين لقصبة الرئة ويصفي الصوت ويسكن العطش. وكذلك ينفع من التهاب المعدة وحرقة البول وقروح الكلي والمثانة والحميات العتيقة. كما وصفه داود الأنطاكي في «التذكرة» فقال: هو نبت دائم الكينونة وإذا تشبث بمكان عسرت إزالته منه، وذكر أنه ينفع من سائر أمراض الصدر والسعال بجميع أنواعها وينفع من أوجاع الكبد والطحال وحرقة البول ويدر الطمث ويصلح البواسير. كما أن عدداً كبيراً من المستحضرات الطبية، التي تعالج العديد من الأمراض، يُحَضَّر متضمناً خلاصات العرق سوس الفعالة.

مشروبات شتوية

ومن المشروبات الشتوية الشائعة في معظم بلدان العالم العربي والتي تقدم ساخنة: الحلبة والسحلب والقرفة واليانسون.

الحلبة

مشروب الحلبة من المشروبات الشائعة في الدول العربية، وتستخدمه السيدات بصفة خاصة بعد الوضع لزيادة كمية لبن الأم الذي هو الغذاء الطبيعي للطفل والذي يساعده على منع الإصابة بالنزلات المعوية. ولقد عرفت الحلبة عند أطباء العرب القدامى وقالوا عنها: «لو علم الناس منافعها لاشتروها بوزنها ذهبا»، وتحتوي بذور الحلبة على ٢٣٪ من وزنها بروتينات، ٢٧٪ مواد كربوهيدراتية التي تتحلل إلى سكريات أهمها المانوز والجلاكتوز، وعلى ٦٪ زيوت مختلفة، وعلى ٣٪ من الوزن سابونين.

ولقد ثبت أن الحلبة بمكوناتها الكيماوية المختلفة تعتبر غذاء ودواء وتفيد في حالات كثيرة. إذ يفيد مغلي الحلبة مع التين والتمر والسكر في علاج أمراض الصدر المزمنة والسعال والربو وضيق التنفس، كما يفيد في حالات فقر الدم وفقدان الشهية، ويساعد مرضى البول السكري على شفاء جروحهم وتسكين حدة السعال ولعلاج اللوزتين والتهاب الرئة والإمساك والبواسير والنزلات المعوية.

السحلب

يتم تحضير السحلب بغليه مع الحليب والعسل أو السكر ويكون شرابا شتويا لطيفا. ويكثر السحلب في إيران والمغرب وتركيا وأفغانستان وأجود أنواعه الإيراني. وتحتوي درنات السحلب على ٥٠٪ مادة غروية، ٣٠٪ نشا، ١٣٪ دكسترين وبروتينات وزيوت طيارة وأملاح معدنية وسكريات وغيرها، وتستخدم درنات السحلب بعد معالجتها وتجفيفها وتقطيعها. وللسحلب استعمالات كثيرة منها علاج المغص والنزلات المعوية، ويعطى مغلي السحلب مع السكر للأطفال كملطف قابض في حالات الإسهال، كما يستخدم لوقف النزيف الداخلي للمعدة والأمعاء والبواسير ونزيف الرحم.

القرفة

القرفة عبارة عن قشور نباتية حلوة الطعم وحريفة المذاق، ولها رائحة طيبة. ويحضر المشروب بغلي القرفة مع الماء وتحليته بالسكر. وتحتوي القرفة على زيوت طيارة مختلفة ومادة سينا مالدهيد ومواد راتنجية ومادة التانين ومواد ملونة صفراء ومواد نشوية وحمض الجاويك وكريوفيلين. ولقد ثبت أن القرفة مقوية ومنبهة للقلب والمعدة والأمعاء، وتستعمل كمدر للطمث وطارد للغازات وفاتح للشهية، وتفيد في علاج سوء الهضم. وتستخدم في علاج النزلات والسعال وآلام الكلى وتنقية الصوت وطارد للبلغم.

وتوجد ثلاثة أنواع من القرفة هي: الخفيفة والخشبية والقرنفلية، ومعظمها لها المكونات الكيمياوية والفوائد الطبية نفسها تقريبا.

ولقد وصفت القرفة في الطب القديم بأنها مسخنة ومدرة للبول وملينة وتجلو البصر، وإذا خلطت بالعسل تنفع في علاج السعال المزمن والنزلات ووجع الجنب والكلى وعسر البول وتلطف الأغذية الغليظة وتساعد على الهضم وتفيد في حالات الربو والزكام والكبد وتقوي المعدة وتفيد في علاج أمراض الرحم.

اليانسون

تحتوي ثمار اليانسون على زيوت طيارة بنسبة ٤ ـ ٥٪، ويمكن استخلاصها بالتقطير البخاري لكونها أخف من الماء، بينما الزيوت الثابتة في البذور تكون بنسبة ٣٠٪ من وزنها. ويمكن استخلاصها بالعصر بعد التليين بالبخار. وتحتوي البذور على مواد بروتينية مختلفة التركيب وأكسالات الصوديوم والكالسيوم. ويعتبر زيت الأنيسول أكثر الزيوت المكونة لليانسون وتبلغ نسبته بين ٧٥ـ ٩٥٪ وهذا الزيت سريع التأثر بالحرارة والضوء.

ويستخدم اليانسون في تحضير عدد كبير من مستحضرات تخفيف السعال، وعند غلي البذور بالماء وتحليتها بالسكر يستخدم مشروب اليانسون ـ أو الأنيسون كما يسمى أحيانا ـ كطارد للبلغم والسعال، ويفيد في علاج ضيق التنفس، منبه قوي للجهاز الهضمي وفاتح للشهية وطارد للغازات لاحتوائه على كميات من الزيوت الطيارة.

ولقد عرف اليانسون في الطب العربي حيث





قال ابن سينا في «القانون»: وإن سحق وخلط بدهن الورد وقطر في الأذن أبرأ ما قد يعرض في باطنها من صدع عن صدمة أو ضربة ولأوجاعهما أيضا. ويقول داود الأنطاكي في «التذكرة»: ويزيل الصمم إذا طبخ بدهن الورد قطورا، ويدر الفضلات ودخانه يسقط الأجنَّة والمشيمة ومضغه يذهب الخفقان، وإذا طبخ بالخل حلل الأورام طلاء، والاستياك به يطيب الفم ويجلو الأسنان. ويستخدم لإدرار الطمث ومفيد في علاج الكلى والطحال. وفي الطب الحديث تعتبر مستخلصات اليانسون أساسا مهما لتحضير العديد من أدوية السعال وعلاجات القلب والصدر.

مشروبات ساخنة

من المشروبات الساخنة المعروفة، التي تقدم كثيراً في منازلنا العربية في الفصول المختلفة وتستخدم علاجا لبعض الحالات الطارئة والبسيطة: النعناع والكراوية والزنجبيل والتِّلْيو والشيح والشَمَر.

النعناع

تستخدم أوراق نبات النعناع بعد تجفيفها وغليها مع الماء في العديد من العلاجات الطبية، وذلك لأن النعناع يحتوي على زيت المنثول الطيار ومواد دابغة لها تأثير مهم كمسكنة للتشنجات ومدرة للصفراء ومضادة للالتهابات. ولقد ذكر النعناع في «التذكرة» لداود الأنطاكي فقال: «النعناع يمنع الغثيان وأوجاع المعدة ويطرد الديدان ويسكن أوجاع الأسنان ويقوي القلب». ولقد وصف العلماء النعناع بأنه صديق للقلب والأعصاب والجهاز الهضمي ويريح الأحشاء من الغازات ويقوي عمل الكبد والبنكرياس ويفيد في علاج السعال والربو. ويستعمل مستحلب الشاي مع النعناع لعلاج اضطرابات المرارة وتسكين المغص المعوي وآلام الحيض، كما تستخدم خلاصات النعناع في العديد من أدوية الطب المختلفة.

الكراويه

تحتوي بذور الكراويه على عدد من الزيوت الطيارة أهمها: الكارفون ويوجد بنسبة ٦٠٪ والليمونين والسيترال. ويفيد مشروب الكراويه لعلاج انتفاخ البطن ويعطى للنساء في الأيام الأولى للنفاس لإدرار اللبن. ويحضر المشروب بغلي بذور الكراويه مع الماء وتحليتها بالسكر، ويستعمل هذا المستحلب لعلاج المغص المَعِدي عند الأطفال. وفي الطب القديم وصفت الكراويه بأنها تطرد الرياح وتدر البول وتهضم الطعام وتنفع مع ضيق التنفس.

وفي بعض دول أوربا الشمالية تؤكل جذور الكراويه، وفي بعض البلاد الأخرى تضاف الكراويه إلى الخبز والفطائر والمربات لتساعد على الهضم، وأحيانا يستخدم زيت بذور الكراويه كمدلك لجدار البطن لتسكين المغص المعوي وطرد الغازات ولتسكين آلام أسفل البطن وللآلام الروماتيزمية، وتضاف مستخلصاتها للعديد من الأدوية المهمة.

الزنجبيل

تستخدم سيقان نبات الزنجبيل وجذوره في عمل مشروب له عديد من الفوائد الطبية . ونبات الزنجبيل من النباتات المعمرة في بلاد الصين والهند وبلاد آسيا الوسطى. وتحتوي جذور سيقان الزنجبيل على أصماغ وراتنجات دهنية ونشا وزيوت طيارة. ويستخدم مشروب الزنجبيل كمعين على الهضم وملين للبطن ومصلح للمعدة والكبد، ويستخدم منقوعه المركز قبل الأكل كدواء قوي وفعال في علاج القولون، ولبحة الصوت ولتوسيع الأوعية الدموية . كما يستخدم كالتوابل في تجهيز الأطعمة وفي صنع بعض أنواع المربات.

النعناع:
صديق القلب والأعصاب
والجهاز الهضمي



مشروب التليو

يتم تحضير مشروب التليو من أوراق أشجار الزيزفون وأزهاره. ومن المعروف أن التليو غني بالزيوت الطيارة المختلفة التركيب. ويحتوي على مواد السابونين المعروفة بأثرها الفعال في علاج التشنجات ويحتوي على بعض الهرمونات الجنسية. ويستخدم مشروب التليو وأزهار الزيزفون كمسكن فعال للسعال، ويزيل الصداع والزكام ويستخدم المستحلب منه كمقوّ ومهدىء للأعصاب. أما فحم الزيزفون فيستخدم في علاج امتصاص الغازات الزائدة في المعدة والأمعاء وعلاجات الجهاز الهضمي.

الشيح

استعمل العرب مشروب الشيح في علاج البول السكري. ويحتوي على مادة السانتونين الفعالة التي تستخدم في طرد الديدان، ويعطى للأطفال على هيئة أقراص من البسكويت. ويقول داود الأنطاكي في «التذكرة»: وهو عند العرب نوعان: أصفر الزهر يحكي السذاب في ورقه وهو الأرمني، وأحمر عريض الورق هو التركي، والاثنان فوائدهما واحدة. وقال أيضا: وكلّ طيب الرائحة، يقطع البلغم ويفتح السداد، ويخرج الديدان، ويذهب القداق والمغص، ويحل عسر النفس شربا، والرمد طلاء، ويدر الفضلات، ويذهب الحميات مطلقا.

الشمر

يكثر نبات الشمر في بلاد الشام، وهو نبات عطري كثير الأغصان له أوراق صفراء اللون وحبيبات رمادية. ويحتوي الشمر على مجموعة فيتامينات أ ، ب ، ج كما يحتوي على الكالسيوم والفوسفور والحديد والبوتاسيوم وبعض الزيوت الطيارة والخلاصات العطرية. ويستخدم مشروب الشمر ومنقوعه في علاج تفتيت الحصى ويفيد الكلى والمثانة ويسكن الأوجاع ويحلل الرياح. ومن خواص مشروب الشمر الإدرار والتقوية وفتح الشهية وطرد الغازات وتنبيه الغدد الجنسية، ويعطى للأطفال كشراب منوم ومهدىء وللمصابين بالسعال والربو وحالات البرد.

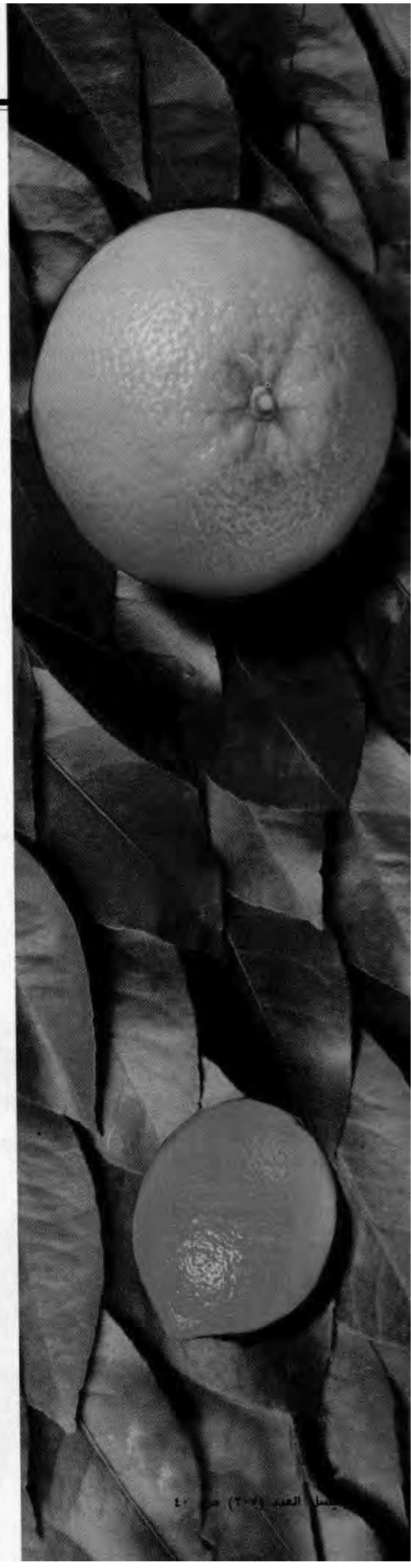
مشروبات موسمية

ومن المشروبات الموسمية التي تحفل بها موائد المسلمين طوال شهر رمضان المبارك، نجد مشروب التمر والتين الذي يفضله عدد كبير من مختلف شعوب العالم كغذاء كامل ودواء في بعض الأحيان.

مشروب التمر

من المعروف أن ثمر النخل يسمى بلحًا ما دام ملونًا، وتمرًا حينما ينضج. وعند دراسة المكونات الكيماوية للتمر وجد أن المائة جرام من التمر تحتوي على ٦٨ مجم كالسيوم، ٧٢مجم فسفور، ٥,١ مجم حديد، وبه كمية كبيرة من فيتامين أ وفيتامين ب، ١٣,٨٪ من الوزن ماء، ٧٠,٦٪ مواد سكرية، ٢٪ مواد بروتينية، ٣٪ زيوت نباتية ، ١٠٪ ألياف. والتمر يحتوي على اليورون الذي يفيد في غذاء الأعصاب وتقوية الغريزة الجنسية، وعلى السلينيوم الذي يفيد في علاج السرطان والأورام الخبيثة، وعلى بعض المضادات الحيوية، كما يحتوي على بعض المواد الفينولية التي تحافظ على اللون الطبيعي للجلد، كما يحتوي على معدن المغنسيوم الذي اكتشف حديثا أنه يمنع الذبحات الصدرية ويقلل من النوبات القلبية، وعلى مكونات مهمة أخرى.

ولقد وجد العلماء أن التمر يقوي الكبد ويلين الطبع ويخصب البدن ويسخنه وينفع الصدر والرئة، ويستخدم كفاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى. وعرف التمر كعلاج للسعال والتهاب القصبة الهوائية عند خلط ٥٠جم من التمر و ٥٠جم من الزبيب و ٥٠جم من التين المجفف، ولتر ماء وغليه على النار. ونظرًا لغنى التمر بفيتامين أ فهو يحفظ رطوبة العين ويقوي الرؤية ويهدىء الأعصاب وينشط الغدة الدرقية ويلين الأوعية الدموية ويرطب الأمعاء ويكافح الدوخة والتراخي والكسل عند الصائمين، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء. ووجد أن الحليب عند إضافته للتمر تصبح قيمته الغذائية مضارعة لقيمة اللحوم ولثلاثة أمثال ما للسمك من قيمة غذائية. وأما مخلوط التمر والتين فيصبح ذا قيمة غذائية عالية، حيث إنه بالإضافة إلى القيمة الغذائية للبلح فلقد ثبت أن للتين فوائد مهمة؛ إذ يحتوي على نسبة عالية من المواد السكرية وأملاح أساسية أهمها: الكالسيوم والفوسفور والحديد وهو غني بفيتامينات أ، ب وبه كميات بسيطة من فيتامين ج ونسبة عالية من فيتامين ك، والأخير يفيد في





عملية تجلط الدم وإيقاف النزيف. ويستخدم مشروب التين منفردًا لعلاج الجروح والقروح وعلاج الإمساك وكسل الأمعاء واضطرابات الحيض. ويعتبر التين من المواد المغذية، الملينة، الملطفة، المسهلة.

العصيرات

من المعروف أن معظم أنواع عصير الفواكه الطازجة غني بالفيتامينات والمعادن والمواد السكرية، وأهمها: عصير البرتقال والليمون، والتفاح، والجزر، والجوافة والفراولة.

عصير البرتقال

عصير البرتقال من المشروبات ذات القيمة الغذائية العالية، فهو غني بالمواد الكربوهيدراتية، حيث يحتوي على مواد سكرية مثل الفركتوز والجلوكوزوالسكروز بنسبة ٢٠٪، وهذه الأنواع من أسهل العناصر الغذائية هضمًا وامتصاصًا، وهو غني بالأملاح المعدنية وبخاصة الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد والصوديوم، ويحتوي على نسبة عالية من الأحماض النباتية مثل حمض الليمونيك الذي يكسبه الخواص الحامضية. كما أنه غني بالفيتامينات وأهمها فيتامين ج الواقي من الأمراض وخاصة نزيف اللثة. كما يساعد على الهضم لأنه يزيد العصارة المعدية وينشط أنزيم البيسين.

عصير الليمون

عصير الليمون من أغنى العصائر احتواء على فيتامين ج، كما يحتوي على فيتامين ب والنياسين الواقي من البلاجرا والريبوفلافين اللازم لتنظيم الأكسدة والتمثيل الغذائي والنمو في الجسم. كما يحتوي على نسبة عالية من السترين وبعض المواد الكربوهيدراتية وبعض الأملاح والمعادن وأهمها: الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد. وعصير الليمون يستخدم لعلاج العديد من الأمراض وهو منشط للكبد والكلى ومن المصادر الأساسية لامداد الجسم بفيتامين ج، ويستخدم لطرد السموم من المعدة ولتنقية الدم والتهابات القصبة الهوائية.

عصير التفاح

التفاح من أهم الفواكه كغذاء ودواء لأنه غني بالعديد من الفيتامينات أ،ب،ج، د والمواد السكرية والأملاح المعدنية وحمض الأوكساليك. ، ويوصي الأطباء أصحاب المعدة والأمعاء الضعيفة أن يأكلوا التفاح مطبوخًا ويشربوا عصيره لعلاج أمراض الكبد والأمعاء وفقر الدم ولتليين المعدة وحالات تصلب الشرايين وأمراض الجهاز البولي وروماتزم الأعصاب. ووجد حديثا أن مشروب التفاح ينشط الأمعاء ويمنع الإمساك المزمن ويفتت الحصى في الكلى والحالب والمثانة ويهدىء السعال ويخلص الجسم من الأحماض والدهون، كما أنه يستعمل كدهان للجلد.

عصير الجزر

الجزر من أغنى الخضروات بفيتامينات أ،ج والمعادن مثل الكبريت والفوسفور والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والماغنسيوم. وهو مقو للبصر لاحتوائه على مادة الكاروتين التي يعزى إليها اللون البرتقالي والتي تتحول في الجسم إلى فيتامين أ، والجزر يزيد من مقاومة الجسم للأمراض المعدية، ويفيد في علاج حالات فقرالدم والضعف العام وعلاج الغدة الدرقية، ويهدىء اضطرابات القلب والأعصاب، ويفيد في حالات السعال ولين العظام للأطفال وحالات الإسهال وتطهير الأمعاء.

عصير الجوافة

عصير الجوافة غني بفيتامين ج ، أ، ويحتوي على نسبة ١٧٪ من المواد السكرية وبعض المواد الدهنية والبروتينية والأملاح المعدنية مثل: الكالسيوم والحديد والفوسفور وحمض التنيك، وهذا العصير يستخدم للوقاية من مرض الأسقربوط وفي علاج عدد كبير من حالات فقر الدم والتهابات المعدة والأمعاء.

عصير الفراولة

هذا العصير ذو قيمة غذائية ودوائية عالية لأنه غني بأملاح الكالسيوم والحديد والمواد السكرية وفيتامينات ب،ج،هـ،ك، وهو سهل الهضم وقلوي ومدر للبول وينشط المعدة وملين ويساعد على بناء الأنسجة ويستخدم في علاج المفاصل والكبد والمرارة.

مما تقدم يتضح لنا أهمية تلك المشروبات التي يتم تجهيز أغلبها من بين بعض الأعشاب والنباتات الطبية المعروفة والفواكه، تلك الثروة التي أنعم الله علينا بها وهي التي تجمع بين الغذاء والدواء أحيانا.

المراجع

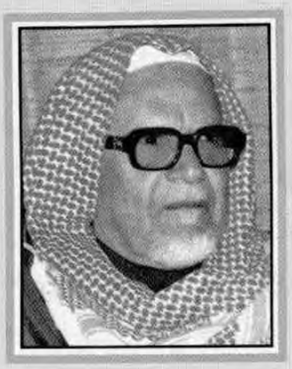
١- تاريخ النبات عند العرب، للدكتور أحمد عيسى.
٢- الطب العربي ، للدكتور أمين أسعد خير الله.
٣- الأعشاب طبيبك الطبيعي، للدكتور عبد اللطيف عاشور.


إبداع صحفى جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر:

الحلقة الرابعة

أنساب الأشراف للبلاذري



يكتبها: حمد الجاسر

تناول الشيخ في الحلقة الثالثة أصول المخطوطة وصورها مشيرًا إلى أن أكمل نسخة منها هي النسخة الدمشقية، وعنها نقلت المخطوطة المغربية ومخطوطة إسطنبول وتوجد للأخيرة صورة بدار الكتب المصرية، وفي هذه الحلقة يتناول المطبوع من المخطوطة.

المطبوع من هذا الكتاب

لعل أقدم ما طبع من أجزائه هو ما نشره المستشرق الألماني وليم أهلورد المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ - وهو ممن عني بدراسة التراث العربي، فوضع فهرسًا لمخطوطات الكتب العربية في مكتبة برلين في عشرة أجزاء، ونشر « العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين» و «مجموع أشعار العرب» في ثلاثة أجزاء و «ديوان أبي نواس». وكان مما نشر من هذا الكتاب الجزء الحادي عشر بعنوان «أنساب الأشراف وأخبارهم» نشره عن مخطوطة ينقصها أولها، ولهذا كتب عنوان الكتاب : (الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، وهو لعله كتاب «أنساب الأشراف وأخبارهم» للبلاذري)، وقد طبع هذا الجزء سنة ١٨٨٤م في مدينة غريفرولد، أوله : (أمر مقتل مصعب بن الزبير في أيام عبد الملك) ثم خبر مبتور الأول في الموضوع، وآخر هذا الجزء بعد سياق (أمر مطر بن ناجية الرياحي) : (تم الجزء الحادي عشر والحمد لله تعالى).

وألحق به فهارس ووضع له مقدمة باللغة الألمانية، فوقع أصل الكتاب في ٣٥٩ من الصفحات، وبإضافة فهارسه وتصحيحه في ٤٤٨ صفحة، ووقعت مقدمته باللغة الألمانية في ست وثلاثين صفحة، وجاء في آخر مخطوطة هذا الجزء : (تم الجزء الحادي عشر يتلوه إن شاء الله تعالى خبر يوم دَيْر الجماجم).

ويقع هذا الجزء من المخطوطة الدمشقية (من ص ٤٣٥ إلى ٥٠٠) ومن مخطوطة إسطنبول من (ص ١١١٠ إلى نهاية المجلد الأول ١١٩٦) ثم من المجلد الثاني إلى (ص ٢٩).

وطبع الجزء الخامس في القدس سنة ١٩٣٦م بتحقيق غويتاين، يحوي من الكتاب من (أمر عثمان بن عفان وفضائله ومقتله) إلى (أزواج عبد الله بن الزبير بعد مقتله في أيام عبد الملك)، فوقع هذا الجزء مع فهارسه في ٤٣٩ صفحة، ومقدمته في ٨٣ صفحة، ويقع من المخطوطة الدمشقية (من ص ٣٦٠) إلى (ص ٤٤٥) ومن مخطوطة إسطنبول من (ص ٩١٨ إلى ص ١١٢٤) وفيه مما حقق المستشرق الألماني من أوله إلى نهاية الصفحة الـ (٧٧) حيث تستمر مطبوعة المستشرق الألماني في ذكر (أمر الخوارج).

ثم طبع في القدس أيضًا قسمان من الجزء الرابع، أحدهما سنة ١٩٣٨م وهو القسم الثاني بتحقيق شلوزنيغر، ومراجعة كستر، يحوي من الكتاب من (يزيد بن معاوية) إلى (بني عمرو الأشدق) وهو في المخطوطة الدمشقية من (ص ٣٢٤) إلى (ص ٣٥٦) وفي مخطوطة إسطنبول من (ص ٨١٨) إلى (ص ٩٠٥).

ثم طبع القسم الأول من القسم الرابع في القدس أيضًا سنة ١٩٧١م بتحقيق شلوزنيغر - أيضًا -، وفيه من (نسب بني عبد شمس) إلى (ولد معاوية بن أبي سفيان)، وهو في مخطوطة إسطنبول من (ص ٦٨٩) إلى (ص ٨١٧).

والثاني سنة ١٩٧١م، وهما يكونان القسم الرابع من الكتاب. وقد أشار

محقق هذا القسم إلى أنه استفاد كثيرًا من فهرس الأشعار لكتاب «أنساب الأشراف» بأجمعه التي قامت بإعداده مدرسة في القدس سماها، مما يدل على عناية القوم بتراثنا، وأن من بينهم من تصدى لاستخلاص الأشعار الواردة في هذا الكتاب وجمعها.

وفي سنة ١٩٥٩م (١٣٧٩هـ) نشر معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد حميد الله، ويحوي أول الكتاب مع السيرة النبوية إلى آخر الكلام على مراثي النبي ﷺ، ووقع أصل الجزء في (٥٩٤) من الصفحات، ومع فهارسه في (٧٢٢) صفحة، وموقعه من المخطوطة الدمشقية من أول الكتاب إلى (ص ١١٨) ومن مخطوطة إسطنبول من أول الكتاب إلى (ص ٢٧٨).

وفي سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) صدر جزء من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد باقر المحمودي يبتدئ من حيث وقف الجزء الأول الذي حققه الدكتور محمد حميد الله، وينتهي بخبر (قتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ورثائه) ويقع الأصل في (٥١٠) من الصفحات، والفهارس الموجزة وتصحيح التطبيع في (٤١) صفحة، ويقع من المخطوطة الدمشقية من (ص ١١٨) إلى (ص ١٧٤) ومن مخطوطة إسطنبول من (ص ٢٨٦) إلى (ص ٤٣٠)، ولكن يلاحظ أن المحقق الفاضل ذكر أنه سقطت منه ورقات من ترجمة عبد الله بن جعفر، وأنه أضاف كلمات إلى الأصل داخل أقواس، والحفاظ عليه يقضي بعدم إضافة شيء، وإذا كان لابُدَّ من ذلك فيشار إليه في الحاشية، ولهذا فهذا الجزء لا يعد منشورًا نشرًا دقيقًا.

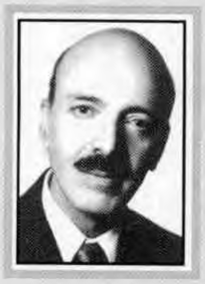
ثم قامت دار النشر الألمانية فرانتس شتاينر بفيسبادن في سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) بنشر الجزء الأول من القسم الثالث من الكتاب من (العباس بن عبد المطلب وولده) إلى (أسد بن هاشم بن عبد مناف) بتحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري في جزء بلغت صفحات أصله وفهارسه (٣٨٣) صفحة، ويقع في المخطوطة الدمشقية من (ص ٢١٠) إلى (ص ٢٧٦) وفي مخطوطة إسطنبول من (ص ٥٢٦) إلى (ص ٦٨٩).

ثم نشرت دار النشر الألمانية المذكورة سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) الجزء الأول من القسم الرابع يحوي ما سبق نشره في القدس في جزءين، ويبتدئ من حيث وقف عمل الدكتور الدوري (نسب بني عبد شمس) وينتهي بنهاية (قتل أمية بن المطرف) من أحفاد عثمان، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، في مجلد بلغت صفحاته أصلاً وفهارس (٧٣٠) صفحة، وهذا القسم كله يتعلق بنسب بني عبد شمس بن عبد مناف، حين ينتهي بأبناء عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهذا في المخطوطة الدمشقية من (ص ٢٧٦) إلى (ص ٣٨٩) وفي مخطوطة إسطنبول من (ص ٦٨٩) إلى (ص ٩٩٥).

وهذه الأجزاء التي نشرت من الكتاب لم يَجْرِ نشرها على طريقة منسقة، كما لم يلاحظ فيها عند النشر التسلسل والاتصال، بل نشرت مفرقة لا ارتباط بينها.



د. إحسان عباس



د. عبد العزيز الدوري

ومما ينبغي أن يلاحظ أن هذا التقسيم أو التجزئة لم تكن مبنية على أصل من أصول الكتاب، ولكن تواضع المحققون على تقسيمه، أو كما ذكر الدكتور عبد العزيز الدوري في مقدمة القسم الذي حقق: ارْتُؤِيَ الرجوع إلى طبيعة الكتاب وموضوعاته، فقسّم إلى ستة أقسام هي:

القسم الأول: السيرة النبوية.

القسم الثاني: أبو طالب وولده.

القسم الثالث: العباس بن عبد المطلب وولده.

القسم الرابع: بنو عبد شمس بن عبد مناف.

القسم الخامس: تتمة نسب قريش.

القسم السادس: القبائل العربية الأخرى.

ويمكن أن يكون القسم في جزء واحد أو أكثر، حسب سعته، ومقتضيات النشر، مع إعطاء كل قسم تسلسلاً خاصًا. انتهى.

وهذا القسم المنشور من الكتاب ينقص قليلاً عن نصفه، إذ مجموع صفحات المجلدين اللذين يحتويان على الموجود من الكتاب في مخطوطة إسطنبول يبلغ (٢٤٦٤) صفحة، وقد نشر المجلد الأول سوى (٢١٠) صفحات، القسم المتعلق بالكلام على الحسين بن علي - رضي الله عنه - وعن أبنائه.

ونشر من المجلد الثاني (٢٩) صفحة في الجزء الذي حققه أهلورد، فيكون مجموع الباقي من الصفحات التي لم تنشر (١٤٤٩).

ويلاحظ أن القسم الذي حققه الدكتور المحمودي لم ينشر نشرًا تامًّا كما سبقت الإشارة إلى ذلك.



طرة المخطوطة الدمشقية في خزانة الرباط (٧ جلوى)

مما تقدم يصح القول بأن هذا الكتـاب النفيس كان عاثر الحظ من حيث نشره، فالأجزاء المحققـة منه تحقيقًا جيِّدًا اعتُمـد أصلها مخطوطة إسطنبول وهي نسخـة كثيـرة التحـريف، وقـد كنت قرأت المجلـد الأول الـذي حققـه الأستاذ الجليـل الدكتـور محمد حميد الله فـاستدركت أخطـاء كثيرة، يـرجع أغلبها إلى رداءة الأصل المخطوط، وعندمـا اطلعت على هذا في المخطوطة الدمشقيـة اتضح لي صواب ما صححت، بل اتضحت لي تصويبـات أخرى فـاتتني؛ لأنني لـم أطلع على هـذا الأصل إلاَّ في عهـد متأخـر، ولقـد بـذل الأسـاتـذة الذين حققوا الأجزاء الأخـرى جهودًا مشكورة فبـرزت أعمالهم على خير ما يُتَطَلَّـعُ إليـه، إلاَّ أنَّ الأصل الذي رجعوا إليه لا يخلو من أخطاء.

ولهذا فمن الصواب الرجوع إلى المخطوطة الدمشقية لمقابلة ما سبق نشره باستثناء الجزء الذي حققه الدكتور عبد العزيز الدوري، فقد استفاد فيما يبدو من مقدمتـه من الرجـوع إلى المخطوطة الـدمشقية، ولكن ممـا ينبغي إدراكـه ضرورة نشر الكتـاب كلـه، في أجزاء متواليـة، حسب ترتيب أصلـه، ووضع فهارس شاملـة لكل الكتاب.

ولعل أحد أبنائنا من طلاب الدراسـات التاريخية أن يتخذ من مادة القسم الباقي من الكتاب ـ وهـو أكثره ـ موضوعًا لدراستـه دراسة شاملـة، مع تحقيقه ونشـره نشرًا علميًّا، وسيجـد فيه مـادة خصبـة تمدُّه بـالكثيـر مما يتطلع إليـه الباحثـون فيما يتجهون لدراسته.

بعد كتابة ما تقدم، وفي يـوم الجمعة رابع شهر المحرم ١٤١٤ هـ أخبرني الابن الكـريم الأستاذ سليمـان الحديثي بأن للـدكتور محمـد جاسم حمـادي المشهداني دراسة في جزءين ـ صفحـاتهما ٩٤٦ ـ بعنوان «موارد البلاذري عن الأسرة الأمويـة في أنساب الأشراف» نشرتـه مكتبة الطـالب الجامعي في مكـة المكرمـة سنة ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦م)، وقد أكـرمني بنسخـة من هذه الـدراسة الممتعـة التي تُعَدُّ من أعمق الدراسـات عن هذا الكتـاب، ولا ينقصها إلاَّ أن المؤلف الكـريم لـم يطلع على المخطـوطة الأصلية (الـدمشقية). والـدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني عمل بضع سنوات في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، وقـد نال درجـة الدكتوراه بمرتبة الشـرف الأولى بدراستـه هـذه التي لا يستغني عنها أي دارس في هـذا الشأن، ولكنها في الـوقت نفسه لا تشتمل إلا على دراسة جانب من جـوانب الكتاب، وهو ما يتعلق بالأمـويين منه، مع التركيز على ترجمة البلاذري والإفـاضة بذكر شيوخه بصورة مفيدة حقًّا.

والله الموفـق.

الدبلوماسية الدينية
وفلسفة مناهج التدريب الدبلوماسي في العالم المعاصر

د. عبد الله الأشعل

الوظيفة الدبلوماسية حرفة لها تاريخ وتقاليد وأدوات للممارسة، كما تتطلب استعداداً وموهبة وسعياً لصقل هذه الموهبة وتطويرها. وهي إلى ذلك من أقدم الفنون في تاريخ البشرية، بل وأرقاها على وجه اليقين؛ لأنها تتعلق بإشاعة السلام بين الجماعات ووصل العلاقات بينها، وتعمير ما دمرته الأطماع وتناقض المصالح وشطحات الساسة والسياسات. غير أن القول بأن الوظيفة الدبلوماسية فن؛ أشاع وهماً مؤداه أنها تفلت من مقتضيات العلم وتستعصي على قواعده فلا سبيل إلى تعلمها ما دام الطابع الفني والحرفة هما الغالبان عليها، ولكن الحقيقة أنها أضحت فناً وعلما في آن؛ فنّ لا يرتاده إلا من طبع على مطلوبات هذا الفن طبعا أصيلاً لا تكلف فيه، وهي علم له قواعد وأصول ومدارس، فيخلط الفرد بين الموهبة والاكتساب وبين الصنعة والحرفة والمهارة والصقل والتهذيب.

وبهذه المثابة فالوظيفة الدبلوماسية تتسع لأصحاب التخصصات من جميع العلوم والفنون، كما أنها تتطلب قدراً من المعرفة الموسوعية يحمي قدراً أكبر أو طبقة أكثر سمكا من المعرفة التخصصية أو ما نطلق عليه ثقافة المهنة والتي سنأتي إلى الحديث عنها في المرات القادمة. ولذلك تنوعت مدارس التدريب الدبلوماسي ومناهجه، وقلما تخلو دولة من أعضاء الجماعة الدولية اليوم من سياسة التدريب الدبلوماسية تتعهد به أبناء هذه المهنة بالتطوير والصقل، ولاتزال بهم حتى تجعلهم جزءاً وطنيا صالحا مندمجا في الأسرة الدبلوماسية الدولية، أو أبناء المهنة الدبلوماسية في الجماعة الدولية، والتي تنظمها قوانين وتشريعات وطنية فيما هو صالح لذلك، بينما يختص القانون الدولي الدبلوماسي بالجزء الآخر من المهنة. ومعنى هذا أن الدبلوماسي، وإن كان يختار في دولة ويؤهل لهذه المهمة، إلا أن القانون الدولي ينظم وضعه في الممارسة وهو عبر حدود الدول أو خارج دولته في كل الأوضاع سواء أكان في طريقه إلى مقر عمله، أو في زيارة وسياحة، أو في الدولة الموفد إليها حيث مقر وظيفته، وسواء أكان بمفرده، أم لحق به أهل بيته.

من كتاب العدد

● **د. عبد الله الأشعل**



- من مواليد مصر ١٩٤٥م.
- دَرَسَ القانون والعلوم السياسية في جامعات مصر وفرنسا وهولندا.
- دبلوم أكاديمية لاهاي في القانون.
- دكتوراه القانون الدولي والمنظمات الدولية.
- عمل أستاذًا للقانون الدولي والمنظمات الدولية في الجامعات المصرية ومعهد الدراسات الدبلوماسية بالقاهرة.
- عمل مستشارًا قانونيًا لمنظمة المؤتمر الإسلامي ويعد من خبراء القانون الدولي والشؤون الإسلامية والقضايا الخليجية والعربية.
- يعمل حاليًا نائبًا لمدير معهد الدراسات الدبلوماسية بالقاهرة وأستاذًا غير متفرغ للقانون الدولي بالجامعات المصرية، وأمينًا عامًا مساعدًا للجمعية المصرية للقانون الدولي.
- أصدر عددًا كبيرًا من الكتب، ونشر العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات العربية والأجنبية المتخصصة.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والعربية.

فلسفة التدريب الدبلوماسي وغاياته

وإذا كانت الدول تسلم بضرورة التدريب المتدرج والمتخصص والمستمر للدبلوماسي وزوجته، فإنها تختلف في أسلوب التدريب وسياساته قدر تباينها في سياساتها وعقيدتها وقدراتها وأهداف الوظيفة الدبلوماسية لديها. **فالذي لا خلاف عليه أن الوظيفة الدبلوماسية ليست ترفا تمارسه الدولة من باب**

❞ الدّبلوماسيّة ليست ترفًا ولاتعني التحلّل من القِيَم الأخلاقيّة ❝

الوجاهة، وإن كان هذا المنحى قد ساد فترة من الزمان، ولكن صار الآن هماً لا تقدر عليه حتى أغنى الدول وأوفرها حظاً في الموارد.

فإذا كان عدد أعضاء الجماعة الدولية قد بلغ الآن ما يُنيف على مائة وثمانين دولة خلال أقل من نصف قرن فقد كان لا يجاوز الخمسين، أي زاد بمعدل ٣٥٠٪، وتعقدت أوضاع العلاقات الدولية، وتراكمت مشكلات العالم وأزماته، وتناطحت مصالح دوله وتشعبت، فلا تزال المعادلة الأساسية هي قيام الدبلوماسية بذلك الدور التاريخي الخالد برسم السبل واجتياز المفازات لتعزيز التعاون الدولي بين أعضاء المجتمع الدولي المتغير التركيب والأوضاع وتقليل هامش الصدام والصراع، وقيادة السفينة عبر المسارات الدبلوماسية الثنائية، والمتعددة الأطراف، وكفالة التعايش بين أبناء الكوكب الواحد الذي نمت بينهم مشاعر الاعتماد المتبادل والمصير الواحد في مواجهة مخاطر البيئة وعوامل الفناء التي تتهدد الجنس البشري كله.

وإذا كانت تلك هي المهمة الموكولة إلى الدبلوماسي، فلا إخالني مخطئا إذا قلت بأنها مهمة تثقل كاهل الذين يتصدون لها: سياسيين ودبلوماسيين، كل في مجاله وفي حدود دائرته، **ويتطلب هذا الخطر وهذه الأهمية درجة رفيعة من الاستعداد الشخصي والثقافة العريضة المنوعة والهمة العالية والتفاؤل الذي لا تغضّ منه سحابات الشك أو اليأس أو القنوط، ناهيك عن الجلد والمثابرة وإنكار الذات والإيمان بقضية الإنسان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته السياسية ومعتقده الديني** وبذلك تقترب رسالة الدبلوماسية وتتجاور بل وتتضافر مع رسالات السماء إلى الأرض، ولذلك لم يكن من قبيل المبالغة أن نقول: إن الرسل والأنبياء كانوا أعظم النماذج الدبلوماسية، كما كانت الكتب السماوية دروسا رفيعة في علم الدبلوماسية وفنون الاتصال. وفي هذا السياق فإني أقترح أن تهتم مدارس التدريب والبحوث والدراسات الدبلوماسية في العالم بالرسل والرسالات كمدخل صحيح لاستنباط مبادئ الوظيفة الدبلوماسية الراقية وكيف لا ونحن نعلم أن في هذه الثروة التاريخية العلمية الهائلة تتوافر عناصر الوظيفة الدبلوماسية في أروع معانيها، وهي المرسل والمرسل إليه والرسول والرسالة؛ إذ الدبلوماسية كما قلنا فن اتصالي يتذرع إلى نجاحه بكل فنون الاتصال ومنجزات العقل البشري. ولسوف أتوفر بعون الله خلال المرحلة القصيرة القادمة على تأمل هذه البداية وتقديمها للقراء والمختصين من الوجهة العلمية علها تكون لبنة أساسية في تربية الدبلوماسي المعاصر.

وأسارع إلى التنبيه إلى أنه علق بأذهان البعض بغير مقصد أن الدبلوماسية الدولية قد ارتكزت في تاريخها على أساس علماني يتفيأ المصلحة ولا علاقة له بالأخلاق. كما وقر لدى هذا البعض أن السياسة والدبلوماسية أداتها ووسيلتها لا تعرف للأخلاق دوراً في صياغتها، كما لا يجوز أن تقترن بأية حال بالثقافة الدينية. وهذه فكرة ضالة لا تقل في جهالتها عمن يرون في العمل الدبلوماسي فرصة للتحلل من قيود المكان والزمان ما دامت الوظيفة نفسها عبر الحدود وتفلت من قبضة القانون وسطوة الأعراف الوطنية.

وليس ذلك افتراضاً محضاً، فهناك ممن يعتقدون هذا الاعتقاد، جماعات تفوق الحصر، **ولذلك ما أحوجنا إلى التنبيه إلى أن الدرس الأول في تاريخ الفن الدبلوماسي وعلوم الدبلوماسية وفلسفة التدريب الدبلوماسي هو دراسة فن الاتصال أو الوظيفة الدبلوماسية الدينية.**

أعرف أن كثيرين عنوا بتسجيل دبلوماسية العصر النبوي، والدبلوماسية الإسلامية، ولكني أزعم أن تقليب النظر على أوجهه وتأمل هذه المقدمة، تدفع إلى عدم القناعة بما كتب في هذا الباب، فلتكن تلك مناسبة لإعادة فتح باب الاجتهاد لإثرائه، وتقديمه بما يستحقه من العناية، فلا يعقل أن يظل حظه في كل عصر هو نفس الحظ في سائر العصور، وإلا حكمنا على أنفسنا بالموت والقعود والتنطع والجمود.



مصطفى لطفي المنفلوطي

إسلامية المنفلوطي في مترجماته

بقلم: د. إبراهيم عوضين

يظن كثير من الدارسين أن إسلامية الأديب تعني انقطاعه عن الحياة العامة، واعتقاله نفسه وفكره وقلمه داخل سجن البيئة الإسلامية، بما يفرض على أدبه الخصوصية والمحدودية، في الموضوع، والتناول !

وإن كان الحوار العقلي الجاد، والمناقشة التنظيرية المحايدة تبطل هذا الظن، وتجعله وهمًا لا يمت إلى الحقيقة بأية صلة؛ لأن الإسلام هو دين الإنسانية ـ في شمولها وعمومها ـ الذي يتناول الإنسان ويتعامل معه في كل أبعاده ومستوياته، وفي كل بيئاته الزمانية والمكانية، من غير استثناء ولا تجاوز.

أقول: إذا كان الحوار العقلي والتنظيري يبطل هذا الظن، فإن الواقع الأدبي للأدباء الإسلاميين يجعل هذا الظن تجنيا على الحقيقة، وتجاوزاً للصواب، وإغراقا في متاهات الضلال؛ لأن هذا الواقع الأدبي الإسلامي يقدم الدليل الواضح الحاسم على أن إسلامية الأديب تفتح أمامه كل المجالات الممكنة، وتهيىء له الانطلاق في أرجاء الكون الرحيبة الشاملة سماءه وأرضه وما فيهما، دون عائق من ظروف شخصية أو رؤية فردية، أو تفكير مخصوص، أو انفعالات طارئة !

في تجاوز الرومانسية

إن مصطفى لطفي المنفلوطي حين أكب على ما تيسر له من المترجمات الأوروبية، أدرك أن استغراق بعض الأدباء الأوروبيين في الرومانسية، إنما هو من المبالغات التي دفعت إليها بعض الظروف العصرية الخاصة؛ فشذت بالإنسان الأديب عن إنسانيته المتوازنة، وحلقت في سماوات وهمية، خيل إليه أنها هي السماوات التي يشرف من عليائها على النبض الإنساني الصادق، حتى قَرَّ في أذهان هؤلاء الأدباء ومن فتن بهم أنهم ـ في مواجهتهم الانحراف الكلاسيكي ـ يمثلون الحقيقة الإنسانية الشاملة.

فالنزوع الرومانسي ـ في رؤية الأديب الإسلامي ـ قد يمثل واحدًا من أجنحة عديدة يحلق بها الأديب، لكنه لا يصح بأية حال أن يكون هو وحده فقط الجناح الذي يقوم بهذه الوظيفة الإنسانية.

وهذا هو الذي كان عليه **المنفلوطي**، على الرغم من أن كثيرا من الأدباء والدارسين ينسبونه إلى الرومانسية؛ ظنا منهم أن وجود بعض المظاهر الرومانسية في أدبه كاف في إلحاقه بالرومانسيين.

ومن ثم، رأينا المنفلوطي ـ بإسلاميته ـ لا يتأبى على أن يفيد من تجربة الأديب الفرنسي الشهير **ألفونس كار** وخبرته الفنية في روايته « **تحت ظلال**

الزيزفـون»؛ لأنه يدرك أن الحكمـة ضالة المؤمن أنى وجدهـا فهو أحق الناس بها؛ فأخـذ نفسـه بتعـريب تلك الـرواية؛ لما لمسـه فيهـا ــ كما نص على ذلك صراحة[1] ـ من توظيف العواطف الإنسانية والوجدانيات في إبراز القيم الخلقية الفاضلة، وإعـلاء شأنها، وإظهار مدى تأثيرها في حياة الإنسـان، وفي الزراية بالرذائل وما يوصل إليها.

ولكن المنفلوطي ـ في عدم تأبيه على الإفادة من الكاتب الفرنسي ـ لـم يغب عن إسلاميته الشاملة، ولـم يسلس القياد تماما لهذا الكاتب، فلـم يلج وراءه كل مولج، ولـم يسر خلفه في كل طريق!

فإذا كان **ألفونس كار** قد أسلم قلمـه وفكره للرومـانسية المغرقـة، فمزج الأحوال النفسية بالطبيعة، وأشـاد بالحب، وأبرز أهمية العواطف، حتى اعتبر الزواج الذي لا يقوم على الحب باطلا، وجعل الحب قرينا للطهر، إلى غير ذلك من مظاهـر النزوع الرومـانسي المسيطر على الكثيرين في تلك الآونـة، إذا كان **ألفونس كار** أسلمه قلمه وفكـره لذلك، فإن **المنفلوطي** ـ بإسلاميته المتوازنة ـ تمكن من تحويل المسار، فاتجه بـه لمعالجة اهتماماته الاجتماعيـة والأخلاقية، من خـلال رؤيته الإسـلامية؛ فجعل الحبيبـة تستنكـر من حبيبها تقبيلـه إياهـا، وتعتبر ذلك إثما يدعو إلى الوقوف دونه[2]، وجعلها تتجه إلى الله مستغفرة بدلاً من السعي إلى حبيبهـا، كما جعل الفتى البـاريسي المحب يستنكر من حبيبتـه الـرقص ويـراه عملا منـافيـا لـلأخـلاق، وجعل هـذا الفتى ينكر على فتـاتـه السفور[3].

وهكذا يرى قـارئ «**ماجدولين**» نفسه مع فتى وفتـاة ذَوَيْ حس إسلامي، فوق أرض باريس!

وبهذا استطـاع المنفلوطي ــ بإسلاميتـه ــ أن يجاوز حدة الـرومانسيـة، وأن يتخلص من إغراقها في الذاتيات، واستسلامها لسلطان الطبيعة. فصبغ القصة ـ من رؤيته الإسلامية ــ بصبغة الشمولية، التي تجمع بين العقل والقلب والروح في مزيج يعرف لكل قيمته، ودوره، ومكانه من الإنسان.

في مواجهة العُنْجُهية الكلاسيكية

والمنفلـوطي ـ في التقـائه بـالشـاعر الفـرنسي آدمـون روستان في مسرحيتـه «**سيرانودي برجراك**» ـ كان الأديب الإسلامي الباحث عن الوسيلة العصرية التي يبرز من خـلالها قيم الإسـلام وأخــلاقيـاتـه؛ فلـم يترك عنـوان **روستان** على خصوصيته، بل نبه إلى ما فيه من شمولية إنسانية، حيث قدم المسرحية في هيئة رواية معربة، تحت اسم «**الشاعر**»، ثم ـ في المقدمة ــ أفصح عما أغراه بتعريب تلك المسرحية في قـوله: [4]«وأفضل مـا أعجبني منها أنها صـورت التضحية تصويرا بديعا ـ وهي الفضيلة التي أعتقد أنها مصدر جميع الفضائل الإنسانية، ونقطـة تحولها ــ فـرأيت أن أحـوِّلها من القـالب التمثيلي إلى القـالب الفصيح؛ ليستطيع القـارئ أن يراهـا على صفحات القرطـاس، كما يستطيع المشـاهد أن يـراها على مسرح التمثيل». وأكـد ذلك فيما صـدر به الـرواية من إهــداء؛ إذ يقـول: [5]«لذلك أقـدمها هديـة إلى الشعراء، فهم رجالها وأبطـالها وأصحاب الشأن فيها، ولا أطلب عندهم جزاء عليهـا أكثر من أن أراهم جميعا في حياتهم الأدبية والاجتماعية» (سيرانودي برجراك).

وفي ثنايا الرواية يقع **المنفلوطي** على ما ينشده من توجيه إلى الثورة على الشذوذ الكلاسيكـي؛ إذ يرى أن الحرص على الفضائل الإنسـانية، لا يعنـي التعبد في محراب بعض الموروثـات بعــد تـزييفهـا لصــالح طـائفــة بعينهـا، كما صنع الكلاسيكيون في أوروبـا.

وقد رأى التوجه الإسلامي المتوازن في الحوار الدائر بين **الماركيز دي جيجي** و **راجنو**، حين أراد **الماركيز** أن يعرف ما إذا كان **سيرانو** نبيلا، فقال لـه **راجنو**: «إن كنت تـريد من النبـل شيئًا غير الشرائط والأوسمـة والـذهب والفضة والحريـر والـديباج، فهـو [يعني سيرانو] أنبـل النبلاء وأشرفهم؛ لأنـه جندي شجـاع، جريء في مـواقفه ومشاهـده، صادق في قولـه وفعله، لا يحابي ولا يجامل، ولا يتذلل ولا يتـزلف، ولا يخضع في شأن من شؤون حياته إلا للحق الـذي يعبده ويدين له. ولـو عرفته يا سيدي لعرفت أفضل النـاس خلقا، وأشرفهم نفسا، وأطيبهم قلبا، وأشدهم عطفـا على البؤساء والمنكوبين، وهو فـوق ذلك شاعر مجيد وعالم فاضل، وناقد بارع»[6].

وذلـك لأن **المنفلـوطي** ــ بحسـه الإسلامــي ــ لمس الجواب من التقـاء الكلاسيكية والرومانسية في نقطة تتوازن فيهـا القيمة التراثية والوجدانية، لتجرد العمل الفني من استهواء واحد من المنزعين.

وكـذلك رأى التوجـه الإسلامــي في ثنـايا الحوار الـدائر بين **الفيكونت** و **سيرانو**؛ فأحدهما ـ وهو **الفيكونت** ـ يمثل الرؤية الكـلاسيكية للحياة، بما تقوم عليه من تقديـر للقيم الاجتماعية السائدة ـ بعد أن زينت ــ وما ينبثق عنها من كذب، ورياء، وغرور، وتملـق، وثانيهما ـ وهو **سيرانو** ـ يمثل الرؤية الرافضة لـذلك اللون من الحيـاة، المعادي لما تغص بـه من قيم المضحي في سبيل ذلك براحته، وأمنه، واستقراره؛ فجـاء هذا الحوار في هيئة مقابلة بين رذائل المجتمع المغلفة بـالصفات الخداعة، والألقاب المثيرة، ذات الـرنين العالي، التي تجعل من الرذائل فضـائل يعتز بها سادة المجتمع وأشرافـه، ويقهرون عليها العـامة؛ ليقيموا عليها البناء الاجتماعي، بحجـة أنها القيم التراثية واجبة الاحترام. جاء هـذا الحوار مقابلـة بين هـذه الرذائل والفضـائل الإنسـانية المجردة من الغش والـزيف والخداع، إلا أنها تجافي مـا تـواضع عليـه الســادة والأشراف، وذلك قولـه: [7]: فقال **الفيكونت**: إن الذي يغيظني ويؤلمني أن تصدر هذه الكلمات المملوءة كبرا وعظمـة من حقير مفلوك، لا يملك من متـاع الدنيـا شيئًا، حتى قفازا في يده، ولا يحمل على ثوبه أية علامة من علامات الشرف.

«فارتعش **سيرانو** غيظـا، ولكنـه تجلـد واستمسك، وأنشأ يقـول بصـوت هادئ رزين: نعم. أعترف لك يا سيـدي بأنني رجل فقير مفلوك، لا أملك من متاع الدنيا شيئـا، وأنني لا أحمل على صدري أي هِنة من تلك الهنات التي تسمونها إشـارات الشرف، ولكن ائذن لي أن أقول لك كلمـة واحدة، ثم أنت وشأنك بعد ذلك.



إسلامية المنفلوطي في مترجماته

الإفساد الفني تهمة ألصقها طه حسين بالمنفلوطي



د. طه حسين

إنني لا أحفل يا سيدي بالصور والرسوم، والأزياء والألوان، ولا يعنيني جمال الصورة وحسنها، ولا برقشة الثياب ونمنمتها، وحسبي من الجمال أنني رجل شريف مستقيم، لا أكذب ولا أتلون، ولا أداهن ولا أتملق، وأن نفسي نقية بيضاء غير ملوثة بألوان الرذائل والمفاسد» . . . إلخ ذلك الرد الذي شغل نحو صفحتين، أوضح فيه سيرانو القيمة الحقيقية لما يعتز به من أخلاقيات في مواجهة ما يعتز به الفيكونت وأمثاله من السادة الذين يسيطرون بفكرهم وسلطانهم على المجتمع.

في المنهج الفني

وهكذا شغل **المنفلوطي** - في هذا الموقف - بإبراز الفضائل ومظاهرها، ولم يهتم بالحركة الحوارية وما تستلزمه من خفة، وابتعاد عن الأسلوب الخطابي؛ لأنه يدرك أن الحوار في القصة لا يتأبى على مثل ذلك - بل قد يقبله الحوار التمثيلي كذلك - ما دام للأسلوب الخطابي دور في إبراز ما يقصد إليه الكاتب.

ولا غرابة في ذلك من أديب متمكن كالمنفلوطي الذي يوظف الأدب في التبشير بقيمه، والدعوة إلى أخلاقياته، والذي لا تستهويه الآراء النقدية المذهبية الوافدة، إيمانا منه بأن لكل مقام مقالا.

ولكن بعض الدارسين الذين أخضعوا نقدهم ودراساتهم لما يمليه النقاد الأوربيون - على اختلاف مشاربهم - رأوا في ذلك ضعفا في تعريب المنفلوطي، يؤاخذبه.

فحين أشاد **الدكتور منصور فهمي** بهذا المنهج من **المنفلوطي**، فكتب يثني عليه في صحيفة الأهرام [(٨)]، نهض **الدكتور طه حسين**، معلنا عدم رضاه عن ذلك، فكتب في الصحيفة نفسها، يهاجم منهج **المنفلوطي**، ويصفه بالفساد، ويطلب من **الدكتور منصور فهمي** أن يكف عن تشجيع مثل ذلك، حتى لا تكون كتاباته مشجعة للمفسدين الفنيين في إفسادهم، وللأدعياء في الأدب على أن يسرفوا في ادعائهم.

ولكن **الدكتور منصور فهمي** رد عليه، مدافعا عن وجهة نظر **المنفلوطي** في ذاتها، ويمدح منهجه فيها، فذكر أن عمل **المنفلوطي** إن كان بدعة فهي بدعة صالحة، لا يستهجنها الذوق السليم، ويستحق المبتدع عليها كل الحمد والثناء.

فالحقيقة الفنية التي يجب أن لا يماري فيها هي أن الأسلوب الخطابي لا يعاب في الرواية والمسرحية — على إطلاقه - بل يجب على الناقد أن ينظر إلى الموقف وحاجته في واقع الحدث، واستدعاءاته؛ لأن الخطابة قد تكون ضرورية في العمل القصصي أو المسرحي؛ إذ تساعد على تنامي الأحداث بما تحويه، ما دام الموقف غير مفروض ولا مصنوع، وما دام المحتوى ليس غريبا عن محور العمل نفسه.

ولا ريب في أن **المنفلوطي** - بحسه الإسلامي — رأى أن الموقف هنا يتطلب تلك النغمة الخطابية؛ لينشئ سيرانو في نفوس المتلقين ما يميز بين فضائل الأشراف التي يخدمون بها وجودهم، والفضائل الإنسانية التي تحقق لكل إنسان متوازن راحة النفس، واستقرار الوجود.

ولقد كان لهذا الحس الإسلامي أثره كذلك في اختيارات المنفلوطي، فهو لم يقدم على تعريب تلك المترجمات لتوافق مذهبي بينه وبين كاتبيها - كما توهم بعض الدارسين - ولكن لما وجده في ثناياها مما يمكن أن يتوافق مع الرؤية الإسلامية، ولا أدل على ذلك من أن **المنفلوطي** في ذلك لم يخص مذهبا دون مذهب، ولم يقتصر على نتاج أديب بعينه، ولكنه الانتقاء القائم على الوعي بما ينتقي؛ ليخدم غاية يقصد الوصول إليها من وراء تعريب أعمال بعينها، يتجه بها المتجه الذي يتلاءم مع رسالته التي وقف نفسه وأدبه عليها في كتاباته كلها - الذاتي منها والمترجم - منذ أمسك بالقلم، فهو الأديب المسلم الذي يؤمن بأنه - بقلمه — مسؤول عن دور التوجيه في هذا المجتمع الذي تكاد تتغير معالمه الإسلامية في دوامة الاتصال بأوربا الحديثة، وما ينتشر عنها من فكر وقيم وعقائد وسلوكيات منحرفة هدامة.

وهكذا حافظ المنفلوطي على إسلاميته في معرَّباته، كما حافظ عليها في ذاتياته؛ فلم يضعف أمام الفكر الأوربي الكاسح، ولم تلن قناته أمام المذهبيات الأدبية الأوربية الوافدة. وفي الوقت ذاته، لم يجد - بإسلاميته - ما يمنعه من الأخذ الواعي عن غيره من الأدباء أيا كان موطنهم.

الهوامش

(١) انظر مقدمة المنفلوطي لما اجتزأه من القصة في الجزء الثاني من النظرات الصادر سنة ١٩١٢م.

(٢) انظر «ماجدولين» ص ٤٦، ص ٥٦، ص ٥٧، الطبعة الخامسة.

(٣) السابق ص ٦٩، ٧٠.

(٤) مقدمة «الشاعر» ص ٥ الطبعة السادسة، سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

(٥) السابق ص ٤.

(٦) السابق ص ٢٦، ٢٧.

(٧) «الشاعر» ص ٥٢، ٥٣.

(٨) صحيفة الأهرام الصادرة في ١٩، ٢٩/٧/١٩٢١م.

المستعرب الإسباني إميليو غارثيا غوميث

فَضْلُ المُسْلِمِين عَلَى الغَرْبِ لا يُنْكَر

أجراه في مدريد: خالد سالم

الحديث مع إميليو غارثيا غوميث له مذاق خاص، يحمل إلى أذهان الكثيرين عبق الأندلس، وتاريخ العرب المشرق في هذه البقعة من الدولة الإسلامية في أوربا، التي امتدت ثمانية قرون من العطاء للبشرية والتسامح وإنكار الذات طوال دهور من الازدهار، وهو ما لم يستطع نكرانه كل نزيه من مثقفي الغرب، ومن بينهم هذا المستعرب الإسباني ورئيس أكاديمية التاريخ الملكية، والذي يُلقب بشيخ المستعربين الإسبان، منذ حقبة طويلة. إذ ولد في عام ١٩٠٥ م، بالعاصمة الإسبانية، ليعاصر التحولات التاريخية والسياسية والثقافية التي شهدتها إسبانيا طوال القرن العشرين، ابتداء من حروبها في المغرب، ومولد جيل الـ ٢٧ الشعري، الذي كان من بين رواده الشاعر غارثيا لوركا، والحرب الأهلية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م)، والحكم المنفرد للديكتاتور فرانثيسكو فرانكو، وعودة الديمقراطية بوفاة هذا الديكتاتور في ١٩٧٥ م.

إلا أن الأهم من كل هذا، كان الدور الذي أداه في التعريف بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس من خلال أبحاثه وكتبه ومحاضراته في الجامعات الإسبانية، فيذكر أنه صاحب أول دراسة وترجمة عن الشعر العربي الأندلسي، في العشرينيات، فكان هذا الشعر بمثابة اكتشاف لمثقفي إسبانيا وعلى رأسهم جيل الـ ٢٧، وهو الجيل الذي أفاد أعضاؤه من هذا الشعر العربي باعتراف رفائيل ألبرتي العضو الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة.

كل هذا جعل منه مرجعا للأندلسيات في إسبانيا وأوربا، لما يقرب من قرن، فأجيال من المستعربين تتلمذوا على يديه ودخلوا عالم الاستعراب من خلال دراساته وترجماته، وإن كان لبعضهم بعض المآخذ على هذه الترجمات.



إميليو غارثيا غوميث

الحديث يطول لسرد منجزاته في هذا الصدد، إلا أنه من الإنصاف، الإشارة إلى أنه حصل على شهادة الدكتوراه في الأندلسيات دون أن يتعدى عمره اثنين وعشرين عاما، سافر بعدها، في نهاية العشرينيات، إلى القاهرة لتوسيع معارفه باللغة والأدب العربيين. وعاد ليؤسس مجلة «الأندلس» أقوى وأفضل مجلة متخصصة في الدراسات الاندلسية ظهرت في أوربا حتى اليوم، ويؤسس مدرسة الدراسات العربية في غرناطة، وظل يدرس اللغة العربية وآدابها في الجامعات الإسبانية إلى أن أحيل إلى التقاعد في منتصف السبعينيات رئيسا لقسم الدراسات العربية في جامعة مدريد كومبلوتنسي.

قائمة الجوائز والدكتوراه الفخرية التي حصل عليها طويلة، كانت آخرها جائزة «أمير أستورياس»، في فرعها للاتصال والعلوم الإنسانية، والتي حصل عليها في ١٩٩٢ م، عرفانا بدوره البارز في التعريف بالثقافة العربية والإسلامية، وهي السنة التي شهدت الاحتفالات بمرور خمسمائة عام على اكتشاف الرحالة كريستوفر كولومبس للقارة الأمريكية. وفي عام ١٩٨٨ م نال جائزة «بغداد» من اليونسكو لاعتباره أشهر المستعربين الإسبان، وجائزة «مينينديث بيدال» الإسبانية. أما الدكتوراه الفخرية فيحملها من جامعات بوردو الفرنسية والقاهرة والجزائر وإشبيلية وقرطبة وغرناطة.

تنقّل في العمل الدبلوماسي بين عدة عواصم في الشرق الأوسط، منها بغداد وبيروت وأنقرة وكابول، أنجز خلالها جزءًا كبيراً من كتبه ودراساته حول الحضارة العربية الإسلامية المشرقة في الأندلس، والتي لا تزال مرجعا للكثير من الباحثين، رغم صدور الكثير من مؤلفات الأجيال التالية لجيله.

يتمتع بعضوية مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط، بالإضافة إلى عضوية المجمع الملكي للغة الإسبانية منذ عام ١٩٤٥ م، مما



إميليو غارثيا غوميث

جعله يستحق لقب شيخ الأكاديميين والمستعربين في إسبانيا .

وفي مصر درس على يدي الدكتور طه حسين، وظلت تجمع بينهما صداقة حميمة حتى وفاة طه حسين، إضافة إلى صداقته مع أعلام الفكر العربي في مصر، من بينهم أحمد زكي باشا وتوفيق الحكيم وعباس العقاد .

تربو مؤلفاته على ثلاثين كتابا، بين الدراسة والترجمة، يبرز بينها «الشعر العربي الأندلسي» ١٩٢٩ م، و«خمسة شعراء مسلمون» و«عروض الموشحات الأندلسية والعروض الإسبانية» و«ابن قزمان» و«أشعار عربية على جدران ونافورات قصر الحمراء» و«ترجمة طوق الحمامة» لابن حزم، إضافة إلى دراسات وترجمات عديدة للكتاب المعاصرين . وكلها مراجع أساسية لكل مستعرب أو قارئ يريد الاقتراب من الثقافة العربية والإسلامية في الأندلس .

بيد أن كتاب «الشعر العربي الأندلسي» يعدّ أكثر مؤلفات غارثيا غوميث تأثيراً في الحياة الثقافية الإسبانية، فمنذ صدور طبعته الأولى في ١٩٢٩ م طبع أكثر من عشر مرات وترجم إلى لغات عديدة، وترك أثره على نتاج معظم شعراء جيل الـ ٢٧ الشعري، ومن أبرزهم الشاعر فدريكو غارثيا لوركا، ورفائيل ألبيرتي، وبيثنتي أليكساندري (نوبل للآداب عام ١٩٧٧ م) . وإذا كان غارثيا لوركا لم يعترف صراحة بتأثره بهذا الكتاب؛ لأنه اغتيل شابا في بداية الحرب الأهلية الإسبانية، فإن صديقه رفائيل اعترف بذلك في أكثر من مناسبة .

ورغم تقدمه في العمر، إذ يناهز ٨٨ عاما، فإنه لا يزال يقوم بواجباته رئيسا لأكاديمية التاريخ الملكية، إضافة إلى أبحاثه، ويحدوه الأمل في إتمام الدراسة التي بين يديه عن المؤثرات العربية في الأمثال الإسبانية .

ورغم كثرة التزاماته الأكاديمية، استقبلنا في مكتبه بالأكاديمية، ودار بيننا حديث طويل عن قضايا الاستعراب في إسبانيا . وفيما يلي مجمل لما دار خلال هذا الحديث :

التفاهم هو الأساس

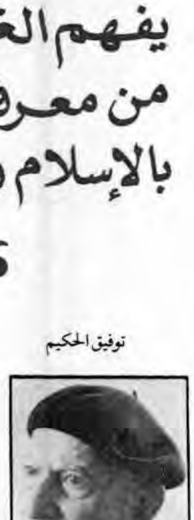
○ عن تجربته الغنية في عالم الأندلسيات وما قدمه للثقافتين العربية والإسبانية، قال :

□ أود بادئ ذي بدء أن أشير إلى أنني عملت طيلة حياتي الأكاديمية، التي تمتد إلى ما يقرب من سبعين عاما، من أجل التزاوج بين الحضارتين، وليس لصهرهما، على أساس من التفاهم والتسامح والاحترام المتبادل، من منطلق أن التفاهم هو الصيغة الوحيدة التي يجب أن تحكم العلاقات بين المسلمين والأوربيين، فمن الملاحظ أن الفترات التي شهدت انزواء ظاهرة سوء التفاهم والنزاع حل خلالها تعارف واحترام متبادلين بين الطرفين .

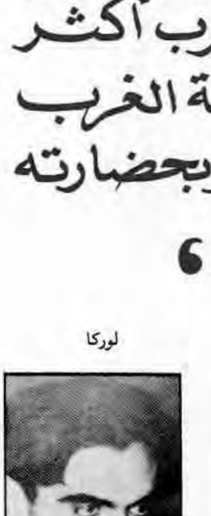
وفي هذا السياق أكد أن العالم الإسلامي يفهم العالم الغربي أكثر من معرفة الغرب بالإسلام وبحضارته، وإن كان الرأي العام الغربي قد تغير كثيرا في نظرته إلى الثقافة العربية عما كان عليه الوضع عندما بدأ دراسة هذا التخصص في جامعة مدريد المركزية، إذ إنه لم تكن هناك سوى قلة قليلة من المثقفين تتقبل الثقافة العربية، فالغالبية كانت تتنكر لها وتتعالى عليها .

”العالم الإسلامي يفهم الغرب أكثر من معرفة الغرب بالإسلام وبحضارته“

توفيق الحكيم



لوركا



○ وردًّا على ما تردده بعض الأوساط الغربية المغرضة من أن العالم العربي والإسلامي عالم مغلق، قال :

□ كلا، فالإنسان العربي والمسلم من أكثر البشر انفتاحا على «الآخر»، بمعناه المباشر والفلسفي . إنه يقدر الصداقة أكثر من غيره، وفي هذه النقطة نلتقي نحن الأسبان معكم . إنني أبني مواقفي هذه على خبرة السنوات الطويلة من العلاقة مع أصدقائي العرب، فهم كثيرون، وكثيرا ما ناقشت معهم كل هذه الأمور، ولم أجد منهم سوى الحوار والمناقشة بصدر رحب .

تحضرني بهذا الشأن ذكريات طيبة عديدة، فقبل أن أُعيَّن سفيرا في الشرق الأوسط زرت المنطقة حيث حصلت على منحة دراسية في مصر، وبعدها تجولت في سورية ولبنان وبلدان أخرى بالمنطقة . إلا أن صلتي بالشرق الأوسط لم تنقطع بعد انتهاء عملي سفيراً في الخمسينيات والستينيات، إذ كنت أتردد على مصر نظرا للصداقة التي كانت تجمعني بأساتذتي طه حسين وتوفيق الحكيم . **أي أن خبرتي ودرايتي بشعوب المنطقة كانت على أرض الواقع، لهذا أستطيع أن أؤكد أن الإنسان العربي منفتح على العالم ويثمّن الصداقة والعلاقة البشرية .**

اعتراف غربي

○ هل تعتقد أن دور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس لاقى حقه من التقدير والعرفان خارج إسبانيا؟

□ في الواقع قاومت أوربا طويلا الاعتراف بهذا الدور، فعلى سبيل المثال نجد أن **بتراركا** شاعر عصر النهضة الإيطالي كان يسيء إلى العرب . بينما إسبانيا اعترفت به مبكرا، فبلاط الملك **ألفونسو**



إميليو غارثيا غوميث يتحدث مع محاوره

العاشر أو الحكيم كان بلاطا عالميا، عمل وتعايش فيه المسلمون والمسيحيون واليهود معا.

أما اليوم فلا يستطيع أحد إنكار فضل الحضارة العربية على الغرب، فلو لم يكن الحضور العربي في الأندلس وما أفرزه من حضارة مشرقة طوال ثمانية قرون، لما وصل الغرب إلى ما وصل إليه الآن، بل كان عليه أن يبدأ من حيث انتهى الرومان والإغريق. **إلا أن أوربا التي رفضت في البداية الإقرار بفضل العرب في هذا المجال، اضطرت إلى الاعتراف به على مضض بعد أن أصبح من الصعب، بل من المستحيل، حجب الحقيقة عن البشرية أو إنكارها.**

○ **وعن أوجه الخلاف بين الحضارة العربية في الأندلس وفي المشرق العربي، يقول:**

□ هذه القضايا لا يمكن حلها في كلمات بسيطة، إلا أنه على مستوى التأثير فإن الثقافة المشرقية كانت أقوى من تلك التي كانت قائمة في الأندلس فاستفادت منها. يجب أن نفكر هنا في الوقع الذي تركه وصول ديوان المتنبي في الثقافة الأندلسية. لهذا فإنه يمكن القول بأن الأدب الأندلسي كان إقليميا إذا ما قورن بالأدب العربي في بغداد العباسية أو القاهرة الفاطمية أو دمشق الأموية.

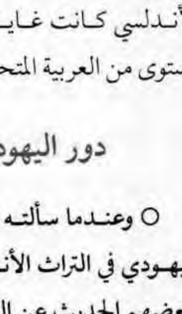
كانت هناك مشكلات لغوية، خاصة على مستوى النطق والصوتيات، نظرا لأن الأندلس كانت نقطة تماس مع لغات وثقافات أخرى، وهذا أمر معروف في اللغات كافة. إلا أن اللغة المستخدمة في الطبقات العليا من المجتمع الأندلسي كانت غاية في الرقي، لم تكن أدنى مستوى من العربية المتحدث بها في المشرق.

دور اليهود في الأندلس

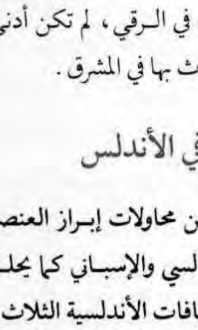
○ **وعندما سألته عن محاولات إبراز العنصر اليهودي في التراث الأندلسي والإسباني كما يحلو لبعضهم الحديث عن الثقافات الأندلسية الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية، رفع حاجبيه مستنفرا، وقال:**

□ بقدر ما لدي أصدقاء عرب لي أصدقاء يهود، وهذا يعني أنني لا أجامل أحدًا ولا أجانب

رفائيل ألبيرتي



أحمد زكي باشا



الحقيقة، إذا قلت إن اليهود يبالغون في الحديث عن إسهامهم في حضارة الأندلس، فدور **اليهود لا يقارن بدور المسلمين ولا بدور المسيحيين**. لهذا فإن الحديث عن ثقافات ثلاث في الأندلس يخالف الحقيقة والموضوعية، فلا يمكن المساواة أو المقارنة بين الدور العربي واليهودي، من منطلق أن العرب كانت لهم السيادة والغلبة في المجالات كافة، **كانوا حكام البلاد وسادتها، بينما اليهود كانوا أقلية فلم يحكموا الأندلس**، وأقصى ما وصلوا إليه في سلم الحكم هو رئاسة الوزارة في غرناطة.

واستطرد يقول: يجب الأخذ بعين الاعتبار أن اليهود لم يتمتعوا بسلطة سياسية، إضافة إلى أن أدبهم، قمة رقيهم حينئذ، لم يصل إلى مستوى الأدب العربي الأندلسي، ففي الكثير من الأحوال نقلوا عن الأدب العربي، ولم يبرزوا سوى في الشعر الديني وكان ذلك تحت تأثير الشعر العربي، **لكل هذا فإن المقارنة بين التأثير أو الحضور اليهودي والحضور العربي في الأندلس أمر مرفوض علميا وإنسانيا.**

قصة كتاب

○ **عن كتابه «الشعر العربي الأندلسي» والضجة التي أثارها، قال:**

□ تعود حكاية هذا الكتاب إلى فترة إقامتي في مصر، إذ كانت تجمعني صداقة قوية مع **أحمد زكي باشا**، مما سمح لي بالاطلاع على مكتبته الزاخرة بكتب التراث، والتي تنازل عن جزء منها للدولة أودعه في «**الخزانة الزكية**»، بالغورية، وكان من بين الكتب التي احتفظ بها في منزله صورة مخطوط لكتاب «**رايات المبرزين**» لابن سعيد الأندلسي، ومنها أعطاني نسخة حيث كانت بداية هذا الكتاب. وفي القاهرة كنت أدرس المخطوط بمساعدة **أحمد زكي باشا** حيث كنا نخصص له ساعة كل أسبوع. وكان **أحمد زكي** أول من ولج عالم الشعر الأندلسي.

بعد عودتي إلى إسبانيا بدأت في نشر بواكيره في مجلة «**أوكثدنتي**»، وفي عام ١٩٢٩ م صدرت أول طبعة، وتوالت الطبعات بعد انتهاء الحرب



إميليو غارثيا غوميث

الأهلية، في ١٩٣٩ م، حتى اليوم. لقد لاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا فاق توقعاتي، إذ صادف نشره، أن هذا النوع من الشعر كان شبه مجهول في إسبانيا، فآخر ترجمة نشرت في إسبانيا تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وكانت ترجمة عن الألمانية، أي ترجمة عن ترجمة أخرى، وهذا ليس علميا. إلا أنه انتحل في مناسبات عديدة بالإنجليزية والألمانية والسويدية، وأذكر أنني كنت ذات مرة في السويد، فوبخني أحد الأصدقاء لنشره باسم مستعار، وكانت مفاجأتي أن أحد الكتاب السويديين ترجمه ووضع اسمه عليه، ثم تكررت نفس الحادثة في بريطانيا.

تصادف نشر الكتاب الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة لوفاة الشاعر القرطبي **لويس دي غونغورا** (١٥٦١ ــ ١٦٢٧ م)، ومعروف أن هذا الشاعر الإسباني يلتقي في الصورة واللغة مع الشعر العربي الأندلسي. وكان ذلك الحدث نقطة انطلاق ومولد جيل الـ ٢٧، فظهر الكتاب في لحظة مناسبة.

بين الشعر المشرقي والأندلسي

○ لم نرد أن تفوت الفرصة دون الحديث عن تأثير الشعر العربي الأندلسي على أعضاء جيل الـ ٢٧، فسألناه عن مدى صحة هذا الأمر، إلا أنه رد مكتفيا بالإشارة بقوله:

□ هذه مشكلة معقدة لا أريد الخوض فيها، فهذا الأمر متروك للباحثين، فقد قرأ كل الناس هذا الكتاب، وكان يلتقي مع المواضيع التي كان يعالجها الشعر الإسباني في تلك الفترة. إلا أن الكثيرين من شعراء هذا الجيل، اعترفوا صراحة بقراءتهم لهذا الشعر وبإعجابهم به، ومن بينهم رفائيل ألبيرتي، على عكس غارثيا لوركا الذي كانت تربطني به صداقة حميمة لم يعترف بذلك رغم أن الباحثين أقروا تأثره بهذا الشعر العربي الأندلسي.

○ قرأنا تصريحات لعدد من الشعراء الإسبان، مثل خوان رامون خيمينث، ورفائيل ألبيرتي، ومفادها أنهم استحسنوا ترجماتك للشعر الأندلسي، واستقبلوها في حينها استقبالا منقطع النظير، وأنهم تدارسوها، فما النقاط التي أثارت اهتمامهم في هذا النوع من الشعر العربي؟

□ يجب أن أشير إلى أن الشعر العربي الأندلسي لا يمكن مقارنته بكثافة شعر المشرق العربي وإتقانه، ففي الأندلس لم يوجد **متنبي ولا أبو تمام ولا بحتري**. كان نوعا آخر من الشعر، يمكن أن نطلق عليه تسمية «**شعر إقليمي داخل الإسلام**»، إذ إنه لا يتمتع بالقوة التي نجدها، على سبيل المثال، في شعر **المتنبي**، والذي أعتبره من أحسن الشعراء العرب وأتمتع بقراءته أكثر من أي شاعر آخر.

كانت مسألة الاستعارة وقوتها في الشعر العربي الأندلسي أهم ما أثار اهتمام الشعراء الإسبان المعاصرين، هذه هي النقطة التي تركت أثرًا واضحًا في نتاجهم الشعري. الاستعارة وقوتها في التعبير والوصف تختلف تماما عن الاستعارة القديمة أو التقليدية، فالشاعرية الكلاسيكية نجد فيها استعارات مثل الورد والزنابق والسوسن، ولكن في الشعر الأندلسي نجد استعارات مثل الخرشوفة والباذنجانة، فالباذنجانة ولونها المميز بعنقها الأخضر، استخدمها الشعراء الأندلسيون لتشبيهها بقلب بين مخالب نسر. هذا بالإضافة إلى إقامة مقارنة على أساس التفاوت في الأحجام، فمركب صغير بمجاذيفه في الميناء أو في ساحل البحر يشبهونه بالعين والأهداب.

> ❞ اليهود يبالغون في الحديث عن إسهامهم في حضارة الأندلس ❝

أبيات لا تمثل أهمية كبيرة

○ من الملاحظ أن القصائد المدونة على جدران قصر الحمراء ونافوراته أصابها بعض التشويه والتآكل، نتيجة تقادم العهد وعبث بعض الأيدي التي حاولت إعادة كتابتها، فكيف عَالَجْتَ هذه المشكلة عند ترجمتها إلى الإسبانية حتى تصل إلى القارئ كما هي عليه في كتابك «أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء»؟ هل ترجمت الأشعار على ما كانت عليه أم جرى ملء هذه الفراغات لتصبح هذه الأبيات؟

□ تمثل الأشعار المدونة على جدران قصر الحمراء مشكلة غاية في التعقيد مع أنها من الناحية اللغوية ليست ذات أهمية، فالكثير من النصوص مُزَوّرة، ولكن ترجمة **الموريسكي ألونسو ديل كاستيو** لها في عهد الملك **فليبي الثاني** سهّل إعادة ملء الفراغات وتصحيح ما هو مشوه أو مزوّر.

كانت هناك سابقة أخرى على ترجمتي، قام بها المستعرب **إميليو لافوينتي ألكانترا** حيث نشر كتابا عن أشعار قصر الحمراء، إلا أنه مليء بالأخطاء، وإن كان ذا قيمة علمية لا بأس بها. كل هذا سمح لي بترميم ما محي بفعل عوامل التعرية الطبيعية وامتداد اليد البشرية إلى هذه التحفة التي تزين جبين الحضارة العربية في الأندلس.

بيد أنه يجب أن ألفت النظر هنا إلى أن قصر الحمراء يعتبر غاية في الضعف من ناحية البناء، ومن الغريب أن يكون قد تحمل مرور السنوات وعوامل التعرية، إلا أنه لا يوجد في العالم العربي قصر مدني يرجع إلى عصر بناء قصر الحمراء، هذه المسألة أعالجها في كتاب نشرته منذ سنوات قليلة في المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد.

من المؤسف أنه لم يبق كثير من المواد النبيلة التي استخدمت في تدوين هذه الأشعار، إذ كانت مكتوبة بالذهب على خلفية من اللازورد المسحوق، ولكن الذهب واللازورد اختفيا ولم يبق سوى معجون المرمر، لذلك كان من السهل ترميمها. وهناك حكايات معروفة عن بعض المرممين الذين قاموا بهذه المهمة دون أدنى معرفة بالعربية!

بيد أن هذه الأبيات لا تمثل أهمية أدبية كبيرة، فكانت أشعار لخدمة ظروف معينة، وإن كانت لا تخلو من الجودة الشعرية، خاصة أبيات **ابن زمرك**، التي تفوق أشعار **ابن الخطيب**. فمن المعروف أن الأول كان يتفوق على الأخير من الناحية الشعرية، حيث إن شهرة **ابن الخطيب** اقتصرت على براعته بصفته مؤرخًا وليس شاعرًا. من الناحية العروضية والنحوية والزخرفية كانت هذه الأبيات متقنة. وأعتقد أنني استطعت إصلاح جزء كبير منها في كتابي سالف الذكر.

حول ابن عربي والحلاّج

○ معروف أن ترجمات ابن عربي والحلاج، وما كتب عنهما في فرنسا أثارت اهتماما كبيرا في الأوساط الثقافية الفرنسية والعالمية، في حين أن كتابات المستعرب الإسباني القس آسين بلاثيوس عن ابن عربي ظلت محصورة في النطاق الإقليمي. عن هذا الأمر يقول:

□ من المنطقي أن تكون الدراسات الفرنسية قد لاقت رواجا وانتشارا على المستوى العالمي أكبر من مثيلاتها الإسبانية. **إلا أن كتاب الإسباني آسين بلاثيوس حول التأثيرات الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي تخطى الحدود**، فقد نشر عشية الاحتفال بالذكرى المئوية لدانتي مما أكسبه أهمية وزاد من وقعه في العالم، وخاصة في إيطاليا. وبعد وفاة بلاثيوس نشر كتاب «**المعراج**» الذي ترجم في عهد **ألفونسو الحكيم**، من قبل مترجمي مدرسة طليطلة للترجمة، وتوجد منه نسخة في الفاتيكان وأخرى في جامعة أكسفورد، وهو **كتاب يؤكد نظرية آسين بلاثيوس**.

إلا أن الدراسات التي كتبها **آسين بلاثيوس** عن **ابن عربي** لم تنل بالفعل الأهمية نفسها في الخارج؛ لأنه توفي دون إتمام دراساته. إضافة إلى أن له نظرية لم ترق للكثير في كتابه «**الإسلام المنصر**»، ويدور حول **ابن عربي**. وتدور هذه النظرية حول وحدة الثقافة في العالم، أي أن الإسلام نهل من ثقافة العالم الكلاسيكي، ومن الشرق الأقصى وبلاد فارس، وقام بهضم هذه الحضارات ليعود، ويحملها إلى الغرب عبر الأندلس، وبذلك تكتمل الدائرة. وهذه النظرية صحيحة جزئيا، ولكنها لم تعجب الكثيرين حينئذ. الفرنسي المشهور **لويس ماسنيون** تتلمذ على يد **آسين بلاثيوس**، ولكنه كان معارضا لهذه الأطروحة، ولا يعتقد في تأثر الإسلام بالثقافات الأخرى، **فكان يرى أن الصوفية تولدت وخرجت من الإسلام ذاته دون أي تأثير خارجي**. وكرس حياته لدراسة «**الحلاج**»، ولكنه لم يجد من ينافسه في هذا المجال أو يعارض نظريته بهذا الصدد، وله كتاب عن «**الحلاج**» لا يزال مرجعا أساسيا، فلا يوجد كتاب يحل محله رغم مرور أكثر من ستين عاما على تأليفه.

> **"طرد الموريسكيين حدث في وقت لم يكن هناك مكان للأقليات في أوربا كلها"**

إسهام العرب في اكتشاف أمريكا

○ لم تكن لتفوتنا الفرصة دون الولوج في الفعاليات التي شهدتها إسبانيا طوال العام الماضي احتفالا بذكرى مرور خمسة قرون على اكتشاف القارة الأمريكية، ومن أبرزها «إكسبو ٩٢»، في إشبيلية. وضمن فعاليات تلك المناسبة شارك غارثيا غوميث إلى جانب الملك خوان كارلوس والدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، وشخصيات عربية وإسبانية كثيرة، في احتفال «الأندلس ٩٢»، الذي أقيم في نوفمبر ١٩٩٢م في مدينة الزهراء، على مشارف قرطبة. وهو الاحتفال الذي اعترض عليه بعضهم، حيث طالبوا بأن تعترف إسبانيا بالخطأ الذي ارتكب بطرد الموريسكيين من موطنهم، إثر خروج العرب من الأندلس في ١٤٩٢ م، وهي السنة التي اكتشفت فيها أمريكا. عن هذه القضية وإسهام العرب في هذا الحدث التاريخي من خلال البحارة والفلكيين قال:

□ لقد أشرت في خطابي في تلك المناسبة إلى الدور الحضاري الذي اضطلع به العرب في الأندلس، وكانت مدينة الزهراء خير مثال على هذا الرقي، ولا تزال شاهدة على فترة مزدهرة من تاريخ الأندلس.

أما قضية الموريسكيين فهي مؤلمة على المستويات كافة، سواء بالنسبة للموريسكيين أو بالنسبة لنا نحن الإسبان. إلا أنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن فكرة الدولة الأوربية الحديثة ظهرت في إسبانيا، وكانت فكرة متنافرة مع وجود الموريسكيين. وفي الوقت نفسه كان هناك تفهم لوضعهم من قبل الكنيسة وطبقة النبلاء، وكانوا أول من دافع عنهم.

على أية حال، الشعوب العظيمة هي التي تستفيد من تاريخها، ولا يوجد شعب في العالم دون فترات سوداء في تاريخه، والموريسكيون يمثلون هذه النقطة في تاريخ إسبانيا.

هذا بالإضافة إلى أن هذه القضية تعتمد على كيفية معالجتها، والمنظار الذي ترى من خلاله، فمن وجهة النظر العربية هو أمر مؤلم، أما من الناحية الإسبانية فيجب الأخذ بعين الاعتبار أن طرد الموريسكيين حدث في وقت لم يكن هناك مكان للأقليات، ليس في إسبانيا فقط، بل في أوربا كلها! وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع المؤلم، كالحروب الدينية في أوربا، وضد البروتستانت في فرنسا. وعليه فإن طرد هؤلاء المسلمين الإسبان كان مؤلما من الناحية الإنسانية، سواء كانت مسلمة أم مسيحية، وهو ما يختلف مع وجهة النظر السياسية حينئذ.

إنها مرحلة حساسة، ويجب أن نراجعها بتأنٍّ ودقة، فلا يمكن اتخاذ موقف موحد تجاهها، ولا أن نحكم على التاريخ بعقلية اليوم قبل أن نأخذ بعين الاعتبار المفاهيم السائدة في حينه.

وبالنسبة للإسهام العربي المباشر في اكتشاف القارة الأمريكية فلا توجد وثائق تؤكد هذه المقولة، وإن كان البحارة الإسبان قد أفادوا من العلوم الفلكية والبحرية العربية في رحلة الاكتشاف.

الرمز والرمزية

محمد بوعزة

تتعدد معاني كلمة «رمز» بحسب الحقل الفني أو المعرفي الذي تستخدم فيه . لهذا قد نجد مصطلح الرمز يأخذ أبعادًا متعددة للباحث الواحد .

فقد يشير المصطلح إلى كل ما قد يوحي بمعنى إضافي غير معناه الأصلي السائد، وقد يستعمل كبديل لبعض «الحالات» المتفق عليها اجتماعيا، والتي تحظى عادة بمعنى محدد وعام، كما هو الحال في اعتبار قطعة الثوب السوداء اللون ـ مثلاً ـ رمزًا للحداد والحزن، وقد يستعمل أيضا للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر بصورة راقية، لا تخلو من الغموض، كما هو الشأن بالنسبة للرمزية في الشعر والفنون، حيث يتحول الأدب والفن إلى إشارات وومضات زاخرة بالدلالات .

وقد ينتج الرمز عن بعض المواضيع الماورائية التي يعالجها بعض الأدباء الكبار، معالجة تقوم على أسس جمالية وفلسفية، ثم إن هذه المواضيع غالبًا ما تتسم بالغموض، كقضية مصير الإنسان في هذا الوجود الغامض، وقضية الموت والحرية . لذلك فطبيعة هذه المواضيع، قد تدعو للرمز.

ويمكن أن نلحظ هذا الاتجاه الرمزي في قصص الأديب التشيكي **«كافكا»**، الذي يعد ـ في نظر النقاد ـ أحد أعلام الأدب الوجودي .

وقد يلتجىء الأديب أو الفنان إلى الرمز، تحت ضغط ظروف سياسية أو اجتماعية، تضطره إلى أن يتبنى الرمز، لكي يعوض رؤيته للأشياء، ويقدم وجهة نظره للحياة، بطريقة لا تعرض حياته لخطر أجهزة الرقابة والسلطة، كما هو شأن الأدب الرمزي في فرنسا إبان الاحتلال الألماني .

ويرى **كارل يونج** (Carl Jung) أن الإنسان يستعمل الكلمة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، للتعبير عن الأفكار والمفاهيم التي يريد توصيلها ونقلها للآخرين، أي تحقيق الاتصال والتواصل(Communication)، إلا أن الكلمات الإنسانية تزخر بالرموز؛ لأنها تغري بالعبث اللفظي والتأويل، والكلمة الواحدة تتضمن دلالات باطنية إلى جانب معانيها المباشرة، والكلمة تكتسب صفة «رمز»، حيث توحي بأكثر من معناها المألوف والواضح، وفي هذه الحالة تصطبغ ببعض المظاهر اللاشعورية إلى درجة يصعب معها تحديد دلالاتها بسهولة، دون اللجوء إلى بعض العمليات المترابطة .

ماهية الرمز ـ إذن ـ هو أنه يوحي بالمعنى، لكنه لا يعبر ولا يفصح عنه، والرمز نفسه ـ كما يرى **هيجل** ـ [1] هو باستمرار شيء مادي موجود، أما ما يرمز إليه أو يوحي به فهو فكرة مجردة، بحيث تكون العلاقة بين الاثنين علاقة الملموس أو المشخّص العياني بالمجرد، لذا فدور «الرمز» هو التجسيد العياني والمادي، فالأسد ـ مثلا ـ يرمز إلى الشجاعة، والميزان يرمز إلى العدالة، ونوضح ذلك بما يلي :

الرمز	ما يرمز إليه
الأسد	الشجاعة
الميزان	العدالة
الحمام	السلام

شيء مادي مشخص	فكرة مجردة
الأسد	الشجاعة
الميزان	العدالة
الحمام	السلام

وفي ممارستنا اليومية، نستعمل الحركات والأفعال كرموز، فرفع اليدين إلى الأعلى يرمز إلى الاستسلام، بينما حركة الأصبعين على شكل " V " ترمز إلى النصر. بل إن المسألة تزداد خطورة، حين يصبح الرمز كائنًا إنسانيًا، وليس مجرد شيء مادي، ويتجلى ذلك لدى بعض الشعوب والحضارات، التي تجعل من بعض الأشخاص رموزًا للأفكار والقيم النبيلة، كالتحرر وفكرة الانعتاق، أو بعض الأدباء والفنانين الذين يعتبرون في نظر الجماهير رموزًا للنضال والالتزام .

انطلاقًا مما سبق يظهر أن مصطلح الرمز يحيط به بعض الضباب، هذه المسألة تدفعنا إلى أن نشير إلى قضية مهمة وخطيرة، وهي الخلط بين الرمز Symbol والعلامة Sign ، لذا لابد من التمييز بينهما .

ويرى جل الباحثين أن الرمز أعقد من العلامة، لأن العلامة، لا تفعل شيئًا يتعدّى نطاق الإشارة، وغالبًا ما تكون هذه الإشارة مفهومة لدى أفراد المجتمع، حيث يمكن لها أن


هيجل


بودلير


محمد مندور


جورج صيدح

تحافظ على استمراريتها التاريخية، بينما **الرمز يشير إلى تصورات ومفاهيم موغلة في التجربة، من هنا تأتي صعوبة فهم الرمز، الذي يتطلب قدرات ذهنية، ولا يتم إدراك مراميه إلا حين نتعرف الفكرة التي يرمز إليها**، على خلاف العلامة التي يمكن استيعابها باعتبارها عملية حسّية. وقد رأى علماء اللسانيات أن «المدلول» عليه بعلامة أبسط من المدلول عليه برمز، وعادة ما تُفهم العلامة على أنها فعل يمكن إدراكه حسّيًا، بعكس الرمز الذي يفرض علينا مجموعة من العمليات الذهنية المترابطة؛ لأن الرمز تدخل في تحديد دلالاته بعض العوامل النفسية (السيكولوجية) والفكرية (الايديولوجية).

كانت الرمزية (Symbolism) أحد المذاهب الراسخة في الأدب والفن خلال القرن الماضي، وقد ارتبطت بمدرسة الشعر التي ازدهرت على يد مجموعة من الشعراء الفرنسيين - على وجه الخصوص - أمثال **ستيفان، مالارميه، وبول فرلين وبودلير**، وقد كان هذا الاتجاه الرمزي بمنزلة انقلاب على تقاليد المدرسة البرناسية (نسبة إلى جبل البرناس ببلاد اليونان، وهو الجبل الذي تسكنه آلهة الشعر، كما تقول الأساطير اليونانية)، ومن باب الإشارة، فإن البرناسية - على يد زعيمها **«لوكونت ديليل»** - كانت تريد أن تجعل من الشعر فنًا موضوعيًا؛ كرد فعل في مقابل ذاتية الرومانسيين المفرطة، وقد اتسم الشعر البرناسي بالوضوح وبالدعوة إلى مبدأ «الفن للفن».

أما الرمزيون فقد كان همهم الإبداعي هو الدعوة إلى شعر يكتفي بالإيحاء (Suggestion)، ولا يسقط في متاهات التفاصيل المباشرة، معتمدين في ذلك على الخيال الخلاق، والصورة الشعرية الموغلة في التجربة، مع الاعتماد أيضًا على موسيقى الشعر وما يسمى بالمعادلات الصوتية، كما غامر الرمزيون بالشعر في محاولة للتعبير عن أسرار الكون وما وراء الطبيعة الفيزيائية، والتوغل في أغوار النفس الإنسانية.

ويذهب الدكتور **ياسين الأيوبي** [2] إلى أن الرمزيين اعتمدوا جملة أساليب أدبية، شكلت ما يسمى **المقومات العامة للأدب الرمزي، وأبرزها: الإيحاء، الإبهام، الموسيقى والعقلانية غير المنظمة.**

وقد ساهمت الظروف التاريخية في بلورة فلسفة الرمزيين، الذين تأثروا بمذهب «كَانْت» في الظاهرة والشيء في ذاته، والفلسفة الإرادية عند «شوبنهاور» وآرائه الجمالية التي تحتقر الواقع.

ويذهب الدكتور «**محمد مندور**»[3] في كتابه «**الأدب ومذاهبه**» إلى أن الأصول الفلسفية للرمزية موغلة في القدم، وتستند ضمن ما تستند إلى فلسفة **أفلاطون** المثالية، تلك الفلسفة المثالية، التي كانت تنكر الحقائق الحسيّة، ولا ترى فيها غير صور ورموز الحقائق المثالية المتعالية عن عالم الحس.

ونشير إلى مسألة من الأهمية بمكان، تتعلق بالرمز، وهي ذلك التقسيم الذي يقيمه مجموعة من الباحثين والمنظرين، فيميزون بين نوعين من الرمز:

الرمز الفردي أو الخاص والرمز الجماعي أو العام، وبتعبير الباحث «ادمون داليتش»: **الرموز الاجتماعية** (السوسيولوجية) العامة Public - Sociological - Symbols **والرموز النفسية** (السيكولوجية) الخاصة Privot - Psychological - Symbols

وتشكل الرموز الفردية أو الخاصة حقل اهتمام الباحثين في الدراسات النفسية، بينما ينصب اهتمام الباحثين الأنثربولوجيين على الرموز الجماعية أو العامة. ويذهب الباحث إلى أن هدف الرموز الخاصة، هو التعبير عن الحالات النفسية للفرد، بينما هدف الرموز العامة هو تحقيق التواصل والاتصال بين أفراد المجتمع، ورغم هذا التقسيم النوعي لمصطلح الرمز، فإن الباحثين يؤكدون وجود علاقة بين الرموز الفردية والرموز الجماعية، بشكل أو بآخر.

ففي المجال الفني مثلا - نجد أن لكل فنان «معجمًا فنيًا خاصًا»، يستمد منه رموزه التي تحمل خصوصية فنه وسمات نوعه، وبما أن الفنان يعرض من خلال فنه وجهة نظره للأشياء، فكان لابد لرموزه أن تبقي على قدرٍ يسيرٍ من الخيوط التي تربطها بالرموز العامة، حتى يثير فنُّه استجابة لدى أفراد المجتمع، ويتمكن من إيصال وجهة نظره إليهم.

والسبب الذي يدعو الشعراء إلى الرمز، ليس الرغبة في الغموض، كقيمة بحد ذاته، اللهم إلا عند تلك الفئة من الشعراء المتمذهبين ادعاءً وسترًا لتقليدهم الأعمى وعجزهم عن التعبير بالطرق الشرعية، وإنما السبب الحقيقي هو الدافع الفني الخالص الذي يجعل تلك الصور الرمزية الشعرية، كأنها تلك الخيوط الدقيقة التي توقظ الشمس عند الفجر. **ويقول جورج صيدح في تقويم الرمز: «الشعر الحديث يعتمد الرموز في الأداء لا يباهي بها، وما أجمل الرمز أداة للتفاهم والإيحاء. إنه روح اللغة الناطق بما يعجز عنه لسانها، ولكن الرمز هو غير اللغز، فاللغز لا يفهم ولا يوحي، أما الرمز فإنه تفهم من إيماءاته أضعاف ما تفهم من كلمته»** [4].

حقًا! ما أجمل الرمز، وأجمل منه أن يصيب موضعه!

الهوامش

(١) هيجل: فلسفة الروح، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. دار التنوير للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ١٤١.

(٢) ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب، الرمزية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٣٣.

(٣) د. محمد مندور: الأدب ومذاهبه. دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤١.

مقدمات الفن القصصي

لأنه كـان وطنًا بـلا حدود؛ سعت الـدول الاستعمارية التي غشيتـه نحو تأسيـس هدف يبقى، حتى لو زالت تلك الـدول المستعمرة. ذلك الهدف هو التقسيم الداخلي لهذه الـدولة الإسلامية الكبرى تقسيماً ثقافيًا وسُكانيًا وديمـوجرافيًا. ومنذ أن وُضِعَتْ تونس تحت الحماية الفرنسيـة عـام ١٨٨١م، وهي مُبْعَدَة عن الـذاتية العـربية والفكر والثقافـة العربيتَيْن، بل قامت السلطـات الفرنسية بمحاولـة التصفيـة المادِّيَّة والمعرفية للمـواطنين التونسيين، ويعد أول صدام عنيف وقع بين القوّات الـوطنية التونسية والفـرنسية هو ما وقع في مـدينة بنزرت في كـانون الثـاني ينـاير ١٩٣٨م، حيث استشهـد الكثيرون من أبنـاء تونس وجُـرِحَ العشرات منهم. وتوالت تلـك الهجمات الاستعمارية الشرسة أيضـا ضد الاتجاهـات الـدينية والقـومية العربية في تـونس.

ولقـد ناضلت الحركـات الدينيـة والثقافيـة في تـونس بقـوة وصمـود ضـد كل تبعيـة اجتماعيـة أو سياسية، وجعلت من أهدافهـا أن يظفـر المجتمع ـ وفيه المبدعـون والأدباء ـ باستقلاليته، وحريته في التعبير عن مشكلاته وما يعانيه من اضطهاد وظلم، وأن يُصارع الخطوب والأوثـان ويتحدّى العقبات، لفـرض مشيئتـه النزيهة والمشروعـة على الأحـداث الظـالمة، ولكي تكـون «كفـة الـوطن والعـرب هي الراجحـة» [١]؛ إلى أن تَـمَّ في ١٦ تشرين الثـاني (نوفمبر) ١٩٥٤ م الاتفاق الـذي مُنِحت بمقتضاه تـونس الحكم الـذاتي، وصـدر الـدستـور الـدائم للجمهورية التونسية في حـزيران (يونيو) ١٩٥٩م. الـذي كـان إعلانـه ربطًـا لماضي تـونس المجيـد بحـاضرهـا، وإيحاءً بـالعمل على تجاوز فترة الاستعمـار الفرنسي.

ونص الدستـور على حـق المـواطنين في التعليـم [٢]. وجـاء في ختـام ميثـاق الحزب الاشتراكـي الدستـوري الـذي تولى حكـم البـلاد ما يلي:

«ويبقى الحزب الاشتراكي الـدستوري متعلقًا أشـد التعلُّق بثقافتـه العـربية الإسـلامية الأصيلـة منفتحًا على العالم الخارجي» [٣]. وبعد الاستقلال برز دور الاتحاد العام للطلبـة التونسيين، الذي اهتم بكفـالة وجـود حـوار بنَّـاء بين الجيل الذي هـو في السلطة والأجيال الجديدة.

تضام البُنَى الثقافية في تونس

كانت أقطار المغرب العربي تعيش تحت سيطرة مخططات الاستيعاب الثقافي التي مارستها السلطتان الإيطالية والفرنسية، بحسبانها استعماراً استيطانيًا، حاول في بعض الحالات اقتـلاع أهل البلاد اقتـلاعًا مـاديًـا بـالتهجير والإبـادة، وسعى دائمًا إلى طمس شخصيتهم الحضاريـة ليكونـوا توابع لثقـافته [٤]. الأمر الذي رفضه أبناء المغرب العربي الذين يشعرون بأن لهم استقلاليتهـم الخالصة فكرًا وثقافةً وعقيدةً، ممـا دفعهم إلى مواجهـة هذا الاستيعـاب ـ الثقـافي خـاصـة ـ لأنـــه مِعْـول الهدم الـذي استخدمـه الاستعمار لتقـويـض الحضـارة العـربيـــة والفكـر الإسلامي. فأنشأت الحركـة الوطنية المدارس التي تحافظ على التراث العربي واللغـة مـا أمكنهَا ذلك. ونهض المخلصـون بعـبء الـدعـوة إلى الإصلاح الاجتماعي، ورعت بعض المدارس تدريس العلوم العصرية في إطار إسلامي، وقامت روابط متينة بين جماعتي الإصلاح في تـونس و «العروة الـوثقى» التي أنشأهـا الأفغاني ومحمد عبـده في باريس، وبـذلك دخلت روافـد فكريـة جـديدة تـدعـو للإصـلاح الداخلي للمجتمع التونسي في الفكر والدين والأدب [٥] وهـذه الحركة الإصـلاحيـة كـانت بمثابـة درع حصين تقلَّده الشعب العربي الذي وقف في مواجهة مخططـات الاستيعــاب الثقــافي الاستعماري، والتغـريب وإنهاء الوجـود الثقافي العـربي؛ وأكب أبناء المغرب على مصادر الثقافة الإسلامية التقليدية يستمدون منهـا عونًـا على الصمود والمقاومــة [٦]. ومنح، هـذا النـوع من المقاومـــة مـلامح مشتركـة تميَّـزت بها الشخصيـة الثقـافيـة لأقطـار المغـرب العـربي، وزاد تعزيـز هذه الملامح أن المنطقـة تملك ميراثًا ثقـافيًا مشتركًا في العـادات والتقاليـد والفنون الشعبية والآداب [٧].

وقد ارتدَّ الأدب العربي، في دول المغرب العربي ـ لا سيما تونس ـ بصيرًا، خاصة «بعد نجاح برامج التعـريب وانتهاء «الفَـرْنَسَـة» في التعليم» [٨]، مما وسَّـع قـاعـدة التـداول والتلقي لهذه الإبـداعـات والآداب، وكان لا بُد للخصـائص المشتركـة ـ التي تربط دول المغـرب العربي ـ أن تُعبِّـر عن نفسها في إبـداع المبدعين. وجـاءت القصـة القصيرة لتحتل مكان الصـدارة فيه عَشيَّـة استقلال هـذه الأقطار؛ [٩] لأن هذا اللـون الإبداعي أقرب إلى حياة الناس، فهو ينقل مشكلاتهم بأسلوب سردي [١٠].

ولعل أبـرز وأهـم منطق فكـري أثَّـر في الأدب التـونسي الحديـث هـو تلك الآراء الإحيـائيـة التي شهدهــا النصف الثـاني من القـرن التـاسع عشر، وازدادت قـوة في الـربع الأول من القـرن العشرين، والتي قـامت كـرد فعل قـوي ضد الغـزو الفكـري والآلي للحضـارة الأوربيـة. وقـد استهـدفت تلك الآراء الإحيـائيـة بنـاء المجتمع التـونسي على أسس الفكـر العـربي والإسلامي وقيمـه التي شَعّت قـرونًا

ومراحله في تونس

علاء الدين رمضان

عديدة، وعاش عليها الفكر الإنساني أزمنة طويلة [١١] ومن ناحية ثانية فقد أثارت دعوة الظاهر الحداد إلى تحرير المرأة جدلاً عنيفًا [١٢].

وقد احتلت هذه القضايا مكان الصدارة في القصة التونسية، وخاصة قضية المرأة والأسرة، أو ما سمَّاه أحد الكُتَّاب، آنذاك، بمسألة «ارتباك البناء العائلي» [١٣]، وهذا ما أكّده توفيق بكار في كتابه «مختارات من الأدب التونسي المعاصر» حيث يقول:

وما كان يمكن للقصة التونسية الحديثة عند نشأتها في مطلع الثلاثينيات أن تغفل عن هذا الموضوع الحيوي، لا سيما والبيئة آنذاك تضج بأصداء المعركة المشهورة حول كتاب الظاهر حداد، ودعوته إلى وجوب تحرير المرأة من قيود التخلف الثقافي والاجتماعي، بل لا نبالغ إذا قلنا إن قضيتها قد استبدّت بأذهان القُصَّاص الرُّوَّاد حتى كاد إنتاجهم يقتصر عليها [١٤].

القصة الفنية

روّادها ومراحلها

كان المفهوم (الليبرالي) المناصر للحرية هو السائد في تونس مع مطلع الثلاثينيات، ولذلك كانت الدعوة تتجه إلى إقرار المؤسسات الدستورية القائمة على حق الانتخاب، وتطالب الصحف بالمزيد من حرية القول والكتابة، وتدعو الشعب إلى أن يُعَبِّر عن أهدافه بكل الوسائل الممكنة، وكان الأدب من أهم الأدوات التي عكست هذه الأهداف الشعبية، وعبَّر بطريقته الخاصة عن تطلعات المرحلة الحضارية التي كان يجتازها، فظهرت مجلة «العالم الأدبي» في بداية الثلاثينيات بأسلوب جديد في المحتوى والشكل، وضمَّت نخبة من الأدباء التونسيين الذين استطاعوا أن يطوّروا الأساليب القديمة وأن يخرجوا بها من مرحلة التقليد والزخرف اللفظي إلى مرحلة فيها كثير من الابتكار ومراعاة وسائل الفن الضرورية التي ينبغي أن يعتمدها الأديب في تأدية رسالته وإبلاغها إلى القارئين من أبناء الشعب، فظهرت القصة الفنية القصيرة وأبدع فيها محمد العريبي، ذلك الشاب النابغ الذي صوَّرَ صراع جيله مع نفسه ومع الحياة من حوله، ومحمد عبد الخالق البشروش، والتيجاني ابن سالم، وزين العابدين السنوسي، . . الذين آمنوا بالفكر الحر وطبّقوه في قصصهم؛ داعين إلى التحرّر من ربقة تقاليد الزواج والمهور . . . ، والنظر بعين العقل الـمُتَّزِن الـمُتَبَصِّر إلى المفهوم الحقيقي للحضارة [١٥].

وبرغم هذا الظهور المتأخر للقصة الفَنِّيَّة، إلا أن ثمة إرهاصات كثيرة سبقته تمتد إلى حوالي منتصف القرن الثامن عشر، بدءًا من محمد الورغي الذي كان يُبَلْوِر إبداعاته في شكل مقامات قصيرة يختلط فيها الشعر بالنثر [١٦]، ثم نَهَجَ محمد عابد الزهاني منهج الوَرْغي في كتابه الذي ضمَّ عددًا من المقامات القصيرة [١٧].

وظل فن القصة في تونس يمضي على هذا النحو؛ حتى استقامت له مقوّماته من حيث المنهج والقواعد ومن حيث الضوابط والقيود على أيدي كُتَّاب مجلة «العالم الأدبي» [١٨]. وقد برزت في تلك الأثناء محاولات عديدة تؤكد اهتمام هؤلاء الأدباء بالنسق الإبداعي الجديد، بل إن عبد الخالق البشروش يُصَرِّح بذلك مُعَلِّلاً ما أحيطت به القصة من رعاية واهتمام ورواج؛ فيقول: «القصة هي التي لا يتَّسع باب غيرها من أبواب الأدب ليرينا الحياة كما هي زاخرة داوية، ونحن إذا طلبناها للأدب العربي فإنَّما أردنا أن يكون هذا الأدب أوسع تعبيرًا عن الحياة وأشمل تصويرًا لحقائقها ومفاتنها» [١٩]. وقد اعتبر النقاد أن عليًّا الدوعاجي، ومحمدًا العريبي مؤسِّسَا هذا النوع الأدبي في تونس [٢٠]، وإن كنا نخالفهم الرأي؛ فنعتبر التيجاني بن سالم هو مؤسِّسه؛ فإن قصته «هل كان مجنونًا؟» يجبُ ألا تُهْمَل، فهي جديرة بأن تُعْتبر الأنموذج الأول المكتمل فنِّيًا. إنها تعكس موقفًا نفسيًا وصل إلى مستوى التأزّم، وتطوّر الكاتبُ ببطل القصة إلى ما يشبه الجنون، فهي تحكي قصة شاب تونسي (نسبة ذات دلالة قومية)، يستبد به الضيق من صياح ديك جارته «كاتورينه» الأرملة الإيطالية (نسبة ذات دلالة قومية معادلة) التي تبيع الحليب في (الزنقة) والتي قُتل زوجها في الحرب العالمية الأولى، ذلك لأن أعصاب ذلك الشاب لا تتحمَّل سماع هذا الصياح: «إن احتداد أعصابي يجعلني أنفُرُ من فهم ما لا أريد فهمه، وإلاّ فما معنى انزعاجي من صياح الديك، ومروري بالجنازة [جنازة جاره الإيطالي] مرَّ الكرام، أليس الموت أعظم صيحة في وجه الحياة؟» [٢١].

نحن نقف هنا أمام عقلية مركبة واعية قادرة على الإيحاء والرمز، إنه ربط بين صياح ديك كاتورينه جارته (الاستيطان مقرونًا بالحرِّيَّة) ونفوره منها بتلك العلاقة الغامضة التي تربط بينهما فهو ألمح ولم يُصَرِّح بأنه، وإن سمع صياح الديك، إلا أن ذلك كان رغمًا عنه، وهو حينما يلتقي وجدانيًا مع كاتورينه يكون مدفوعًا بشيء داخله يجبره على سماع صيحة القهر.

ويظل الكاتب تاركًا الحبل، للبطل، على غاربه، ليتيح له حرية التدرج النفسي، والارتقاء به من مرحلة وجدانية إلى أخرى دون أن يقتحم عالمه أو يكسر استقامة الحدث عنوة؛ فقط يظل تدخّله من الخارج؛ وذلك من خلال دفع البطل للحديث عن نفسه: «لم أنسه . . . كأن رجليه تغترف الخطئ اغترافًا . . . وما هي إلا دقيقة أو اثنتان حتى بلغ واجهة المقهى، ودار بجملته نحو

مقدمات الفن القصصي ومراحله في تونس

الجموع المتراصَّة، ولا أعلم كيف اجتازها [تلك الجموع] حتى بلغها [السيدة]» [٢٢].

أما محمد العريبي، وهو المنافس الأوْحَد ـ فيما أرى ـ للتيجاني بن سالم، فقد كان بالفعل أكثر فَنِّيَّة من ابن سالم، نلمس عنده خصائص متفردة في الشكل والمضمون، فقد كان مُثَقَّفًا نَهِمًا، يقول عنه السنوسي أنه كان «يتطوّر بسرعة غريبة إلى درجة أن أصبحتُ أُنْكِرُ عليه الغُلـو في اعتناق المبادئ التقدُّمية، وأصبحت أتساءل: أليس من الخير لو بقي على رجعيته؟، فالمسألة قد تجاوزت النظريات، وتجاوزت المبادئ، وتجاوزت العلم والإدراك إلى منطقة الإقدام على كل مغامرة» [٢٣]. لقد كان العريبي مغامرًا مُجَدِّدًا يصبو إلى الابتكار، وإلى أن يظل مغايرًا دومًا؛ لكن الزمن في مثل هذه المشكلات البحثية يكون هو الحَكَم أول والوحيد الذي يستطيع أن يُحَدِّد لنا بما لا يدع في نفوسنا مجالاً للشك: من هو المؤسِّس الحقيقي للقصة التونسية القصيرة؟

الأمر تحسمه الأعداد الأولى من مجلة «العالم الأدبي» التي عملت منذ البداية على تأسيس هذا الفن، ورفده بأسباب البقاء والرواج والذيوع، والتي نشرت قصة «هل كان مجنونًا؟» للتيجاني بن سالم في عددها الثاني الصادر في آذار (مارس) ١٩٣٢م، بينما مَهدت المجلة لنشر قصة «عزيزة» أولى أقاصيص العريبي ـ حسب تعبير المحرر ـ بقولها: «عرف قرّاء العالم الأدبي (ابن تومرت) ـ العريبي ـ كشاعر متمرد، وقد جاءنا اليوم؛ فإذا به الروائي الكاتب، ولم يكتف بذلك حتى قطع على نفسه عهدًا لَدَيْنَا بأنْ يُثابر في سبيل إمداد قراء العالم الأدبي بسلسلة من الأقاصيص» [٢٤]، وكانت هذه التقدمة عام ١٩٣٥م، أي بعد ثلاث سنوات من نشر ابن سالم، بل إن فَنِّيَّة العريبي ـ إلى جانب ذلك ـ لم تكتمل وتبلغ مجدها إلا عندما كتب قصته «الرماد» التي استوحاها من مُغْتَربِهِ في «البرازافيل» ونشرها


العروسي المطوي


محمودالمسعدي

في مجلة «المباحث» وقتئذ [٢٥]. وبهذا يظل لنا الحكم بأن التيجاني بن سالم هو المؤسِّس الأول للقصة الفَنِّيَّة في تونس، أما علي الدوعاجي فقيمته الفَنِّيَّة بالمقارنة مع ابن سالم والعريبي متواضعة؛ لذلك آثرنا الحديث عن العريبي وقصرناه عن الدوعاجي لما للأول من فَنِّيَّة لافتة ذائعة جديرة بأن تنازع، لفتت نظر الباحثين ـ في حوالي الأربعينيات ـ ودفعت بعضهم إلى الاعتقاد بأن محمد العريبي هو مؤسِّس فن القصة القصيرة في تونس.

تعتبر هذه المرحلة الأولى، التي بدأت مع بدء النهضة الأدبية الحديثة في بداية هذا القرن، واستمرت إلى قبيل الحرب العالمية الثانية بقليل، وقد حاول فيها الأدباء التونسيون أن يؤسِّسُوا تقاليد

> «بروز الآراء الإحيائية في القرن الماضي كان رد فعل ضد غزو الحضارة الأوربية»

مصطفى الفارسي



عزالدين المدني



قصصية متأثرين في ذلك بأسلوب فن المقامة العربية، بل لعلهم، على نحو ما، تأثروا بالقصص الغربي الذي أخذت بعض الأقلام تعربه وتقتبسه وقتئذ [٢٦]، وكانت موضوعاتهم القصصية مستمدّة من طبيعة مرحلة الإحياء الفكري والأدبي والديني الذي احتاج إليه المجتمع التونسي في تلك الفترة كرد فعل ضد الغزو الحضاري الخطير الذي داهمته به الحضارة الغربية [٢٧].

المرحلة الثانية

أما المرحلة الثانية من مراحل تطوّر القصة الفَنِّيَّة في تونس فهي تلك المرحلة التي انتظمت أجيال القصة، الذين ظهروا إبَّان الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقليل، ووصل امتدادها إلى البدايات الأولى لاستقلال تونس، ونبغ فيها فريق من أمهر القصاصين التونسيين الذين يَنْبَغي أن يُعتَبروا المؤَصِّلين الحقيقيين لهذا الفن، أو الذين كلفوا بمهمة جعل هذا الفن الناشيء ـ نسبيًا ـ يرقىٰ إلى مستوى العصر، فيما بلغه فن القصة والرواية من تقدّم وتجربة، وكثرة ما استفاده من العلوم الإنسانية الحديثة، وفي مقدمة هذا الجيل: علي الدوعاجي، ومحمد العريبي [٢٨]. وكان أهم ما يُميِّز إبداعات تلك المرحلة:

أولاً: الالتزام بالفصحى في لغة السرد والحوار، إيمانًا منهم بأن اللغة هي جوهر الذات القومية المستقلة.

ثانيًا: الوعي العميق لقضايا الوطن الاجتماعية والسياسية، وما يجب أن تعكسه القصة من قضايا، وما تعالجه من مشكلات، وما تطرحه من أفكار تتجاوب واحتياجات الشعب الأساسية، في حالة اشتباكه مع السلطة الاستعمارية وعملائها: فكريًا وثقافيًا [٢٩].

ولقد كان الطريق الذي أسهم في تمهيده أيضًا «محمود المسعدي، ومحمد المرزوقي ـ صاحب الجهود النبيلة الأمينة في استخراج كنوز التراث الشعبي بما

المرأة والأسرة احتلتا الصدارة في بدايات القصة التونسية، والقصة الشعبية من أهم مراحل تطورها

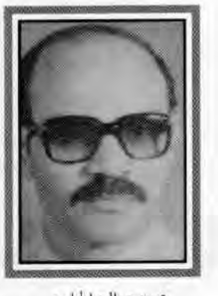
في ذلك الاهتمام بالجانب القصصي ــ قد بدأ في الستينيات يُفضي إلى قصة أكثر استجابة لشروط المعالجة الفنية، يكتبها الجيل الذي توافد على ساحة الكتابة بعد هؤلاء الرواد، من أمثال : محمد العروسي المطوي، والطاهر قيقة، والطاهر لبيب، ومصطفى الفارسي، وعز الدين المدني، وسمير العيادي، ومحمد صالح الجابري، ورضوان الكوني، ممن أنشؤوا ناديًا للقصة وأصدروا مجلة فصلية بعنوان «قصص» وقادوا حركة أدبية تميزت بالحيوية والتفاعل مع القضايا العامة» [٣٠]، راسمة للجيل أو المرحلة الثالثة ـ من مراحل وأجيال القصة الفنية في تونس ـ ملامحها، ذلك الجيل الذي كان ظاهرة حتمية، خاصة بعد الاستقلال.

المرحلة الثالثة

فتلك الفترة حتَّمت أن يكون للقصة التونسية مرحلة جديدة ثالثة تمر بها وتضاف إلى سابقتيها من المراحل، وذلك نتيجة لظهور مشكلات اجتماعية جديدة ونشأة تيارات ثقافية وأدبية جديدة، اهتزَّتْ معها نفسية الفرد التونسي، واشتبهت عليه بسببها



سمير العيادي



محمد صالح الجابري

نوازع الاختيار واليقين.

ولعل أبرز خصائص هذه المرحلة أنها تحرص كبير الحرص على تصوير حياة الشعب الاجتماعية بكل ما تزخر به من مشكلات كبرى وصُغرى كما فعل البشير خريّف ومحمد صالح الجابري، وتُصوِّر كذلك من جهة أخرى حياة الكفاح من أجل الوطن والشعب كما فعل محمد العروسي المطوي، وأيضا تصويرها لانقسام الفرد على نفسه داخل المجتمع التونسي الذي أخذ يَتَجَدَّد كما هو الحال في بعض أعمال مصطفى الفارسي، وعبد المجيد عطية [٣١]، إلى جانب الاهتمام بالقصة الشعبية وإبرازها. ولقد أدى الشاعر التونسي الراحل محمد المرزوقي دورًا مهمًا في هذا المضمار لا سيما في جمع القَصَص الشعبي وتدوينه، ثم كانت خطوة الطاهر قيقة [٣٢] أوسع من خُطى المرزوقي، إذ نقل كتاب والده الشيخ عبد الرحمن قيقة، والمُسَمَّى «أقاصيص بني هلال» من اللهجة التونسية إلى الفُصحىٰ، ثم ترجمها إلى الفرنسية.

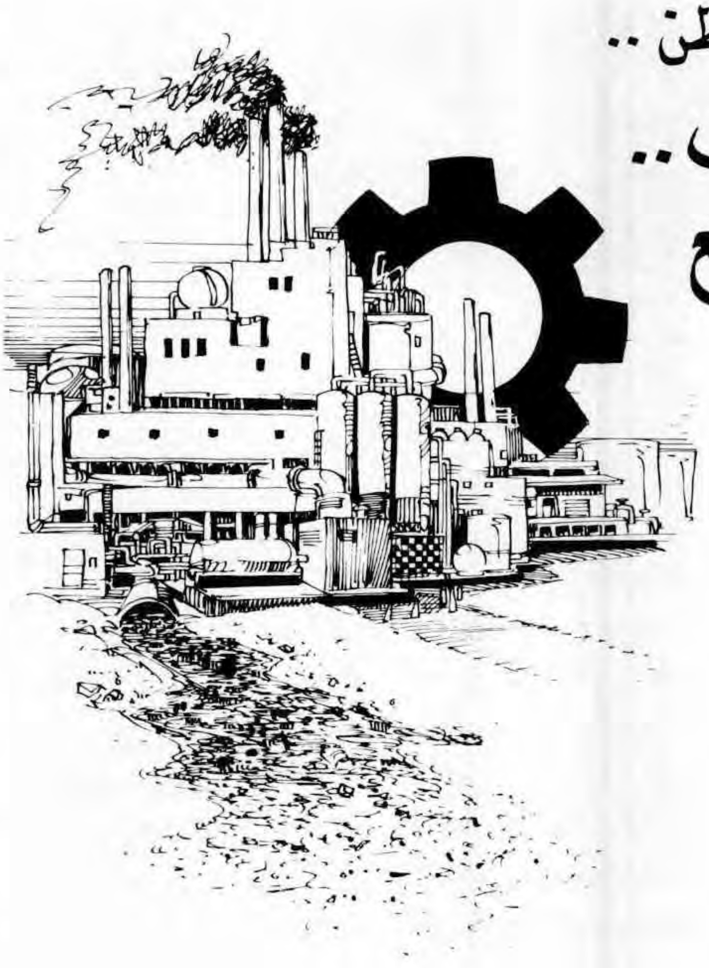
المرحلة الرابعة

أما المرحلة الرابعة؛ فهي الآنية، والتي تشهد فيها القصة التونسية الحديثة نهضة عظيمة متماسكة. ومن أهم الأسماء التي ساعدت على تشكيل خصائص هذه المرحلة : القاصة خديجة الجويني، والقاص إبراهيم بن سلطان [٣٣]، والقاص ميزوني بن محمد البناني.

وفي الختام ندعو إلى المزيد من تكثيف الصلات والروابط بين المغرب العربي والمشرق العربي، فكريًا وثقافيًا، فإن الأدب العربي في دول المغرب لا يزال في مكمنه، بالنسبة لأهل الشرق العربي، بعيدًا عن الضوء. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الهوامش والإحالات

(١) أبو زيان السعدي : في الأدب التونسي المعاصر، منشورات دار المعارف، تونس ١٩٨٩م، ص ٩
(٢، ٣) جهاد عودة : تجربة الاشتراكية الديمقراطية في تونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م، (ص ٢٤، ٣٦، ٨٢، ٨٣) على الترتيب.
(٤) أحمد إبراهيم الفقيه : الدخول إلى بهو المرايا، مجلة العربي، ملف الإبداع، العدد ٣٧٦، شعبان ١٤١٠ هـ، ص ١٠٩.
(٥) في الأدب التونسي المعاصر، ص ١٨٦.
(٦، ٧) الدخول إلى بهو المرايا؛ ص ١٠٩، ١١٠.
(٨) في الأدب التونسي المعاصر، ص ١١.
(٩) الدخول إلى بهو المرايا؛ ص ١١٠.
(١٠) الأسلوب السردي الذي يعالج مشكلات اجتماعية ـ أسريَّة غالبًا هو الأسلوب الشائع وقتئذ في المعالجات الفنيَّة بهذا الجنس الأدبي، وهذا الأسلوب قد ألفه العامة منذ القديم في المجتمع، خاصة في حكاياتهم الشعبية، بل والبرجوازية أيضًا، لا سيما لارتباطهم الوثيق بالسيرة الهلالية.
(١١) في الأدب التونسي المعاصر؛ ص ١٨٤.
(١٢) سنة ١٩٣٠م عند صدور كتابه «امرأتنا في الشريعة والمجتمع». والطاهر حداد شاعر تونسي، هو نفسه مُؤرِّخ الحركة النقابية التونسية، زمن الدكتور محمد علي الحامي، وقد عرف بآرائه المتطرفة في السياسة والاجتماع والدين.
(١٣) انظر : مصطفى التواتي : روّاد القصة التونسية بين التنظير والإبداع، مجلة المنهل، العدد ٤٩٣، المجلد ٥٣، رجب ١٤١٢ هـ، ص ٣٣.
(١٤) توفيق بكّار : مختارات من الأدب التونسي المعاصر، الدار التونسية للنشر، جـ ٤، ص ٨.
(١٥) انظر : في الأدب التونسي المعاصر، ص. ص ١٨٩ ـ ١٩٠.
(١٦) مقامات الورغي ورسائله؛ تحقيق عبد العزيز القيزاني، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٢م.
(١٧) محمد عابد الزهاني : تحقيق الأماني للزهاني، مقامات قصصية، ط تونس، د. ت.
(١٨) التواتي : ص ٣٥، السعدي : ص ٨٦، الفقيه : ص ١١١.
(١٩) محمد عبد الخالق البشروش : القصة في الأدب العربي الحديث، مجلة العالم الأدبي، حزيران (يونيو) ١٩٣٢م.
(٢٠) روّاد القصة التونسية، المنهل، ص ٣٣.
(٢١) مجلة العالم الأدبي، السنة الثالثة، العدد الثاني، مارس ١٩٣٢م.
(٢٢) مجلة العالم الأدبي؛ المرجع السابق.
(٢٣) زين العابدين السنوسي : مجلة الندوة، ع ٣، السنة الأولى، مارس ١٩٥٣م.
(٢٤) مجلة العالم الأدبي؛ السنة الرابعة، العدد السادس عشر، ١٩٣٥م.
(٢٥) مجلة المباحث، العدد العاشر، حزيران (يونية) ١٩٤٥م.
(٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩) في الأدب التونسي المعاصر؛ ص ١٥٨ ـ ١٦٠.
(٣٠) الدخول إلى بهو المرايا العربي؛ ص ١١١.
(٣١) في الأدب التونسي المعاصر؛ ص ١٦١، ١٦٢.
(٣٢) الطاهر قيقة، صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هي «نسور وضفادع» ١٩٨٤م، «الصخرة العالية» ١٩٨٨م، «تسع ليالٍ مع كاليبسو» ١٩٩١م.
(٣٣) إبراهيم بنسلطان؛ أديب تونسي شاب، يعايش عمال المناجم ويكتب عنهم بصدق وعمق شديدين، من مواليد الرديف ١٩٥٣م صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «زغاريد ودموع» ١٩٩١م.



مُحَارَبَةُ العَرَبِيَّة



د. محمد بن سعد
الشويعر

إن الشباب المسلم، توجه إليه سهام مشرعة، ويُسلَّط عليه غزو فكري، حتى يفقد الثقة في نفسه، وحتى تنتزع منه مقومات الشخصية، والاعتداد بأصالته، والثقة في تاريخ أمته وتراثها العلمي والحضاري.

وكجزء من التيارات الموجهة للشباب بصفة خاصة، باعتبارهم الميدان الخصب في التوجيه والاهتمام، سواء في الأمر النافع أو الضار، نجد أعداء أمة الإسلام، يحرصون على إضعاف مكانة اللغة العربية في قلوب أبنائها، وذلك بمحاولة نزعها من ديار الإسلام، وإضعاف مكانتها لدى أبناء المسلمين، وخاصة الشباب منهم، وذلك بتجسيم صعوبتها نطقًا، وإدراكها فهمًا. وما ذلك إلا لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهي لغة العبادة في دين الإسلام، وهي الرابط المتين بين المسلمين في أي مكان.

واستبدال لغة المستعمر بها بحجة الضرورة للتنظيم، وسهولة التفاهم والتخاطب، مع تغذية الاهتمام باللهجات المحلية، وتكبير حجم اللغة العامية، حتى تنمو في ديار العرب؛ كل ذلك يراد منه انفصام الشباب المسلم في كل مكان عن إدراك المعاني العميقة في دينهم، ومباعدتهم عن إدراك فهم تعاليم الإسلام: في العبادة والتعامل الاجتماعي، والقيم والمثاليات التي يحرص عليها الإسلام في مثل هذا القول الكريم: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. وبذا يسهل توجيههم إلى كل ما يريده الأعداء من ثقافات وعلوم، وربطهم فكريًا باللغة التي فرضت عليهم، وما فيها من ثقافات وسموم ضد الإسلام وتاريخه وصراعه مع غير المسلمين، وهذا العمل يتيح فرصة لجهود التنصير بالدخول في صفوف الشباب الخالية أذهانهم من السلاح المضاد.

لقد بلغ الأمر في صرف الشباب عن اللغة العربية إلى إيجاد جوائز للآداب الشعبية، والأدب العامي في كل منطقة، ومن ثم تشجيع الشباب إلى التنظيم والاهتمام ـ كجزء علمي ذي بال ـ بالدراسة والتأليف في اللهجات وخلفياتها، وتنمية المسابقات في الآداب الشعبية، وأخذ شهادات عليا في هذا المجال، وجائزة سعيد عقل من النماذج في هذا السبيل.

لقد ظهر مثل هذا العمل مصاحبًا لإثارة النعرات الإقليمية والقبلية في كثير من ديار الإسلام لبث الفرقة بينهم، فوجد من يتعصب للعامية، وينمي آدابها ولهجاتها، ويهتم بجذورها، ويدعو إلى التخاطب بها والكتابة بها، كما وجد من يدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية كتابيًا، حيث نجح عملهم هذا في تركيا وأندونيسيا وبعض الدول الأفريقية. والدعوة الآن على أشدها في الجمهوريات الإسلامية المنفصلة عما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي.

وقد حرصت كل أمة من الأمم على إنشاء معاهد لتسهّل بذلك دراسة لغاتها في ديار الإسلام، ويسرت على الشباب هذه الدراسة، وما تتطلبه من كتب وأجهزة وتبسيط في التعليم، سواء في بلد الشاب أو في بلد الدولة الأم لهذه اللغة، ومن ثم تحبيبهم في هذه اللغة التي ارتبطوا بها: محادثة وكتابة وسماعًا وامتداد صلة، وذلك بتوفير كل الأسباب الرابطة للشباب بهذه اللغة: إهداء، أو تسهيلاً لمهمة السفر، أو بالمغريات الأخرى، وهذا كله من أجل إضعاف صلة الشاب باللغة العربية، لغة الدين والثقافة، ولغة القرآن الكريم، ليتجزأ العالم الإسلامي بضعف الرابط المتين الذي يشد أبناءه للوحدة والتماسك والإحساس بما يؤرق الآخرين. ثم يسلكون طرقًا أخرى في تجسيم صعوبة قواعد العربية وفروعها وألفاظها، وأن عدم القدرة على استيعابها يحتم ترك ذلك لأهل الاختصاص، مستشهدين على ذلك بحالات شاذة في هذا الصدد كقرينة على ما أرادوه. أما الهدف الأساسي فهو الاهتمام بلغاتهم هم، حتى يرتبط الشباب المسلم بثقافاتهم وأفكارهم، ومن ثم، ينسى ما له صلة بدينه، وجذور تاريخ أمته ومجدها.

وأعداء الإسلام يرمزون في هذا إلى هدفين مهمين:

ـ تفريغ العقول من الأمور المهمة التي تربط الشباب بالدين الإسلامي.

ـ سهولة جذب شباب المسلمين إلى معتقداتهم وأفكارهم.

والثاني لا يتحقق إلا بالأول، وأسلوبهم في هذا الغزو لا يطمعون من ورائه تحويل الجيل الأول من المسلمين إلى معتقداتهم، لأن هذا مستحيل حسبما أدركوه عمليًا، وهو مصداق لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي والنسائي، وجاء فيه أن المسلم لا يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، حتى يعود اللبن في الضرع.

ومن هنا ندرك مقالة أحد المنصّرين: إنه لا يشرفنا أن يدخل المسلم في المسيحية، بعد أن ترك دينه الإسلامي؛ لأن من ترك دينه لا خير فيه. ولكن أهم ما يجب عمله هو تشكيك المسلم في دينه، حتى يكون خاليًا من الدين، ثم يسهل علينا جذب الجيل الثاني بعد ذلك لدينا.

ابن الثائر الأفريقي

تفتحت عيناه على الحياة في بيت تتفجر داخله براكين الكفاح والغضب، ولا يخلو يوم دون استدعاء رب البيت إلى المخفر، أو اقتياده إلى السجن بواسطة جنود الاحتلال البلجيكي الذين كانوا يحتلون وطنه الكونغو (زائير حاليًا).

والده هو الثائر والمناضل الأفريقي **باتريس أمرجي لومومبا**، موظف البريد السابق، ومؤسس حزب الحركة الوطني الكونغولي، الذي كان واحدًا من رموز كفاح القارة السمراء في الخمسينيات الميلادية.

وحين استقلت الكونغو عام ١٩٦٠م ظنت الأسرة الصغيرة أن مرحلة الاستقرار العائلي قد بدأت، فرب الأسرة المناضل قد كرمه مواطنوه واختاروه رئيسًا لمجلس وزرائهم ليقود بلاده في مرحلتها الجديدة، مرحلة الحرية والسيادة الوطنية.

لكنه كان حلمًا واهمًا، فالاستعمار البلجيكي وإن رحل كليًا عن البلاد، فقد ترك وراءه عددًا لا بأس به من أذنابه، وأوكل إليهم مهمة ضرب استقرار البلاد وزعزعة حكم لومومبا الذي كان لكفاحه أكبر الأثر في اضطرار المستعمر إلى التخلي مجبرًا عن تلك البلاد الغنية بالثروات الطبيعية والمعدنية والزراعية، فهي ثالث أكبر بلد أفريقي من حيث المساحة بعد السودان والجزائر.

كان **عامر لومومبا** ما يزال يحبو عندما كان والده يخوض حربًا ضارية ضد الفساد وأذناب المستعمر الذين لم يرقهم إصلاحاته الداخلية، فقاد تشومبي حاكم إقليم كاتانجا الغني بالثروات المعدنية حركة انفصال أراد بها الإطاحة بالحكم الوطني بقيادة **لومومبا**، الذي ما لبث أن عُزل بقرار من رئيس الجمهورية **كازافوبا** ثم اعتقل في الثاني من ديسمبر ١٩٦٠م.

المأساة وبداية رحلة

لم يكن الصغير عامر يدرك حين اعتقل والده أنها آخر مرة يراه فيها، وأن مرحلة جديدة سوف تبدأ في حياته، مرحلة تشهد تجاوزه ظلمات الضياع إلى نور الهدى الساطع. وكان اغتيال والده في السابع عشر من شهر يناير ١٩٦١م بالقرب من مدينة **إليزابيث فيل** في كاتانجا إيذانًا ببدء رحلة طويلة.

أقلق اغتيال لومومبا الدول الأفريقية المستقلة، وما لبثت مصر التي كانت تقود حركة كفاح الشعوب الأفريقية ضد الاستعمار أن احتضنت أسرة المناضل الراحل خشية أن تُقتل، **وفي مصر وبين أحضان أسرة مصرية مسلمة تربى عامر لومومبا، وحصل على الشهادة الابتدائية، ثم انتقلت الأسرة إلى بلد أفريقي مسلم في أوائل السبعينيات الميلادية، هي غينيا التي كان يقودها الثائر المسلم أحمد سيكوتوري ـ يرحمه الله ـ لتعيش بها لفترة، ثم غادرتها للإقامة في أوروبا، حيث تلقى عامر تعليمه العالي في الاتحاد السوفييتي، ثم فرنسا التي حصل من إحدى جامعاتها على درجة الدكتوراه في القانون الدولي.**

نمو الفطرة الصحيحة

لقد كانت الفترة التي عاشها د. عامر في مصر فترة نمو الفطرة الصحيحة في داخله من خلال اختلاطه بالمجتمع المصري المسلم المتدين في البيت والمدرسة والأسواق، فبالرغم من أن المسلمين يشكلون نحو خمس التعداد السكاني لبلاده (يقطن زائير حسب تعداد ١٩٩٠م ٣٥ مليونًا، منهم سبعة ملايين مسلم) إلا أن مغادرته لوطنه في سن صغيرة لم تسمح له باحتكاك مباشر معهم، لهذا كان تأثره كبيرًا بالمجتمع المصري المسلم.

رأى د. **عامر** في طفولته وصباه كيف يتسابق المسلمون إلى المساجد حين يرتفع صوت الأذان، وقارن بين ما لاقاه من حب أهل مصر المسلمين، وماعاناه وأسرته من طغيان المحتلين وأذنابهم رغم اتحاد الملة بينه وبينهم.

كانت الظروف كلها متاحة **لعامر لومومبا** ليعرف ما يشاء عن الإسلام من أفواه المسلمين

أنفسهم، وجذبه للإسلام أن رأى المسلمين جميعًا متفقين على رب واحد لا يشركون به شيئا، وأعجبه ما يدعو إليه دينهم من سماحة، وعدم تفرقته بين جنس أو لون، فالكل عباد الله. وقارن بين هذا وما كان مطبقًا في القارة السوداء ـ كما أسماها المحتلون ـ من تفرقة وعنصرية بغيضة وصلتا إلى حد منع السود من دخول الكنائس التي يصلي فيها البيض رغم اتحاد العنصرين في الملة، ورغم ادعاءات المحتل بأنه قادم ليوفر لأهالي تلك البلاد حياة أفضل.

النصرانية ومآسي أفريقيا

لقد ارتبطت النصرانية في ذهن د. عامر لومومبا بالمآسي التي عاشتها بلدان أفريقيا، ولم يصعب عليه إدراك أن ما يقوله ويدعيه المنصرون شيء، وما يراد من وراء التنصير شيء آخر، لم يصعب عليه أن يكتشف أن المنصرين لا يهدفون إلى خير شعوب أفريقيا، وإنما يهدفون لتحقيق مصالح الجهات التي أوفدتهم وأغدقت عليهم المال الذي اشتروا به ذمم زعماء القبائل الوثنية في الكونغو فأمروا اتباعهم بالالتحاق بالنصرانية دون اقتناع.

كان إدراك هذه الحقائق إرهاصة بتقبل روح د. عامر العقيدة الإسلامية التي رأى فيها ما لم يلمسه في ديانة أخرى، ففيها يجتمع نقاء العقيدة مع العدل، مع التسامح، إلى غير ذلك من الصفات الخيّرة التي تؤكد أن دينًا يتمتع بمثل هذه الخصائص الفاضلة لا يمكن أن يأتي به بشر؛ فالقرآن الكريم يحث في آياته المباركة على أسمى الفضائل الإنسانية، وفي الوقت ذاته لا يغفل عن تنظيم حياة المسلم، فهو ليس كالنصرانية ..حرفة يهتم بالروحانيات ويغفل الحاجات المادية للإنسان، كما أنه يخالف اليهودية المحرفة في اهتمامها بالمادة على حساب الروحانيات، بل يحقق في اتساق عجيب انسجامًا بين مطالب الإنسان المادية وحاجاته الروحية محققًا معجزة كانت تعد من قبل أوهام فلاسفة حالمين.

❞ بين عنصرية المنصّرين وسماحة المسلمين لم تدم حيرته طويلًا ❝

إسلامه

لم يدم الصراع طويلًا داخل نفس د. **عامر لومومبا**، فالفطرة بداخله تناديه لاعتناق خير الأديان، والعقل الذي وهبه الله إياه يقول له: إن الدين عند الله الإسلام. **وما كاد عام ١٩٧٧ م يحل حتى أشهر د. عامر إسلامه مكرسًا همه لخدمة قضايا بلاده الإسلامية والوطنية، خاصة أن المسلمين في زائير يعدون من أكثر عناصر السكان فقرًا**.

ود. **عامر الآن عضو نشط في الجمعية الإسلامية الزائيرية**، وهي التنظيم الإسلامي الوحيد المعترف به هناك، **وقد بدأت الجمعية العمل عام ١٩٨٨ م، وهو أيضا زعيم الحركة الكونغولية الوطنية**، التي تسعى إلى القضاء على الفساد هناك وإعادة اسم البلاد الأصلي (الكونغو).

نشاطات لخدمة المسلمين

ويسعى د. **عامر** لومومبا من خلال **الجمعية الإسلامية الزائيرية** إلى إعلاء صوت الإسلام والمسلمين في بلاده، وتعريف المسلمين بدينهم وحضارتهم، وتصحيح المعلومات الإسلامية لديهم، لسد الطريق أمام بعثات التنصير التي ما تزال بلجيكا تمولها، والحيلولة دون تغلغل النشاط القادياني بين أوساط بسطاء المسلمين، لما لهذه النحلة الضالة من أساليب ملتوية تهدف إلى اختراق المجتمع الزائيري المسلم تحت دعوى أنها جماعة إسلامية.

ومن أهداف الجمعية أيضا تحقيق توازن بين عدد الكنائس والمساجد، ففيما توجد في زائير أكثر من خمسمائة كنيسة إلى جانب الإرساليات التنصيرية، لا توجد بها سوى سبعة مساجد فقط.

كذلك تركز الجمعية على جمع شمل المسلمين وحفظ حقوقهم ليكون لهم دور سياسي فاعل في قيادة مسيرة البلاد، وتوعيتهم بدينهم من خلال الندوات والمحاضرات. ولتحقيق قاعدة شعبية قامت الجمعية بتأسيس اتحادين: أولهما للشباب المسلم والثاني للشابات المسلمات.

لومومبا: الأب والابن

وإذا كان باتريس لومومبا قد قاد بلاده نحو التحرر من الاستعمار البلجيكي، فإن ابنه د. عامر لومومبا يقوم بدور أكثر أهمية سيذكره له التاريخ، ألا وهو العمل على نشر دين الله وإعلاء كلمته في بلد ظلت ـ لسنوات طويلة ـ خاضعة لإرساليات النصارى.

إن الإسلام في زائير يتقدم كل يوم ويكتسب موقعًا جديدًا بفضل الله ثم بفضل المخلصين من أمثال د. عامر لومومبا، والمطلوب من المسلمين ـ حكومات ومنظمات وأفرادًا ـ دعم هذا الجهد النبيل الذي يواجه حربًا شرسة من قبل إرساليات التنصير وجماعة القاديانيين.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

الشك في الوضوء وصبغ السواد

● مَنْ شكَّ أن ريحًا خـرجت منه هـل يُعيـد الوضوء؟

وهل صبغ الشعر بالسواد لا لشيئ جائز؟

ع ـ م . السلطان ـ بريدة

■ يبني على اليقين، فإن لم يكـن هنـاك يقين فالأصل عدم الشك والوضوء صحيح، ويبني على هذا، ويتجنب الوهم؛ لأنـه مع الطول قد ينقلب إلى وسـواس. أما صبغ الشعـر بـالسواد فـلا يصح فعله، سواء لسبب أو لغير سبب فيما أعلم.

رد المال المسروق

● إذا سرق شـاب مقـدارًا معينًـا من المال وأراد ردّه، فكيف يفعل؟

سائل من الرياض

■ يبـدو أن الموجب هـو الحيـاء أو الخوف من صاحب المال، لكن إذا تـاب السارق من السرقة، وندم على ما فعل، وعقـد العزم على عدم العودة، فرد المال بعينه كان خيرًا.

والكيفية أن يدفعها إليه على أنها كانت قرضًا أو يبعث بها إليه بـالبريد على أنه وجدهـا وأنها له، أو يدخلها في حسابـه، والخير في هذا عدم الخوف أو الحيـاء، فيتقدم فيردهـا هكـذا، أو يـردها بما يـراه صالحًا لمثل هذه المواقف.

أهم كتب الرجال

● مـا أهم كتب الـرجال لمن أراد تحقيق سنـدٍ ما؟

س . م . ل ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة

■ لعل من أهمها: «الكمال في أسماء الرجال»، و«تهذيب الكمال في أسماء الـرجـال»، و«الجرح والتعديل»، و«تـاريخ البخاري الكبير والصغير»، و«تهذيب التهـذيب»، و«تـذهيب التهـذيب»، و«خلاصة الخزرجي»، و«التقريب».

لكن لابـد عنـد البحث عن راوٍ من الـرواة أن تبحث عنه في كتب التراجم كـافة حتى يتسنى لك الحكم بعـدل وفهم، ولعل السـؤال يـرد هنـا إذا لم يتيسر لك الخروج بحكم منضبط نظـرًا لاختـلاف الآراء حول «جرحه أوتعديله».

دور النصارى في بناء المساجد القبورية

● هل صحيح أن النصـارىٰ لهم دور في بنـاء المساجد التي تضم قبورًا؟

م . ل . زيجابو لولو ـ نيجيريا

■ المسلم من حيث الأصل لـن يستطيع أحـد إخراجـه عن دينه، قـد ينحرف ويسفـه ويتساهل لكنه لا يتنصر أو يتهود، ومـا نسمعه عن عمليات التنصير في أفريقيا وبعض دول شرقي آسيا ونحوها أمر مبالغ فيه، وحصوله يكون بين الطبقات الفقيرة المتسـاهلـة في أمـر التربيـة، أو لـديها جهل أصلي صحيح، وهذه مصيبة لا يعـذر المسلمون بتركها، وقد بلغهم هذا.

أمـا جـواب السـؤال فإن **زويمر** أحـد كبـار المنصرين في هذا القـرن ـ مـات قريبا ـ قال: «**لن نستطيع إخـــراج مسلم عن دينــه، لكـن دورنـا كنصارى هو أن نحاول تشكيكه في دينه. . .» إلخ**

ومسألة المساجد التي فيها قبور؛ نعم قرأتُ أن أثرياء النصارى يقومون بتمويل هذه المساجد تحت أسماء إسلامية، أو يدفعـونها كتبرعات للمسؤولين عن المساجد كمسابقة للواجهة الدينية والإخاء بين الأديان، وكـذلك المساجـد التي فيها «قبـور» أشد صيانة وأحسن عمارة وأبرز مكـانًا من غيرها، وهذا يكفي لكي ينحرف المسلم شيئًا فشيئًا حتى يترسب لديه اعتقـاد عميق بأن صاحب القبر ينفع ويضرُّ، أو على الأقل تناله منه البركة؛ لأنه ولي أو صالح، ولهذا تجدهم يقولون: «مدد يا فلان»، ويبذلون من التوسـل والبكاء عند القبر الشئ العجيب، بـل قد يسافرون إليه، وهذا مطلب عظيم للنصارى، وقد حصل.

الصلاة بوضوء واحد مع خلع الجوارب

● ما حكم الصلاة ثلاثـة أوقات بوضوء واحد مع خلع الجوارب؟

سلمان بن عبد الرحمن السلمي ـ الدمام

■ إذا كان لم يُحدث طيلة هذه الأوقات الثلاثة وكـان قـد لبـس الجوارب على طهـارة أو وضـوء أو غسل، وهي ساترة للمفـروض، وطاهرة، وحلال أي ليست من حـرام كـالـربـا ونحـوه، فـلا بأس بفسخها ثم لبسها قبل أن يُحدث، والله أعلم.

آثم من يترك صلاة الفجر

● من تَـرَكَ صلاة الفجـر كثيرًا بسبب السهـر المباح فهل هذه كبيرة؟

ع . س . أ . الحمد ـ الكويت

■ صلاة الجماعـة واجبة، وهـذا مذهب أهل الحديث وجمهور الفقهاء في الجملة، ولم أر مَنْ قال بأنها سنة، إلا أن مَنْ قال بسنيتها أراد سنة الوجوب اللازمة.

وبالنسبة للجواب فتـارك صلاة الفجر بسبب السهـر، وتكـرر هـذا ارتكب إثمًا كبيرًا، حتى وإن كان السهر مباحًـا، فهذا معارض بالأصل الأول؛ لأن السهر المبـاح يسقط بوجود أمـر عظيم كصلاة الفجر مع الجماعة.

ردود قصيرة

● الأخ عبد الله بن فهد س . ـ الرياض:
يمكنك الزيارة لعرض السؤال الخاص.

● الأخ م . ل ـ وزارة الصحة ـ قطر:
يصلك جواب مطول.



رستم كيلاني

قصتي مع القصة

بقلم: رستم كيلاني

هناك أربعة عوامل أساسية عملت في تكويني كاتبًا قصصيًا :

الأول : والدي، والثاني : خالي الشاعر قاسم مظهر، والثالث : رائد القصة العربية محمود تيمور، والرابع : مطالعاتي.

فوالدي ــ رحمه الله ــ كان لتوجيهه الأثر الحميد، فهو الذي علمني أول حرف، وهو الذي وجهني إلى السبيل القويم في اختيار الكتب النافعة وأولها كتاب الله (المصحف الشريف)، كما كان له الفضل في ترسيخ مجموعات من القيم التي أعتز بها في قلبي وعقلي، والتي ساعدتني في بناء شخصيتي، كما أنه جعلني أشغف بمجالسة الناضجين من الناس والإصغاء إليهم والاستفادة من تمرسهم بالحياة.

أما خالي الشاعر قاسم مظهر ــ يرحمه الله ــ فهو الذي أعانني في مطالعاتي على الآداب العربية والأجنبية، فقرأت الكثير من مؤلفات أعلام الأدب العربي والأجنبي. ومن خلال مطالعاتي قرأت الكثير من أعمال الأستاذ الكبير **محمودتيمور** الأدبية والمجلدة في مكتبة خالي، الذي حدثني كثيرا عن صديقه **محمود تيمور** ووصفه بأنه وديع، عف اللسان، صاحب بسمة حانية تدفئ القلوب، وله روح وديعة فياضة بالحنان والرفق، ومثال الفنان الصادق الذي يخدم فنه بصدق، وإخلاص، ومثال الإنسان النادر الذي يعز عليه أن يجرح حتى الذين يجرحونه.

وراقني من **محمود تيمور** أنه يصور الحياة بأشكالها في ألواح فنية صادقة مع امتلاك لناصية الصياغة القصصية.

ومن حبي لفنه الصادق كنت ألتهم كل ما كان ينشره على صفحات المجلات والكتب، وأهضمه وأحفظه عن ظهر قلب، حتى أصبحت بمرور الأيام أدمن أدب **محمود تيمور** وأقتفي أثره في فنية القصة وكيف تصاغ.

ومن حديث خالي، ومن حبي وشغفي لقراءة أعمال أستاذنا الذي أثرى أدبنا القصصي بما لم يفعله أديب آخر، رجوته التعرف عليه فوعدني بذلك.

اللقاء الأول

وجاء اليوم الذي تحقق فيه رجائي. ففي إحدى ندوات «**نادي القصة**» الذي أسهم في إنشائه والذي ترعرعت بين أحضانه نبتا أخضر حتى استويت على عودي، وأشرقت من نافذته على الحياة، تم اللقاء الأول بيني وبين الأستاذ الكبير **محمود تيمور**. وقفت قبالته مشدوهًا أنظر إليه مليا، وإذا سألني سائل وقتئذ عما اعتراني، لقلت له على الأثر : «لقد صدق **محمودتيمور** حين قال إن حياة الكاتب لا تنفصل أبدًا عن إنتاجه، فالكاتب هو إنتاجه».

فكانت بالفعل شخصية **محمود تيمور** تنعكس على كل ما كتب من أمثلة إنسانية ترمي إلى أهداف رفيعة.

وبدأ أستاذنا **محمود تيمور** يقرأ محاولاتي القصصية، كما بدأ يوجهني واضعًا لي منهجًا دراسيًا منظمًا للدراسة والاطلاع على الأدب وفنونه، وميسرًا لي أمهات القصص العالمي التي كان يهديها إليّ من حين إلى آخر، وكان يتابع خطواتي ويدفعني على الدوام إلى القراءة والكتابة قائلا لي : «لا تكثر من الكتابة إكثارك من القراءة، بل ولا تقسم وقتك بينهما بالسويّة».

إلى أن جاء اليوم الذي أخذ فيه بعض قصصي وقام ــ يرحمه الله ــ بتقديمها إلى المجلات والصحف، مزكيا ومؤيدا عملي القصصي بمقولته المشهورة : «**رستم كيلاني** كاتب يملي على قلمه ما في قلبه الخفاق، قصصه تمتاز بعاطفتها الإنسانية الأخّاذة».

وما إن أقبل عام ١٩٦٥م حتى رأيت أنه تجمعت عندي مادة من القصص يصح إظهارها في كتاب، دفعته إلى أستاذي **محمود تيمور** لكتابة المقدمة. وفوجئت بأنه أعاده إليّ دون كتابة المقدمة التي كانت بالنسبة لي الأمل الكبير.

"تعلمت من محمود تيمور أن الأدب رسالة اجتماعية"

قصتي مع القصة

وابتسم ـ يرحمه الله ـ قائلاً :

ـ أظن أنك غاضب .

فقلت على الفور :

ـ بلا شك يا سيدي .

فقال لي بصوته الهادئ :

ـ لا داعي لكتابة المقدمة حتى لا يباع كتابك الأول باسم محمود تيمور كمقدم للكتاب ، ولكني أحب أن يباع الكتاب باسمك أنت ، فلقد وجدت في أقاصيصك أنها ستجد بمشيئة الله سبيلها الميسور إلى القراء ، كما أنني لا أحب أن أقف موقف الفضول بينك وبين قارئ كتابك .

محمود تيمور يكتب مقدمة كتابي

وطبع كتابي الأول «دموع الذكرى» ، وأتبعته كتابيَ الثاني «هكذا التقينا» ، ثم كتابي الثالث « الجدران الباكية» ، وفي كل مرة أقدم الكتاب إليه يعيده إليّ بلا مقدمة ، ولكني فوجئت عندما دفعت إليه كتابي الرابع «رفيق العمر» بإعادته إليّ مشفوعا بهذه المقدمة المؤرخة في مايو سنة ١٩٦٨م :

صديقي الأستاذ رستم كيلاني .

حيّاك الله ، وأكثر من أمثالك في أدباء الشباب .

أمتعتني بالاطلاع على مجموعتك القصصية «رفيق العمر» فجلست إليها ، وأنا أواعد نفسي أن أجد فيها نفحات مما قرأت لك في مجموعاتك السوالف . فلم يذهب الوعد هباء ، بل لعلك في هذه الأقاصيص الجدد تزداد نضج موهبة ، وقوة حنكة ، وصقل ذوق . فهي خطوة منك في فنك القصصي إلى أمام .

وما أحب أن أنحلك فوق ما فيك ، ولا أن أحابيك في تقدير ما تكشف عنه أقاصيصك ، فأنت بما طبعت عليه من اعتدال ، وما أوتيت من حصافة ، جدير ألاّ يغرّك ثناء مصنوع ، وألاّ تستهويك مجاملة في غير كنه .

إني أراك ـ وأنت من عصرك الذي تعيش فيه ، في دوّامة من الآراء والاتجاهات ، حول فنية القصة ، وكيف تساس ـ لم تضطرب خطاك ، ولم تدع لقلمك أن ينساق مع التيار ، فمضيت حيث آمنت بما يجب أن تُبنىٰ عليه القصة من قواعد ، وهكذا كنت أقرب إلى «الاتباعية» المعتمدة على جذور عميقة من النقد الأدبي الركين ، وإن كنت في اتباعيتك شابا توافر له ما يتوافر للشباب من حيوية وانبعاث ، في غير ما تمرد ولا شطوح .

وأنت ، في منهجك القصصي ، واضح الملامح والسمات ، وافي الحظ من هدوء واتزان ، فلا غموض أو خفاء ، ولا لبس أو التواء ، لكأنّك الجدول الرقراق الصافي ، داني المنال ، لا يخشى فيه عصف الرياح ، ولا ثورة الأمواج .

وفي ألواحك الفنية صور كريمة من النزوع الإنساني العطوف ، فإنك لتقدم لنا نماذج من الأحداث والشخصيات ، أو بالأحرى شرائح من الحياة ، فإذا نحن حين نستجليها ، نستشعر الرثاء للضعف البشري ، والإشفاق على من تنال منهم يد القدر ، وإذا نحن نكفكف من غلوائنا في القسوة على الناس ، حين نحكم عليهم بما تنزلق إليه أقدامهم من أنواع السلوك .

وإذا أذنت لي أن أضمن لقارئك شيئًا ، هو بالغه في قصصك ، مهما يكن ذوقه وميله ، فذلك هو أنه حين يتنقل معك ، من قصة إلى قصة ، يساير أحداثها ، ويصاحب أشخاصها ، سيجد نفسه ، كأنما هو يتنقل في أكناف المجتمع الذي يعيش فيه ، يشاهد بعض ما يجري فيه من الأحداث ، ويلاقي ألوانًا ممن فيه من الناس .

وإني مهنئك . . لا بمجموعتك هذه وحدها ، ولكن بأنك ، وقد استويت على هذا الشأو من التأليف القصصي ، لن ترضى لنفسك الوقوف عند غاية ، فإلى غايات متتالية ، من الإبداع والتجويد والتجديد .

ولك أزكى السلام .

محمود تيمور

الأدب رسالة اجتماعية

ولا أستطيع أن أختتم هذه العجالة قبل أن أتحدث عن أهم الدروس التي تعلمتها من أستاذنا **محمود تيمور** ، التي أثّرت ، وما زالت تؤثر في مجرى حياتي بعد أن آمنت معه بأن الأدب رسالة اجتماعية .



إضاءة

☐ ولد رستم راغب كيلاني في ١٧ من نوفمبر ١٩٤٢م بالقاهرة في حي عابدين

☐ بدأ كتابة القصة عام ١٩٥٨م أي في السادسة عشرة من عمره ، فلقد حباه الله تعالى بعوامل وراثية وبيئية في شخصيته الأدبية أعانته على هذا الإبداع القصصي المبكر ، فوالده يهوى الرسم ، والنحت ، والشعر ، وعمه أديب ويهوى كتابة الخط العربي وله محاولات قصصية ، وخاله شاعر من الشعراء المعاصرين .

☐ تعلم في المعاهد العلمية المصرية ، ثم أقبل على الآداب العربية ، والغربية ، فقرأ الكثير من مؤلفات أعلام الأدب العربي والأجنبي مستعينًا في مطالعاته بهدى خاله الشاعر الأستاذ قاسم مظهر ، كما تأثر إلى حد كبير بأستاذه فقيد القصة العربية محمود تيمور .

☐ يعتبر رستم كيلاني أحد خريجي مدرسة محمود تيمور القصصية (الاتباعية) الأصيلة التي تؤمن بأن الأدب لابد أن يكون هادفًا .

☐ نَشَرَت معظم إنتاجه الأدبي الصحف والمجلات المصرية ، والعربية ، كما قدمت له الإذاعة المسموعة والمرئية بعض أعماله القصصية .

☐ عضو اتحاد الكتاب ، وعضو نادي القصة ، وعضو جمعية الأدباء .

☐ **أحدث مؤلفاته :**

ـ زوايا الحياة (قصص قصيرة) ، دار المعارف .

ـ حكايات من حولنا (قصص قصيرة) ، هيئة الكتاب .

إن الأديب يجب أن يؤمن بأن الدرب طويل، ولكن السائر عليه يغتبط بكل مرحلة يقطعها فيه.

ويجب ألاّ يغرّه قول مجامل، فالاغترار كاليأس كلاهما جمود وركود، وأن يكون له من نفسه مرآة مصقولة يرى فيها معايبه قبل أن يرى محاسنه، كما يجب أن يكون متطلعا إلى الذروة وأن يحذر الاعتقاد بأنه بلغها يوما ما، فهي خيال يجذب الأنظار، وإن لم يكن له وجود.

ويجب أن يحاسب نفسه عن الكلمة، والجملة، والسطر؛ لأن الكتابة شعور بالمسؤولية، ودراسة، وأصول، وعلم إلى جانب الموهبة الشخصية.

وبعد، فذلك هو الرائد **محمود تيمور**. لقد عاهدت نفسي أن أسير على خطاه في إحياء الأدب الإنساني الثابت الذي نادى به في مدرسته الفنية (الاتباعية) الأصيلة، التي تؤمن **بأن الأدب لا بد أن يكون هادفًا، وأن المجتمع الأخلاقي الذي يسير في طريق البناء إذا أراد الأديب أن يعبر عنه فنيًا فلا وسيلة له سوى (الواقعية الواضحة، الفاضلة، البناءة)**.

مرددًا دعاءه اليومي الذي أوصاني بأن أردده في مطلع كل يوم فأقول:

«أحمدك يا رب على أن وهبتني الحياة، فما الحياة إلاّ نعمة تهبها عبادك سبيلا إلى عمل صالح، ووسيلة لبلوغ هدف رفيع».

كيف تكون قصصيًا؟!

والآن أسوق هذا الحديث إلى زميل المستقبل، قصاص الغد، رداً على سؤاله لي:

- كيف أصبحت قصصيًا؟

فأردد بالتالي مقولة أستاذي ووالدي الروحي فقيد القصة العربية **محمود تيمور** عندما سئل السؤال نفسه، فقال يرحمه الله:

- لا أملك إلا أن يكون جوابي هو أن أسأل نفسي في صدق، وإخلاص:

«هل أصبحت قصصيًا حقًا؟».

عالم كافكا

لم يتبين وسط العاصفة الهوجاء، سوى صوت غريب يصيح بصوتِ كنُباحِ «الكلب»، ثم تلاشى هذا الصوت غامضاً كما بدأ غامضا، والبيت الكبير يهتز، والنوافذ تصطفق، والرياح تخبط.

كان هذا هو كل ما تبقى في وجدانه من نهاية رواية «القضية» لكافكا، ولا يتذكر التفصيلات، فقد هاجمه نوم ثقيل، وعاوده الحلم العجيب، ولكن في صورة أخرى:

«مياه رصاصية كثيفة كالزئبق. لا حركة بها، ولا طيور فوقها، ولا نبات حولها، أشعة من الشمس حارقة فوق مركز الدائرة من تلك المياه، وقريبة جدا منها، تثور بين الحين والحين فقاعات صغيرة بسبب أشعة الشمس، كتلك التي تشاهد على سطح كوب من الماء.

لاحدَّ للمياه شمالا ولا جنوبا؛ أما في الشرق والغرب فساحل رملي يأخذ لون المياه وكأنه امتداد لها، ويغلي أشبه بأفران الصهر في معامل السكر.

تظهر على الشاطئ الشرقي امرأة، سواد في سواد من رأسها إلى قدميها، لا يظهر من خلال السواد إلا وجه لا تعبير به، في وسط العمر ولكن وجهها وجه عجوز، عيناها ترابيتان، وشكلها ليس آدميا تماما بل هو أشبه بالرسوم التي تراها على الكهوف القديمة، تبدأ في السير من أول الشاطئ ومتجهة ببطء نحو المياه وفوق أفران الصهر. وعليها جرة موضوعة رأسيا وذات رقبة كبيرة وعليها حبيبات من كثرة استعمالها ومقبضها خشن ومسود. تسير المرأة في خط مستقيم لا تلتفت يمنة ولا يسرة، ولا تغيّر من حركتها ولا من إيقاعها في الخطو، لا يظهر خلفها ظل، ثم تقف فجأة حين تصك المياه قدميها، فتنحني وقد وضعت الجرة على المياه التي تختفي ببطء وكأنها تغوص في رمال متحركة، ولا يبدو على المياه تغيير إلا حركة زئبقية في المنطقة التي فوق فوهة الجرة. ثم تختفي لتعود المياه إلى ما كانت عليه رصاصية طويلة تثير الدوخة، تسحب الجرة ثم فجأة وبحركة «هيستيرية» ترفع وجهها وتنظر إلى الشاطئ الآخر، فتجفل وهي تشاهد على الشاطئ الغربي امرأة أخرى، مثلها تماما: سواد في سواد، وجهها خال من المعنى، عيناها ترابيتان، تحمل جرة أيضا، وتتحرك مثل المرأة الشرقية وكأنها انعكاس لها، ثم تصرخ المرأة الشرقية وتلوّح في الهواء بيديها كمن يندب. ويملأ صوتها كل المكان، لا يبدو أنه يصدر عن امرأة واحدة، وإنما من مجموعة في قوته وكثافته وهو يردد:

أمي تضربني والعجل ينطحني وأبوي يأكل لحمي.

ولكن هذا الصوت الذي يملأ المكان كله وكأنه يصدر من مجموعة، يصل إلى المرأة الغربية فيحركها حركة خفيفة، وترفع رأسها ببلادة، وما إن تشاهد المرأة الشرقية حتى تجفل وتمتلئ رعبا وتلوّح في الهواء بيديها كمن يندب، ويصدر منها صوت مثل الصوت الأول يأتي من جميع الجوانب وهو يردد:

كليبة شامية تنبح صبح وعشية سرقوا بيتي الحرامية

يختلط الصوتان ويزداد رنينهما وتتحول المنطقة كلها إلى عاصفة من الندب والصياح، وتثور فوق الساحل عواصف تلطم الرمال بقوة وتختلط بها وتدفعها إلى مسافات متداخلة. أما المياه فما زالت كما هي كثيفة لا تهتز ولا تتحرك، والشمس كما هي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب وكأنها معلقة فوق هذه المنطقة بالذات.

تعود المرأة الشرقية وقد أعطت ظهرها للمياه وتفعل مثلها المرأة الغربية تماما، في الحركة نفسها والخطوة نفسها، ولكن بدل الجرة نجد على رأس كل منهما طفلا منتفخ الرقبة وكأنه مصاب بالغدة الدرقية، لا تبدو عليه براءة الأطفال، بل يظهر أنه متلذذ بهذا الوضع فوق رأس أمه، وجهه مجدور كقدم فلاح مملوء بالثقوب، وأنفه كإبهام القدم.

تصل المرأة الشرقية إلى نهاية الشاطئ، وكذلك المرأة الغربية، وفي اللحظة نفسها تماما، ويسوخ قدم كل منهما في الرمال ويختفي جسداهما بالتدريج تحت الرمال المصهدة، ولا يبقى فوق السطح إلا الطفلان، ودون أن ينظر كل منهما إلى الآخر يتجهان نحو المياه، التي تظل كما هي رصاصية وكثيفة، وفوقها الشمس في مكانها لا تتجه إلى الشرق ولا إلى الغرب، ويبدو لصغر خطوهما أن المسافة أمامهما قد أصبحت أكثر طولا من ذي قبل».

استيقظ من حلمه، وعزم على ألا يقرأ لكُتّاب العبث أبدا، بالأمس قرأ لسارتر فوجد نفسه كالبصلة المقلوبة، واليوم قرأ لكافكا فوجد نفسه كالطفل المجدور. أزاح الغطاء، وطرد الكوابيس المزعجة، وقرأ سورة الملك، وتطلع نحو السماء فما رأى فيها من تفاوت ولا فطور، وارتد اليه طرفه خاسئاً وهو حسير، وأحس بالضعف الإنساني، وأيقن أن الحل ليس عند سارتر ولا كافكا، فقد كفاه ما عانى من كوابيس.

د. عبدالحميد إبراهيم


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة »للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ، تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

من المكتبة السعودية





أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

● الكتاب : أنابيش تراثية .

● المؤلف : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .

● الناشر: نادي أبها الأدبي . ط١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م . ١٦٣ ص .

لقد نبش لنا الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ست عشرة أنبوشة تراثية، حسب ما جاء في عناوين كتابه وفهرسته، ولكنه في الحقيقة نبش أكثر من ذلك؛ لأن كتبه التراثية، المخطوطة والمطبوعة، توالت في عرضه بشكل مثير وغريب، فكل مؤلف يندرج تحته عشرات الكتب، وإننا لنستغرب من أولئك الأعلام العرب والمسلمين كيف استطاعوا أن يقدموا تلك الأعمال الدينية والثقافية بذلك الزخم الكبير. ومع كل ذلك فإن ما نبشه لنا الأستاذ الظاهري هو جزء قليل من الكنوز التراثية، وما أكثرها! وإنه في صنيعه هذا، ليستدرج الباحثين والمهتمين بتراثنا الثقافي والمعرفي إلى أن يواصلوا معه النبش لاستخراج أنفس الكنوز من بطون أمهات المخطوطات، وينفضوا عنها غبار السنين والقدم. إن المؤلفين الذين وقف عندهم مستعرضًا كتبهم أو مخطوطاتهم هم : أبو موسى المديني وثلاثة من كتبه، وابن عبد الحق التلمساني وكتابه «المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار»، وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي وكتابه «مختصر مفردات الزهراوي في منافع المفردات وخواصها»، وعبد الغني الدهلوي وكتابه «اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني»، وابن ساعد الأنصاري (ابن الأكفاني) وكتابه «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد»، وابن حيان وكتابه «ارتشاف الضَرَب من لسان العرب»، وأبو بكر ابن العربي وكتابه «رسالة في علوم القرآن»؛ فضلاً عن كتبه الأخرى : «الأفعال، والناسخ والمنسوخ»، وأبو المعالي علاء الدين محمد بن عبد الباقي البخاري المكي وكتابه «الطراز المنقوش في محاسن الحبوش»، وأبو مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتبه : «الواضحة في السنن والفقه، والغاية والنهاية»، فضلاً عن تعريف بابن حبيب : أخباره وما قيل فيه وقصص عنه.

وأخيرًا، تعريف آخر بالمخطوطات وبعض المصورات بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في الرياض، بلغت ستًا وثلاثين مخطوطة.

وكتابات ابن عقيل عن هؤلاء الأعلام وكتبهم ومخطوطاتهم تتفاوت من واحد لآخر، فإن لم تتجاوز أحدهم النصف صفحة فإن بعضهم تتعدى العشر صفحات؛ وإن كانت الكتابة عن ابن حبيب، مثلاً، قد بلغت حوالي نصف الكتاب. ويبدو أن تلك الكتابات كان قد نشرها في الصحف أو الدوريات يوم كان له اهتمام بهذا النوع من الكتابة. وقد ذكر ذلك في نهاية استفتاحه وتوطئته : «وفي بداياتي في التعريف بالنفائس التي نشرتها مفرقة في الصحف والدوريات، ثم توقفت عن مواصلتها كانت هذه الضميمة، فاخترت منها هذه الأنابيش».

ويمكن أن نذكر بعض النقاط والرؤى حول تلك الكتابات حسب تسلسل العناوين :

□ حاول ابن عقيل أن تكون كتاباته عن مخطوطاته كاملة، وإن استجد أمر عليها فإنه يستدركه في هوامشه كي يصحح أو يضيف شيئًا لمعلوماته، فحين يستفتح كلامه عن أبي موسى المدني بقوله : «هذا الإمام الجليل لا أعرف له كتابًا مطبوعًا»، نراه يستدرك هامشيًا بقوله : «كتبت هذا قبل طبع كتابه المغيث وكتابه نزهة الحفاظ»، وكذلك الحال مع ابن حيان الذي أورد عن كتابه «الارتشاف . . .» الذي له نسخ خطية هي التي اطلع عليها، ولكن أحدهم، وهو الدكتور بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، أفاده «أن الارتشاف طبع في ثلاثة مجلدات».

□ لا يكتفي ابن عقيل بكتاب واحد لِعَلَمِه أو الكتب التي بين يديه للتعريف بها، وإنما يسرد جُلَّ مؤلفات ذلك العَلَم كي يقف بعدها عند ما هو بصدده؛ نراه مثلاً يعدد كتب أبي موسى المدني التي اهتدى إليها وقد بلغت واحدًا وثلاثين مؤلفًا، ثم يقف عند الثلاثة الأخيرة، وكذلك الحال مع ابن العربي، وابن حبيب وغيرهما.

□ في عرضه للكتاب أو المخطوطة، فإنه يذكر أجزاءها، أو أبوابها، كما يسرد الفصول لتلك الأبواب إن وجدت، وكل العناوين والموضوعات التي تندرج تحت الأبواب والفصول.

فأجزاء كتاب «اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف» لأبي موسى المديني ثمانية؛ وأبوابه سبعة عشر بابًا. وكذلك كتاب «الطراز المنقوش في محاسن الحبوش» لأبي المعالي يتكون من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، ويذكر عناوين تلك الأبواب وما يندرج تحتها من فصول. وإن تعداده واحد سواء أكانت الأبواب قليلة أم كثيرة. فنراه مثلاً يعدد الأبواب الثمانية والخمسين لكتاب «الغاية والنهاية» لابن حبيب كلها.

هذا فضلاً عن معلومات أخرى عن المخطوطة: مكانها، تاريخ نسخها، رقمها، حجم أوراقها وعددها.

□ يتبع ابن عقيل منهجية الاستقصاء. فكما صنع في تعداد كتب عَلَمِه، فإنه يصنع الصنيع نفسه مع من كتب أو ذكر علمه، فيورد أقوال السابقين، ويعددهم، بادئًا بأهل الأندلس، وذكر منهم مثلا خمسة وعشرين شخصًا ممن أخذ عن ابن عبد السلام التلمساني، وثمانية من أهل المشرق. وإن أراد ابن عقيل أن يعرّف عَلَمَه أو يقوّم كتابه فإنه يوجز في الرؤية والاستنباط فلا يذكر غير شذرات قليلة تفي بغرضه مثلما صنع مع أبي موسى المديني. ولكنه قد يقوّم كتابه أو مخطوطه تقويمًا

موضوعيًا ـ كما صنع مع أبي المعالي صاحب كتاب الطراز المنقوش ـ يمنح القارئ صورة دقيقة لذلك التقويم من خلال إبراز القيم التي يتصف بها الكتاب.

□ ينوّه ابن عقيل من حين لآخر باستحقاق نشر تلك المخطوطات، وتحقيقها تحقيقًا علميًا، وبخاصة ما كان منها مغمورًا رغم مؤلفات صاحبها التي لا تحصى، مثل مؤلفات ابن حبيب التي «أربت مؤلفاته على الألف ما بين مجلدات وأجزاء»، «ولست أدري لماذا لم تهتم المؤسسات العلمية والمحققون المعاصرون بنشر ما وصل إليهم من مؤلفاته سواء أكانت كاملة أم مبتورة مع ما له من صيت ذائع في بلاد المغرب والمشرق». ولهذا فإن ابن عقيل سيتوسع في ذكر أخبار ابن حبيب كما سنرى.

□ وقد يشيد ابن عقيل بالجهد المشترك مع غيره من المعاصرين في البحث والحصول على المخطوطات: «من المخطوطات الأصلية التي اجتلبناها أنا والدكتور يحيى محمود ساعاتي لجمعية الثقافة والفنون مجموع يوجد في خزانتها الآن برقم ٢١/خ». أو نراه يستأنس بآرائهم، فيذكر ما قالوه في الموضوع أو الموقف الذي يقف عنده. يقول مثلاً وهو بصدد معنى «العوط الأحباش» الذي ورد في خاتمة كتاب «الطراز المنقوش ...»: «أذكر أنني سألت عن هذا الدكتور محمد الطيب في منزل الشيخ حمد الجاسر، فعلل ذلك بالرقية وأنها عادة وفدت من سحر بابل ... وسامرت بعد ذلك الدكتور محمد إبراهيم الشوش في منزله فاستبعده». ولكنه لا يرجح أحد الرأيين.

□ الكتابة عن سيرة ابن حبيب أو ترجمته، رغم استفاضتها، فإنها غير مسلسلة مترابطة ولا تنهج الطريقة الشائقة في كتابات السير والتراجم، ففيها من التكرار الشيء الكثير، ولكنه فيما يبدو أحب أن يورد كل ما قيل عنه بصرف النظر عن المنهجية والكتابة الأدبية. وجُلّ تلك الاستفاضة ـ نصف الكتاب كما ذكرنا ـ تدور حول أخباره، وكتبه، وقصصه، وحبه للكتب والمطالعة وغير ذلك. فقد عدّد لنا أشهر كتبه، وساق لنا نصوصًا كثيرة عنه من السابقين، وإن تكررت بعينها كذكر لبسه للخز والسعيدي في (ص ٧٥ و ٩٥). أو في تشابه الأقوال الأخرى فيه؛ على أن ذلك إجماع في تقويم صفاته وشخصيته العلمية مثل: «كان فقيهًا نحويًا لغويًا نسابة أخبار عروضيًا فائقًا، شاعرًا محسنًا مرسلاً حاذقًا مؤلفًا متقنًا». وكثير من أخباره كانت ترسم، على نحو ما، خطوط أعماقه ولا سيما في المواقف التي اعترضته في رحلاته، كقول بعضهم: «ركبتُ البحر إلى الأندلس مع ابن حبيب، فهاج علينا، وخشينا العطب، فرأيت ابن حبيب متعلقًا بحبال السفينة، وهو يقول:

اللهم إن كنت تعلم أني إنما أردت بها ابتغيته وجهك وما عندك فخلّصنا برحمتك وانفع بها أتيت به عبادك».

ومع ذلك فقد أورد ابن عقيل ما قيل فيه من تقريع ونقد مثل هذا القول: «قال ابن الفرخي:

لم يكن لابن حبيب علم بالحديث، وكان لا يعرف صحيحه من سقيمه، وذكر عنه أنه كان يتساهل في سماعه ويحمل على طريق الإجازة أكثر روايته»، وتكرر مثل هذا القول، ولكن (المقري) ينفي ذلك بقوله: «أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مُسلّم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين». ولكن ابن عقيل لا يرد إلا بتعداد تلامذته والمشغوفين بكتبه، أو المعجبين بشعره. وقد أورد الكثير منه، فكان شعرًا حسنًا، تكرر بعضه ولكن بصياغات واختلافات طفيفة. وإننا لندعو إلى قراءة مثل هذا الشعر.

وأخيرًا، لقد بدا لنا ابن عقيل في هذا الكتاب التراثي أحد أعلام ذلك التراث، وهو يشاركُ في نبش تلك الكنوز التراثية بآرائه قائلاً: «قال أبو عبد الرحمن». ولعلّه صدق فيه قول إدارة نادي أبها (الناشر) حين جعلته «تلميذ صاحب (المحلّى) الذي أوشك أن يتساوى مع أستاذه أو يبزّه».





محمد علي قدس

● الكتاب: المعاصرة بين الرؤية والكلمات.
● المؤلف: محمد علي قدس.
● الناشر: المؤلف نفسه.
● الطبعة الأولى ١٤١٠ / ١٩٨٩م.

هذا كتاب جيّد، مادته في الأصل مقالات قصيرة سبق نشرها في إحدى زوايا «مجلة اقرأ» ويذكر الأستاذ محمد علي قدس في مقدمة الكتاب أنّ محاور تلك المادة «تعتمد في أسس تناولها على مرتكزات بدهية تبتعد عن قوالب النقد من خلال رؤية معاصرة واضحة».

ولا بأس في هذا، ولكن كان لا بُدّ أن نرى من خلاله هو بعض هذه المرتكزات البدهية .. لأنّ القراء عادةً ما يضلّون بين ما هو بدهي ـ وهو نسبيّ غالبًا بالنسبة للمتلقين ـ وما هو محتاج إلى إفضاء مبرهنٍ عليه. إلا إذا قُصد بالبدهي تلك المسلمات التي تواترت منذ قديم إلينا، وفي هذه الحال لا نحتاج إليها إلا بتوجيه مغاير، ومع ذلك ففي البدهيات مساحة ـ من حيث هي معرفة ـ تعجز عن فرْض نفسها علينا.

على أننا سوف نعفي أنفسنا من هذا العناد، وذلك على أساس أنه دعوة من المؤلف إلى تقدير «تواضعه» وإلى أن نأخذ كتابه برفق بحيث لا نسيء الظنَّ في إشكالياته المتناثرة في كلّ الصفحات. فمن قضية المعاصرة ـ وقد أريقت فيها دماء بعض الحداثيين ــ إلى مناهج النقد الحديث كارثة الكوارث لدينا، ومن الثقافة بعامة إلى تخصصات الإبداع الذي هبَّ إليها الجميع ودبوا، ثم من أزمة الكتاب والصحافة إلى آراء في «التحديث»

والعـالمية، إلى المسرح وإيـزيس الأسطورة وجوتــه الشاعـر الألمـاني عـاشق الشعـر الجاهلي وشخصية الرسـول ـ عليـه الصـلاة والســلام ـ وحضــارة الإسلام .

أمشاج واشتجـارات فكريـة و «بـدهيـات» وطموحــات فنيــة ورحــلات تـرفيهيــة تثقف ــ مع ذلك ــ عقـولنـا المتطلعـة إلى تلك المعـارف الرائعـة .

لكنَّ العيبَ فيها أو النقص ـ ولله وحده الكمال كلـه ـ هـو أنَّ أساسها كان «الزاويـة» . . أسبوعية كـانت أو يـوميـة أو حتى شهـريـة ! وفي الـزاويـة الصحافيـة يقفز صـاحبها فـوق «الأفكـار» قفـزًا فتجـيء غالبًا تعبيريـة انطباعية مبتورة، وبالقدر نفســه تجــيء بصورة غير ملزمــة؛ لأن معظمهـا تعرَّض لتسطيح يفـرضه الكـاتب على نفسه كي لا يثقل على قـراء المجلات والصحف .

ولعل هذا هو ما جعل محمد علي قدس يعتذر بقضية البدهية ويبرر بها التقصير الواقع منه بحسن النية . كمـــا يعتذر بتعمـده إبعادَ كتابــهِ عن دائرة النقد، حتى لا يؤخذ بآراء النقاد . وبالمناسبة أوسع قـدس هؤلاء النقـاد غــمـزًا ولـــمـزًا ــ باستثنـاء الغذامي والسريحي وباقـادر ومن يراه أحـد مراجع التطوّر الذي طرأ على اللغـة وآدابها ـ واتهمهـم بأنهم لا يزيلــون اللبس القـائم بين المبــدع كمــرسل والمتلقي، وبأن معظمهم يقسـو ويجامل فـانحـرف النقــد على أيـديهم عن الموضــوعيــة، وبعضهم متخلّف (كذا والله !) حتى ليمـارس النقد من أجل لقمـة العيش، وقد لا يكلّف نفســه مشقـة متابعة مـا يطرح في الساحــة الأدبية من عطـاء ! ص ص (٢٠، ٥٥، ٦١)

والأمـــر مهما يكن وبغضِّ النظـر عن تصنيف قـدس لقضايـا الكتاب ــ وهي خمس غير جامعـة مـانعـة ــ فإننا نـرى لديـه اتجاهًا متعمــدًا لمناقشـة أصعب مشكـلات الإبداع ونقده . وذلـك في ضوء المعـاصرة والحداثـة، عبـورًا بتقليديــات العطـاء الثقافي الذي لـم يمنع إطلاقـًا احتفـاءه بمن صاروا في عــداد التراث كطـــه حسين والعقـاد وأحمـــد السباعي وعبد الوهاب آشـي ومحمد حسن عـوّاد . وقـد تسلّـل إلى بعض الغربيين، ومنهم على سبيل المثـال جيمس جـويس الذي وصفـــه بعبقـري من القرن العشرين .

وفي ظـــنّـي أن هـذا توجُّـــهٌ سليم . أولاً : من حيث إن للمـؤثـريـن أدوارًا لا تـزال تعمل فينــا، باعتبار أن للإبداع ينابيع ثـرَّةً غير شخصية ترفدنا بماء الاستمرار أبَــدَ الآبدين . وثانيًـا : أن المعاصرة التي صـارت هاجس قـدس الأول تحتـاج إلى تلك المعايشـــة اليـوميـــة التي تُــدْرَجُ تحت اصطــلاح العـالمية، ونحـن نعمل جاهـدين على تحقيق هـذه الصفـة الصعبـة . ويصبح من ثَــمَّ دور الرائد عزيز ضياء ــ مـدَّ الله في عمــره ـ ضروريًـا جدًا، لا من حيث فكره الخلاّق فحسب وإنمـا أيضا من حيث ترجمتـه التي طالما وُصِفَتْ بالدقـة وبسحــر البيان (كـم كنت أرجـو أن تكون لقدس وقفات أُخَـر مع (هذاالرجـل) .

وأمـا الإبداع نفسه ـ وهو مؤسس شرطَ الجـدة على الأصالـة في الشكل والمضمون ــ فالمؤلف يرفع عنه بجـرأة مطلوبـة تهمة تقـويض اللغة والتراث، ويلـحّ على صِــدْق المعانــاة المتفـرّدة ـــ وقــد استشهــد عليها « بـالخبـز الحافي » الروايـة الأولى لمحمد شكري المغربـيّ، وبأعمـال قصصية أخرى ـ بشرط ألا يكون هنـاك قصـورٌ في عملية التوصيل من المبـدع الـذي يحقق شخصيتــه بإبداعــه، إلى المتلقي الذي يريد أن يفهــم عنـه أو يجـد لديـه ما يـريـده، بتلــك اللغـــة التي سميت بــ «فصحى العصـر» .

وتلك الفصحـى رشيقـــة صادقـــــة . . لا تتعـارض قَـطُّ مع فصحى التراث، ولا تتــردَّى إلى عـاميـات العصر ! وجـــاء رأي المؤلف في تحديث اللغـــة ــ على ذلك النحــو ـ مـرتبطًـا بذكــاء مع ضرورة التغيير في أنمـاط الفكـر والتعبيـر .

وأمـا حركـــة النقـد القــائمـة على تقــويم الإبـداع، فقـد امتلأ كتاب قدس بآثارهـا . . لا في عـرضـه لنتـاج بعض المبـدعين فحسب، ولكن في تنظيراتـه ودراسـاته الأدبية أيضا، بل ربمـــا كانت هي النغمـة الغالبة على الكتاب !

وعلى الرغـم من اختلافنـا معـه فيما أدلى به من أقـوال عن مفهـوم النقـــد وتوزُّعـــه على مـدارس ـ اجتماعية وتاريخية ونفسية وبنيويــة ـ فـإنه محصلـة وجهـة نظـر، وإن كنا نحس قصورًا في إدراك واقع النقد الأدبي عندنـا . واعتمـــاده عز الدين إسماعيل في أنَّ النقد نهج «تُــسَـجَّــلُ خلالـه وجهات النظر المختلفــة في مـوضـوع يتعلّـــق بـالقيمـة الأدبيـة ومعاييرها الجمالية» ص ٥١ لا يمنعنا من مساءلتـه في طبيعـة عمل كثيرٍ من نقـاد المرحلـة الـذين لا يشنـأهم .

فالبنيوية ، مثلاً، المرفوضة في أوربـا ـ مخترِعتها ـ منذ أربعة عقود على الأقــل، وُجِـدَ من يرفضها من الأكاديميـين مؤخرًا، وكذلك من بعض مثقفي الصحافــة مثـل كمـــال ممدوح حمدي صـــاحب «الضفة الثالثة» في صحيفة الرياض .

وما يحدث على الساحة العربية حيث يُـجَـلِّـي فيها أمثال جابر عصفـور دون مواجهة سافرة لكمال أبو ديب والمسـدي ومن يلفّ لــفَّـهُـما، دليلٌ على أن ثمـة «شيئـًا» غير مألــوف يُطـرح في الساحــة متعـــامـلاً بمستــويــات مع الأيديولوجيتــيْـــن السائدتيْن بين الاشتراكية والرأسمالية . ويعني هذا أنــه لا بُــدَّ لنـــا مـن الاعتراف بفـاعليـة تسييس الإبــداع الأدبي شئنـا أو لــم نشــأ . وهذا بـدوره يعني أيضا أن الجديد المطروح يـرفض أن يكون ثمة نقد جمالي خالص ونقد اجتماعي خالص، والتاريخ في النقد من نـاحية أخـرى مجرد « مادة عـرضية » لا يُــعْــتَــدُّ بها إلا عنـد المقارنـة، في حين تتقلّص مساحةُ النقد النفسيّ بحيث يصير عملية استغـوار محدودة لصاحب الإبداع .

والنتيجة أنّ مـذاهب النقد المعـاصر توشك أن تنحصر في نقـد لغوي أسلـوبي ينتمي إلى البنيويـة الأسلوبيـة الشكليـة ، ونقدٍ ثــانٍ مضموني يرفــع لواءه في إطـار التاريـخ والاجتماع مدمنـو الماركسية التي تغـرب شمسهـا الآن، ونقــد ثـالث يتـوسط

بتكامله النقدين السابقين . . على أساس أن الشكلية ـ وهي جمالية مطلوبة ـ يمكن أن تكون بابًا ندخل منه إلى «المضمون المعرفي» الكامن في النص، وربما تُكرّس هذا النقد الأيديولوجية الرأسمالية تحت شعار حرية الفكر، وكثير من الأكاديميين يميلون إليه مستعينين عليه بشتى المعارف.





إبراهيم عبد الله مفتاح

● الكتاب : مقامات فرسانية .

● المؤلف : إبراهيم عبد الله مفتاح .

● الناشر : نادي جازان الأدبي، ٧٣ ص .

أطلق المؤلف على كتابه هذا «مقامات فرسانية»، ولا ندري أين هي «المقامات» في هذه الكتابات؟ لا في أسلوبها السجعي القديم، ولا في أحداثها ووقائعها المعاصرة. ربما أراد بها ما كان يجده في المقامات القديمة من أسباب تسميتها بالمقامة المعزوّة أحيانا إلى المجلس، والحكاية فيه من أفواه الرواة. فالمجالس الفرسانية لجزيرة فرسان البحرية من منطقة جازان، وما يقع فيها من حوادث وحكايات وأعمال ومهن ومزاولات متعددة، كل ذلك ربما استدرج المؤلف ليفتح مغالق أبواب تلك البيئة، ويدخل بنا إلى عالم بحري متميز في الكثير من صفاته البشرية، وسماته الطبيعية؛ لتكون مقاماته ذات أسلوب قصصي، يرسم به صورًا شعبية، ولوحات فنية، تمنح القارئ تصورًا شائقًا عن رسوم «فلكلورية»، وبيئة شعبية بحرية، في مراسيم ومواسم الأفراح والزواج والألعاب والصيد، والرحيل والعودة. شخصياتها الصيادون، والجمّالون والسقاؤون والكتّاب (المعلمون والمعلمات)، والأطفال، والشباب والفتيات، وأصحاب الحرف اليدوية، وما يتخلل تلك البيئة من حكايات وأساطير؛ كان المؤلف، وهو صغير، قد سمعها من أمه أو جدته أو غيرهما مما كان يرويه الناس وتتناقله الألسن. وقد يروي بعضها بلغة أهلها وشعبها من البيئة «الجازانية»، وإذ هي لغة واضحة مفهومة، وإذ هي مآسٍ مثيرة، تدفع المهتمين بالتراث الشعبي أن يسعوا وراءه ويسجلوا تلك الحكايات والأساطير بلهجتها المحلية للاستفادة من معانيها ودلالاتها اللغوية، والأسطورية، والاجتماعية، والفكرية. وصورة التعبير عن ذلك كله.

ورغم تعدد تلك المقامات الفرسانية ـ بلغت أربع عشرة مقامة ـ فإنها تتلاحم وتتحد في أجوائها وبيئتها ولغتها، أجواؤها البحر، وبيئتها النخيل والسمك، ولغتها تعج بمفردات تلك البيئة التي تحتاج من الكاتب للشرح والتوضيح والتعريف، مما امتلأت به هوامشه، بحيث كانت تلك المفردات كلها، تصور أحوال معيشة أهلها الاجتماعية. كما كانت تتخلل تلك اللغة ومفرداتها أهازيج شعبية تتعانق مع تلك المفردات.

وأهل تلك البيئة أناس عاديون، لا تشغلهم هموم قاسية، رغم قساوة البيئة والطبيعة عليهم أحيانًا. همومهم بسيطة كبساطة أصحابها، حتى شجارهم بريء ينتهي إلى اتفاق يتم في اللحظة نفسها، وترتسم على وجوههم علامات الرضى والقناعة في نمط حياتهم وتفكيرهم ومأكلهم الذي لا يتعدى «الزيت» و «الشاي» ومع ذلك «تمتد الأيدي المبللّة بعرق الكفاح تغمس اللقمة الشهية لترتفع إلى الأفواه الممتلئة بإيمان التوكل واشتهاء العافية».

وإذا كانت رسوم شخصياتهم لم تتحدد بسمات خارجية مميزة، فإن أحاديثهم مع بعضهم بعضًا توضح صورهم البارزة، المنسجمة مع البيئة البحرية، وشؤونها الحياتية، وموجوداتها الطبيعية.

ولأن أديبنا المفتاح تختزن في ذاكرته صور وأحداث بعض الروائيين الكبار، فإن أسماءهم، وأسماء رواياتهم ترد على خاطره، فيلهج بها أحيانًا، كقوله وهو يصف البحر وجو الرطوبة، والاستثناءات الصباحية : «التي تتنفس رياحًا جنوبية . . ربما يبدأ موسم الهجرة إلى الشمال على حد تعبير الطيب صالح».

ولهذا فإن لغة الأديب المفتاح تظل لغة أدبية ولا تفارق كتاباته «المقامية»، لا سيما وهو يصف أجواء الطبيعة، حين تتنفس فيها صورة البحر والسماء، والشاطئ والأرض، والقمر والليالي : «في النصف الأول من الشهر القمري يمتطي القمر صهوة السماء فيتجلّى على أرض القرية المفروشة (بالبطاح)» يشرحها في هامشه ويقول : «البطاح : حصى بحري تفرش به ساحات المنازل».

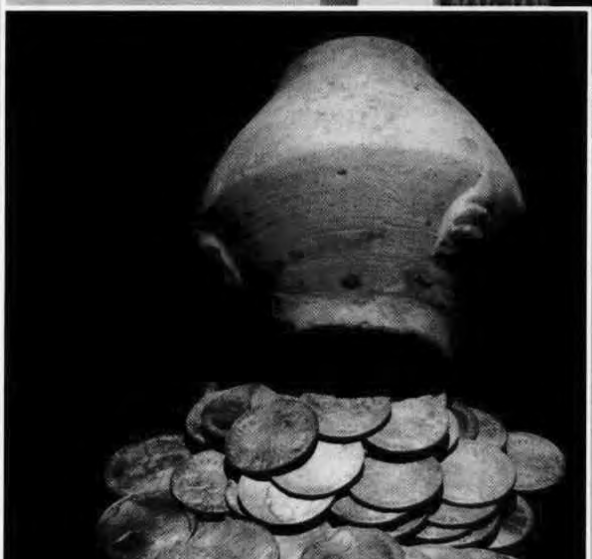
ولا تغيب عن ذهنه صور الأطفال وبراءتهم وألعابهم وهم يضيفون للوحة البيئة البحرية ـ بأناسها المميزين بامتهان صيد السمك في مواسمه وجني البلح من نخيله ـ لونًا جديدًا ممتعًا : «صغار الأطفال يقلدون الكبار، فيزركشون دُماهم بقطع من القماش الملّون . . وتتحول الأزقة الضيقة إلى ساحات سباق بينهم، عندما يحمل كل منهم دُمية لبعير ينطلق بها إلى ساحة، يتمثلون فيها البحر، وخطوطًا وهميةً دائرية ترمز إلى شبكات الصيد، وكميات من أوراق شجر (العصف) ينثرونه داخلها ثم يهجمون عليه».

ومما يزيّن لوحة الوجود والبيئة شعراؤها الشعبيون، وهم يشاركون الناس أفراحهم وأعراسهم. «الشعراء الشعبيون يسندون قرائحهم على عتبات شياطينهم الموسمية، وبغزارة يمطرون المناسبة بأشعارهم التي تتردد في منازل الأعراس».

ولم تكتمل صورة لوحاته إلا مع الأذان، وصوت الحق يتعالى ويصدح لتسمعه الآذان : «ينطلق الفجر، من أعالي منارات المساجد، أذانًا يملأ أسماع الكون (الله أكبر . . الله أكبر)، وتصيح الديكة، فوق الجدران، مبشرة بميلاد نهار جديد».

متحف الشارقة
ذاكرة يسكنها شموخ الأجداد





جرة بها ٩٣ قطعة نقدية عثر عليها في موقع شرقان

اعداد : يوسف كامل حسين

ليس متحف الشارقة أحدث متاحف دولة الإمارات العربية المتحدة فحسب، وإنما هو أكثرها طموحًا وحرصًا على تأكيد الطابع العلمي في كل تفاصيل العمل تحت سقفه، وربما كان أسبقها في مد الجسور نحو مختلف شرائح رواده، بحيث يخاطب كل شريحة منهم بلغتها، وحسب قدرتها على التعامل مع مقتنياته وتسهيلاته، ابتداء من طلاب المدارس الذين يشقون خطواتهم الأولى على طريق الوعي التاريخي والآثاري، ووصولاً إلى الخبراء الذين يقصدونه من شتى دول العالم، وانتهاء بالباحثين الذين يعرفون من خلال تقارير بعثات التنقيب والدوريات العالمية المتخصصة أهمية ما يضمه المتحف تحت سقفه من آثار تشكل جانبًا لا يستهان به من معالم الوجه الحضاري لشرقيّ شبه الجزيرة العربية.



وهذا المتحف، الذي افتتح في الخامس من كانون الثاني يناير ١٩٩٣م، يضمه مبنى شيد خصيصًا لهذا الغرض، يتألف من ثلاثة طوابق بمساحة تتجاوز ألفي متر مربع، ويشمل عددا كبيرا من قاعات العرض والمكتبة وغرف الإدارة، بالإضافة إلى مختبر فريد من نوعه مختص بمعالجة الآثار، ومجموعة مخازن معدة لاستيعاب القطع الأثرية وحفظها.

ويأتي إنشاء المتحف الذي افتتحت مرحلته الأولى في قاعات الطابق الأرضي لتضم الآثار المكتشفة في إمارة الشارقة منذ أقدم العصور وحتى العصر الإسلامي، يأتي تجسيدًا لحلم راود أذهان الكثير من أبناء الإمارات، على امتداد سنوات طويلة، إلى أن تحقق أخيرًا، عبر جهود متواصلة لا ينقصها الصبر ولا الحرص ولا التكامل.

ويلقي ناصر حسين العبودي، مدير إدارة الآثار والتراث والمشرف على متحف الشارقة للآثار، الضوء على هذا الحلم الذي تحقق على مهل، فيوضح أن قرار إنشاء المتحف قد اتخذه سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، في كانون الأول ديسمبر ١٩٨٥م، انطلاقًا من إدراك مدى عمق الحاجة لوجود صرح حضاري، يعكس الوجود المتميز للشارقة وامتدادها التاريخي والحضاري، الذي يتكامل مع باقي الإمارات في كلٍّ واحد، خاصة مع تنوع عصور الآثار المكتشفة بالإمارات وكثرتها، ولازدياد المكتشفات من الآثار، من خلال نشاط بعثات التنقيب وجهود المواطنين.

ويشير ناصر العبودي إلى أنه كانت هناك عدة خيارات لإقامة المتحف، من بينها إقامته في أحد الحصون أو القلاع التاريخية، وهي عديدة في الإمارة، وانتهى الأمر بتصميم متحف جديد، يعرف بمتحف الشارقة للآثار، باعتباره متخصصًا في الآثار فقط، أما التراث فيخصص له متحف آخر مستقل تمامًا.

ويوضح أنه في ضوء قرار إنشاء المتحف شكلت لجنة علمية، مؤلفة من عدد من أبناء الإمارات المتخصصين في الآثار مع فريق فرنسي متخصص بالمتاحف وبمعاونة عدد من علماء الآثار الفرنسيين وغيرهم من العلماء الذين عملوا في أراضي إمارة الشارقة. وقد حرص سمو حاكم الشارقة على متابعة عمل اللجنة والاجتماع مع أعضائها للإعداد والترتيب لتنفيذ مشروع المتحف، وأخذت اللجنة برأيه في كثير من الأمور، وتابع زيارة المتحف في مختلف مراحله، وأزال الكثير من المعوقات، كما قام بإهداء المتحف قطعًا أثرية كثيرة اكتشفت قبل إنشاء إدارة الآثار وبعدها، والزائر يلحظ هذا بوضوح في مختلف قاعات المتحف.

استرداد قطع أثرية من الخارج

وأشار العبودي إلى أنه تبين وجود قطع أثرية أخذت إلى خارج الإمارات، وبعضها منذ عشرات السنين، فأصدر سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي تعليماته بمتابعتها والعمل على استردادها وإعادتها إلى الإمارات، وعندما تعرقلت الاتصالات بين إدارة الآثار وعدد من الجهات المعنية بهذه القضية في النماذج تدخل سموه شخصيًا، وتمت استعادة ٢٥٠ قطعة أثرية نادرة عبر ست مراحل، وفي بعض الحالات كانت بعض القطع الأثرية تخص إمارات أخرى غير الشارقة، فتم تسليم هذه القطع إلى الاختصاصيين بالآثار والمسؤولين عنها في تلك الإمارات.

أقسام المتحف

وردًا على سؤال حول الأساس العلمي الذي تم اعتماده في تخطيط المتحف،



جرة مخططة
من موقع مليحة

أشار ناصر العبودي إلى أن الآثار في المتحف مقسمة حسب المتعارف عليه في منطقة الخليج، فهناك مرحلة العصر الحجري الحديث - الألف الثالث ق.م - الألف الثاني ق.م - الألف الأول ق.م - أو ما يعرف بالعصر الحديدي، العصر الهلنستي، العصر الإسلامي، وذلك مع ملاحظة أن المتحف متخصص في آثار الشارقة، وذلك في الإطار الكلي الذي يضم الإمارات كلها.

وقد أعطيت أهمية خاصة للصور والخرائط التفصيلية، التي تمثل المراحل الحضارية المكتشفة في الإمارات مع المقارنات بين الإمارات من حيث المواقع والعصور وطبيعة الآثار المكتشفة، كما تم إلقاء الضوء على الطرق المتبعة في التنقيب وترميم القطع الأثرية.

ومعظم الآثار المكتشفة في الشارقة تعود إلى المرحلة الهلنستية، ولذلك جاء التسلسل في العرض انعكاساً لهذه الحقيقة. وقد روعي في أساليب العرض أن يقدم المتحف الجرعات المناسبة من المعلومات والإيضاحات لمختلف شرائح الرواد، ابتداء من تلاميذ المدارس ووصولا إلى المتخصص الساعي وراء المعلومات الدقيقة والحقائق الموثقة.

وظيفة تعليمية

ويضيف العبودي أنه لدى إعداد المتحف كان في الاعتبار أن من العناصر الأساسية تعليم المجتمع، وأبناء الأجيال الجديدة بصفة خاصة، أسس التعامل مع المتحف والاستفادة منه، وقد أعدت قاعات العرض بشكل علمي ومدروس، بما في ذلك عناصر الإضاءة والحرارة والرطوبة و (الديكور)، وكان الهدف هو توصيل المعلومة بيسر، وقد أضيفت الصور الإيضاحية والرسوم التي أبدعها فنان متخصص في الرسم للمتاحف، حيث أعد سلسلة رائعة من الرسوم، التي توضح القرى والمواقع القديمة لتقريب الواقع التاريخي إلى ذهن زائر المتحف.

وقد روعيت كذلك مسألة النماذج والمجسمات التي هي بمثابة إعادة بناء، واستكمال للواقع القديم في صورة مجسمات مصغرة، ومن أهمها في المتحف نموذج البيت المستمد من موقع «مليحة» ونماذج القبور في المواقع المختلفة، حيث تم إعداد «ماكيت» أو نموذج تجسيدي لقرية أثرية بالتعاون مع شركة فرنسية متخصصة، بحيث نرى البيت والمكتشفات والرسوم والتخطيط الهندسي والقطع المكتشفة، كل ذلك في وقت واحد.

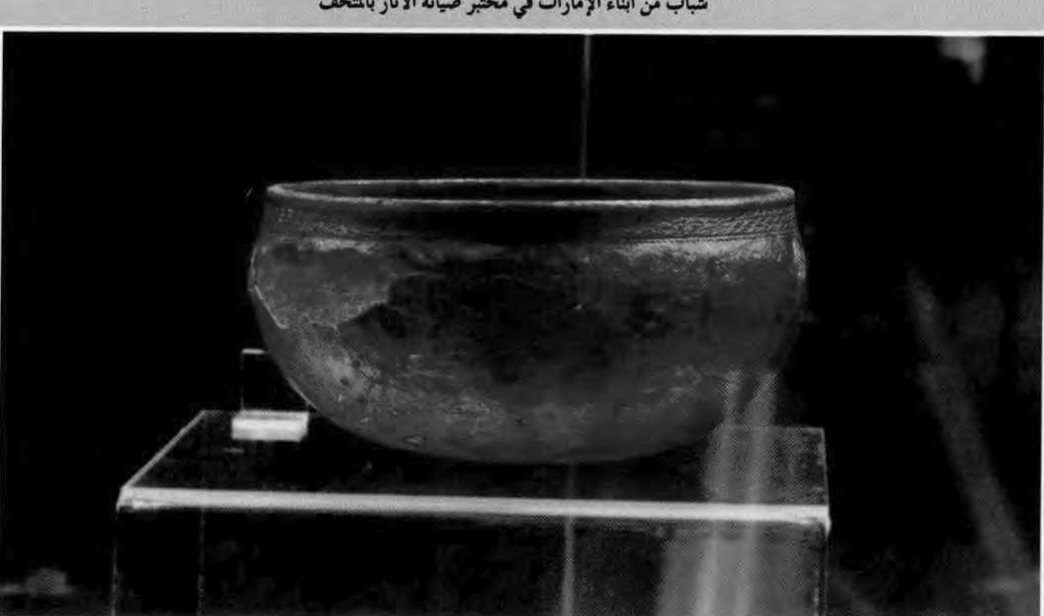
ويوضح المشرف على متحف الشارقة للآثار أخيراً، أنه تمت إضافة جزءين مهمين، أولهما جزء خاص بإيضاح الأساليب العلمية المتبعة في مواقع التنقيب على الآثار في الشارقة، وهي عديدة، وذلك عبر الصورة والكلمة التي تضم المعلومة المبسطة. والجزء الثاني خاص بكيفية ترميم الآثار، سواء أكانت فخارية أو معدنية، حيث تتبع أحدث الأساليب العلمية المتعارف عليها في أبرز متاحف العالم.

جولة داخل المتحف

وبانتهاء الحوار مع ناصر العبودي، ننطلق لتفقد تسهيلات قاعات المتحف، فهناك المختبر، الذي يلفت النظر بأن جميع العاملين فيه هم من أبناء الإمارات، وقد تم تدريبهم على أيدي خبراء متخصصين. وهناك أيضاً مكتبة المتحف، وهي في الواقع أقرب



شباب من أبناء الإمارات في مختبر صيانة الآثار بالمتحف



آنية برونزية عليها نحت غائر



مبخرة عثر عليها في موقع مليحة

إلى نواة ينتظر أن تضاف إليها في المرحلة المقبلة إضافات كبرى تجعلها على مستوى باقي أقسام المتحف.

وتبدأ جولة زائر المتحف في مجموعة قاعات الطابق الأرضي الذي يضم أربع قاعات، وأول ما يلفت النظر بالقاعة الأولى صورة جدارية كبيرة ملتقطة بالقمر الصناعي «إريان» للساحلين الشرقي والغربي للإمارات، تتكامل مع صورتين ملتقطتين من الجو للمنطقة بهدف تقديم إيضاح للمنطقة التي سيلتقي الزائر - عبر قاعات المتحف - مع آثارها.

ويتوقف الزائر أمام مجموعة مهمة من المصوّرات (الخرائط) الدقيقة والنادرة، فهناك مصوّر عام للآثار في الإمارات توضح مختلف المواقع الأثرية على تعددها، ثم مجموعة من المصورات التفصيلية للإمارات، وأخرى للشارقة ثم مصورات خاصة بكل مرحلة تاريخية بدءا من الألف الثالث ق.م إلى العصور الإسلامية.

وتلفت نظر الزائر في هذه القاعة مجموعة من المعثورات الحجرية ورؤوس السهام، التي تدل على العلاقات الوثيقة القائمة بين المستوطنات السكانية المختلفة في المنطقة منذ أقدم العصور.

وإلى جوار معثورات منطقة مويلح، التي تعود إلى الألف الثالث ق.م. يتوقف الزائر عند قطع من المعثورات في منطقة الثقبة تنتمي إلى الألف الأول ق.م يعتقد أنها تعود إلى ورشة للنحاس. وكما في كل قاعات المتحف تتألق هدية للمتحف من سمو حاكم الشارقة، وهي جرة تعود للألف الأول ق.م. من صير بو نعير، مع ثلاث قطع أثرية تعود إلى الألف الثاني ق.م من حجر الاستاتيت الشديد الصلابة، وهي غير معروفة الموقع على وجه الدقة.

وبالإضافة إلى موقع الحمرية ومعثوراته تصافح عينا الزائر آثار موقع مليحة، وهو من أهم المواقع الأثرية في الإمارات، وربما في شرقي شبه الجزيرة العربية، حيث تشاهد عملات تعد الأقدم في الإمارات، جنبًا إلى جنب مع الجرار المزجّجة وبقايا الأختام، وقطع معدنية عليها اسم «ماراشمس» وأسلحة متعددة من الحديد.

ويودع الزائر القاعة الأولى بملاحظة أنه تم العثور على أربعة أنماط من الكتابة، هي اللغة العربية الجنوبية، حيث يبدو بوضوح اسم شخص يدعى «وهب» على إحدى المعثورات، واللغة الآرامية، واللغة الرومانية، وكتابة إغريقية على خاتم نادر.

وأبرز ما يراه زائر متحف الشارقة من الآثار في القاعة الثانية مجموعة من الهدايا من سمو حاكم الشارقة، منها عملات عثر عليها في موقع مليحة، يعتقد أن بعضها مضروب في ليون بجنوبي فرنسا وفي روما، وهناك قطعة مضروبة في شمال شرقي باكستان، وهي جميعها من الآثار التي استعيدت من خارج الإمارات، وهناك معثورات خزفية يعتقد أنها مجلوبة من غربي الصين.

وهناك هدايا أخرى من متحف العين تعود إلى الألف الثالث ق.م. بعضها من منطقة أم النار بـ (أبو ظبي) وبعضها الآخر من منطقة الهيلي في العين.

وهناك هدايا من متحف الكويت،

هي قطع أثرية تعود إلى المرحلة الهلنستية.

وتضم القاعة الثالثة عددًا من أهم قطع المتحف، وتعود إلى ١٥٠ عامًا ق.م. حيث يبرز البيت الذي نقل مجسمه من موقع مليحة، بالإضافة إلى الآثار التي عثر عليها، وصور عمليات التنقيب ومعثورات ورشة المعادن من الحديد والنحاس من موقع جبل فايه.

وهناك قطع أثرية من بينها وجه رجل تؤكد عمق صلات المنطقة بالمملكة العربية السعودية في عهود مبكرة من تطورها التاريخي.

ويتوقف الزائر عند مبخرة تعود إلى مكران، على الساحل الآخر للخليج، وجرة مستوردة من اليونان، عثر عليها مدفونة في أحد القبور وكانت مكسورة في الموقع، ويعتقد أنها رممت حوالى عام ٢٠٠ ق.م. وأعيد استخدامها.



القاعة الثانية وتعد القاعة الرئيسية بالمتحف

ومن معثورات الفترة الثالثة تتعدد الآثار، ويتوقف الزائر أمام نموذج لحصن يعد من أكبر حصون مليحة، عثر فيه على جرار عليها كتابة آرامية، ورغم الندرة الشديدة لنماذج صب العملة، فقد عثر في هذا الموقع على قالب لصب العملة، والصورة الموجودة على القالب هي للإسكندر الأكبر مرتديًا جلد أسد، والصورة على الوجه الآخر لزيوس على كرسي وبين يديه جواد، كما عثر كذلك على عملة الإسكندر الأكبر الأصلية.

وكما في كل أرجاء المتحف، هناك في القاعة الرابعة هدية نادرة من سمو حاكم الشارقة للمتحف هي جرة عثر عليها في منطقة شرقان مع ٩٣ قطعة فضية من عملة ماريا تريزا، التي كانت متداولة في المنطقة بالإضافة إلى آثار من موقع مويلح تعود إلى فترات مختلفة بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، وقطع فخارية وإبريق وجرة، عثر عليها في منطقة اليرموك، وهي تعود إلى القرن السادس عشر.

وقرب الباب المفضي إلى خارج المتحف هناك مجموعة جرار تراثية، هي بمثابة حلقة الوصل بين متحف الآثار هذا متحف التراث الذي يجري العمل على إعداده في بيت النابورة.

وعندما تنتهي جولتنا في متحف آثار الشارقة نمضي، وفي سمعنا تتردد كلمات حسين ناصر العبودي المشرف على المتحف ردًا على سؤال عن الطموحات المستقبلية لإدارة المتحف، حيث قال: المتحف هو الخلاصة الصعبة لمركب قوامه المبنى والعرض والمادة العلمية، أما المبنى فنحن نطمح إلى أن يضاف له الكثير مستقبلاً، وأما العرض فنحن حريصون على تطويره حسب أحدث الأساليب العلمية، فهذا هو الجانب الغائب في متاحف عالمنا العربي، وأما المادة فيجب أن نتذكر دائمًا أننا لسنا مهندسين معماريين أو مهندسي (ديكور)، وإنما نحن علماء آثار، همنا الرئيسي القطع الأثرية وما تعكسه من تاريخ ورؤية حضارية، ولابد من إضافة المزيد من المواد من خلال التنقيب بالأساليب العلمية والدراسة والترميم ثم العرض لمد الجسور إلى الجمهور، ونحن نبذل قصارى جهدنا من خلال الاتفاق مع بعثات التنقيب المحلية والأجنبية، ونوفر متطلبات العمل والدراسة وأدوات المختبر للمعالجة. وتبقى الحصيلة هي مكان العرض، وهو المتحف المتخصص الذي ننظر إلى مستقبله بمزيد من الثقة والتفاؤل.



متحف الشارقة ليلا

سُكّري الأحداث

د. جمال محمّد الخطيب

سكرّي الأحداث هو أكثر اضطرابات جهاز الغدد الصمّاء شيوعًا في مرحلة الطفولـة . وتبيّن الدراسات أن التأثيرات السلبية لهذا المرض الناجم عن عجز البنكرياس عن إفراز هرمون الأنسولين بكميات كافية، لا تقتصر على الطفل المصاب فقط ولكنها تمتد لتطال أفراد أسرته أيضا . فلأن السكري يؤثر على العمليات الجسمية الأساسيـة ، ولأن ضبطه يفرض على الطفل وأسرته أداء أدوار عـلاجية غير سهلـة ، فهو غـالبا ما يمثل تحدّيًا خاصًا بالنسبة لهم ولتكيفهم النفسي ـ الاجتماعي .



○ التنظيم الغذائي من أهم حاجات الأطفال المصابين بالسُكّري

فقـد يصبح الطفل المصـاب بـالسكري اعتماديـا وكثيرا مـا يسهم الآباء والمعلمون في تطور هذه الصفة وذلك عبر الحماية الـزائدة للطفل . والسكّـري قـد يُـدْرك من قبل الطفل بـاعتبـاره حالـة تقـود بـالضرورة إلى الضعف أو العجز؛ الأمر الذي يعمل بمثابـة مصـدر للضغـوط النفسيـة الهائلـة .

وبـالنسبـة لـلأسرة فـالسكـري يتضمن نقل المسؤوليـة مبـاشرة من الأطبـاء إليهـا . والعنـايـة اليـوميـة ومتـابعـة الـوضع الصحي للطفل في البيت تتطلب الجهد والوقت . وذلك بدوره يتطلب من الأسرة إعادة تنظيم أنماط الحيـاة لتصبح مـلائمة لتلبيـة الحاجـات الخاصـة وللقيـود التي يفرضها المرض . فالأطفـال المصابون بـالسكـري يحتـاجـون إلى التنظيم الغــذائي ، والحقـن اليــومي بالأنسولين ، وفحص البول ، وضبط نسبـة السكـر في الـدّم . كـذلك فـالسكـري ، شأنـه في ذلك شأن الأمراض المزمنة جميعـا ، قد ينطـوي على الخوف من المستقبل وعلى الشعور بالحاجة إلى الدّعم والمساعدة .

ومن شأن ذلك كلـه أن يـولّـد مشـاعـر القلق لـدى كل من الطفل وأسرتـه . وقد يتـولد لـدى الوالـدين بـوجه خـاص شعور بـالذنب كـون المرض يرتبط بالعوامـل الوراثية . وقد بيّنت بعض الـدراسات أن السكـري قد يؤثر على العلاقات الزوجية .

وغالبا ما يمـر الأطفال المصابون بالسكـري وأسرهم بسلسلة من ردود الفعل والمراحل النفسية التي تشمل في العـادة الصّدمـة ، والنكـران ، والغضـب ، والاكتئـاب ، وأخيرا التكيف . وفيما يلي وصف موجز لردود الفعل هذه :

الصّدمة :

تتضمن الصّـدمـة ردود فعل دفـاعيـة نفسيـة أو جسميـة . وهي تشكل في العادة ردّ الفعل الأول لدى الطفل ووالديه وغالبًا ما يرافقها شعور

مشكلات التكيُّف لدى الطفل والأسرة

بالحيرة وعدم تصديقٍ للأمر الواقع .

النكران :

أما النكران فهو يتضمن عدم اعتراف الطفل والوالدين بالمرض . فهم يبدون كمن فقد الاتصال بالواقع ، أنهم قد يقبلون التشخيص الطبي عقليا ولكنهم يرفضونه عاطفيًا .

الغضب :

وقد يعتري الطفل أو الوالدين الغضب أيضا نتيجة الصعوبات النفسية والجسمية . وقد يوجهون غضبهم نحو الأطباء أو حتى نحو بعضهم بعضا .

الاكتئاب :

كذلك قد يعاني الطفل ووالداه من الاكتئاب النفسي . ويتضمن الاكتئاب التعبير عن الشعور بعدم الحيلة وفقدان الأمل في المستقبل .

التكيف :

وأخيرا ، يصل الطفل ووالداه تدريجيا وبعد المعاناة إلى مرحلة التكيف مع المرض وقبول الأمر الواقع . ويساعدهم في تحقيق ذلك مصادر الدّعم والعلاج المتاحة .

إن مسؤولية مساعدة الطفل المصاب بالسكري وأسرته لا تقتصر على المجتمع الطبي ، ولكنها تشمل أيضا العاملين في الميادين الإنسانية والاجتماعية مثل المرشدين ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والمعلمين وغيرهم .

ولعل أفضل الخدمات وأكثرها فاعلية تلك التي يقوم على تقديمها ومتابعتها وتقويمها فريق متعدد التخصصات . وينبغي على ذلك الفريق أن يراعي الاعتبارات الأساسية التالية :

(١) إن مساعدة الطفل وأسرته تتطلب معرفة طبيعة المرض وإدراك تأثيراته المحتملة على الطفل وعلى العلاقات الأسرية والصحة النفسية .

(٢) إن السكري لدى الأطفال قد لا يؤثر على الوالدين فقط ولكنه قد يؤثر أيضا على الإخوان والأخوات .

(٣) إن هناك تباينًا ملحوظًا في استجابات الأطفال والأُسر لمرض السكري ، ولذلك يجب تقويم وضع الطفل وأسرته فرديا . وذلك يمكن تحقيقه عبر المقابلة ، والتقارير الذاتية ، والملاحظة ، والمقاييس النفسية والاجتماعية المعروفة .

(٤) يجب مساعدة الطفل وأسرته على التعبير عن مشاعر الغضب والقلق والامتعاض . وعلى مقدمي الخدمات الإنسانية والاجتماعية للأطفال وأسرهم الحرص على بناء علاقة تقوم على الثقة والقيام بالأنماط السلوكية التي تعكس اهتمامًا حقيقيًا واستماعًا نشطًا لجميع أفراد الأسرة .

(٥) بما أن صراعات أسرية كثيرا ما تدور حول عدم امتثال الطفل المصاب بالسكري للنظام العلاجي



فإن على الأخصائيين استخدام الأساليب المناسبة لتحقيق هذا الهدف الأساسي . وقد يساعد في ذلك اشتراك الآباء في مجموعات الدعم الأسري ، واستخدام أساليب تعديل السلوك ، وتقديم البرامج الإرشادية للأطفال بهدف مساعدتهم في تطوير إدراك صحيح للمرض والتكيف مع متطلباته .

هل تفكر الحيوانات؟

د. محمد نبهان سويلم

يحرك الأستاذ الباحث أو أحد مساعديه ذراعه بشدة في الهواء، يضع راحة يده على صدره، تنطلق الدلافين غطساً في حوض ماء أُعدَّ إعدادا هندسيا خاصا ليناسب أهداف ما يجري. فجأة دون سابق إنذار تعلو الدلافين فوق سطح الماء، أحدها خلف الآخر تماما، يحسب المشاهد أنهما تشكل طابوراً منتظماً، وفي تزامن جميل يلفظان سويا الماء على هيئة نافورات، ثم يعاودان السباحة والغطس. غلبت على بعض الحاضرين عادة المشاهدة الفنية، صفقوا إعجابا واستحساناً، فردت الدلافين بإصدار أصوات حادة النبرات تنم عن السرور والحبور، وتعود للسباحة والغطس وفق إشارات الدكتور هيرمان، بينما يسجل مساعدوه بيانات تلو بيانات. لم يكن ذلك مشهداً في حلبة سيرك، بل تجربة من



تجارب على الدلافين في أحد مراكز البحوث في هاواي



هل التفاهم بين الحيوانات فطري أم ناتج عن تفكير مسبق؟

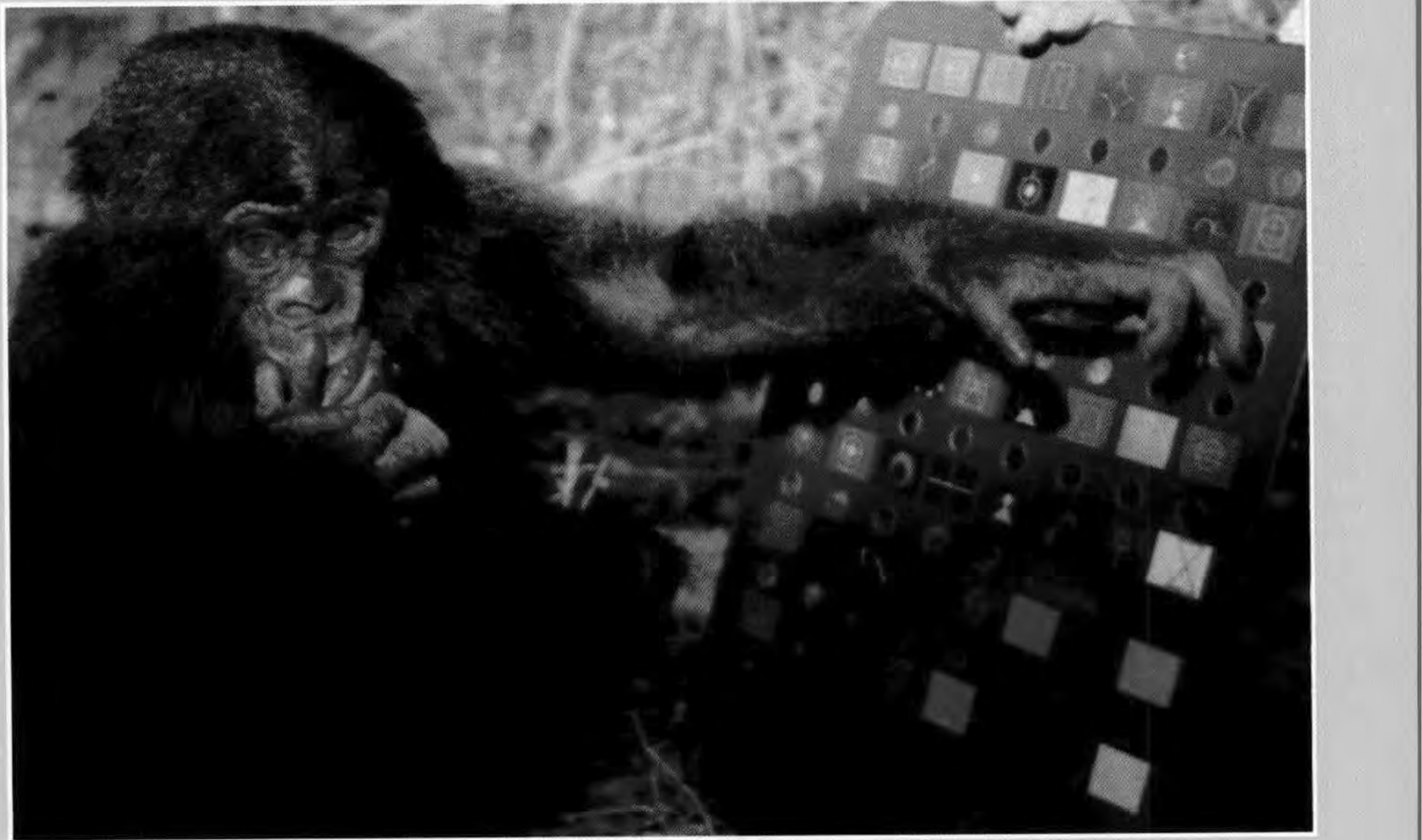
سلسلة تجارب علمية معقدة بدأت منذ عدة سنوات، وينتظر أن تستمر سنوات وسنوات، فالبحث العلمي لم يصل إلى غايته بعد في فهم ذكاء الحيوان.

والمدرسة المائية التي نحن بصددها عبارة عن حوض مائي خاص على مقربة من رصيف صيد الأسماك على شاطىء هاواي بالولايات المتحدة الأمريكية. والتجارب تتم على درفيلين لعدة اعتبارات، أبرزها أنها حيوانات ذات ذكاء في بيئتها الطبيعية، وإجراء التجارب والقياسات العلمية عليها قد يساعد العلماء على سبر أغوار ذكائها ومعرفة أسرارها. وتطفو على السطح عدة أسئلة، هل هذه الحيوانات قادرة على فهم الأوامر الرمزية التي يصدرها العالم ومساعدوه لتأدية هذه الحركات المائية المبهرة، في هذا النسق الإبداعي بحيث يكون أحدها خلف الآخر تماما؟! وهل يحدث بين الدلافين قدر من الاتصال وإبلاغ الرسائل المتبادلة بينها واستقبالها لتنسيق الحركة، سواء في تزامن السباحة أو الظهور فوق الماء أو قذف الماء من الأفواه؟ أم أن ما يحدث ما هو إلا مجرد حركات روتينية تقوم بها الدلافين عادة عندما يكون كل منها على مقربة من الآخر؟

إن الاتصال بين العلماء والدلافين في مدرسة هيرمان بهاواي، كان يتم عن طريق لغة إشارية خاصة تستخدم الأذرع والكفين وانحناء الجسد، وبعض الإشارات تصدر عن طريق أجهزة إلكترونية مركّبة في قعر الحوض، وفي الحوض كُوَر من البلاستيك الملون وعلب خشبية وبالونات طافية وجهاز حاسب إلكتروني أعدّ إعداداً خاصاً ليرصد ويسجل. وكما تستجيب الدلافين للإشارات المرئية، فإنها تستجيب أيضا



لغة إشارية خاصة يتبعها الباحثون للتفاهم مع الدلافين باستخدام الأذرع والكفين وانحناء الجسد

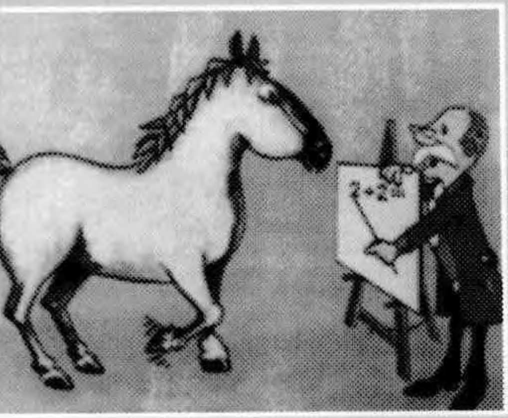


كانزي يستخدام اللوحة ذات الأزرار الملونة

للإشارات الصوتية السابق إعدادها بواسطة الحاسب، كما تستجيب لبعض الأوامر المنطوقة، مما يؤكد ما توصل إليه الدكتور هيرمان بأن الدلافين لها قدر من الذكاء الطبيعي وقدرة على فهم بعض الكلمات والأوامر. ويرى هيرمان أن هذه الدلافين تستخدم اللغة بشكل يختلف جذريا عن استخدام الإنسان لها، كما يؤكد أن الدلافين تدرك معنى الكلمات التي تتعلمها، فإذا سلمنا بأن المعاني والتراكيب اللغوية هي جوهر لغة الإنسان، فإن الدلافين تهتم بذلك أيضا في حدود ما تتعلمه.

والواقع أن تفسيرات الدكتور هيرمان لم تقدر على إقناع علماء السلوكيات الذين يثيرون كثيراً من الشك حول الموضوع كله، ويرون أن النتائج التي تحققت في المدرسة المائية بهاواي لا تتعدى في حقيقتها نوعًا من التقليد والمحاكاة والحفظ وإعادة التقليد دون فهم أو إدراك، ويتزعم هذه المعارضة الدكتور رونالد سكسترمان، الذي يطالب بتحديد مدى قدرة الدلافين على التفكير تفكيراً مجرداً، ويحاول في معمله الخاص بسنتاكروز بكاليفورنيا إثبات وجهة نظره من خلال أبحاث شاقة يجريها على سباع البحر، مؤكداً أن سباع البحر لديها بعض القدرات الإدراكية التي تتطلبها اللغة.

والأبحاث حول ذكاء الحيوانات لا تتوقف مهما كانت المعارضات حيال ما يعرض من نتائج، وهذه إحدى مميزات البحث العلمي الجاد، ففي التجارب التي جرت خلال حقبة السبعينيات زادت حدة المعارضة لدرجة أن العلماء الذين كرسوا حياتهم لعمل أبحاث الذكاء على القرود شعروا أن عملهم لم يعد يجذب الانتباه وأصبح نوعًا من حب الاستطلاع، إلا أن ذلك الشك تحول إلى نوع من التحدي، فقام عدد من العلماء بإعادة اختبار ذكاء الحيوانات مستخدمين اختبارات جديدة ونماذج مبتكرة، هادفين إلى إثبات أن لدى الحيوانات قدرة على الإدراك واكتساب المعرفة، ونتج من جراء هذه البحوث الجديدة فيض من الدراسات والأبحاث، خاصة نتائج الأبحاث التي جرت على القرد «كانزي»، والتي جاءت نهاية لطريق طويل وشاق بدأه عالم وزوجته في مدرسة بحوث اللغات بجامعة ولاية جورجيا



الحصان يتعلم اللغة!

الأمريكية بالاشتراك مع مركز بحوث ياراكس. فقد بدأ العالمان بإجراء بحوثهما على زوج من القرود حاولا تعليمهما لغة رمزية اقتداء بأسلوب الأمهات في تعليم أطفالهن اللغة، ومع ذلك خيب القردان ظنهما، وكاد اليأس أن يتسلل إلى أعماقهما وتهدر سمعتهما العلمية، لولا أن جيء بقرد أفريقي صغير رمادي اللون حاد البصر له سمات الجد والهزل، إنه «كانزي»!

و«كانزي» هذا من فصيلة نادرة، ويبلغ الآن

من العمر أربعة عشر عامًا، أمضى فيها عدة سنوات داخل المدرسة في صحبة أمه، وتفوق عليها في الاستيعاب ونجح في استخدام لوحة عليها أزرار ملونة متصلة بحاسب إلكتروني في التعبير عن حاجاته، كما استطاع في وقت قصير نسبيا تدريب نفسه على استخدام المفاتيح بدرجة مدهشة، وكأنه طفل صغير يتدرب بأسلوب المحاولة والخطأ، والآن يستطيع «كانزي» استخدام ستين رمزًا من رموز اللوحة. حقيقة لم ينجح في تكوين جُمَلٍ ذات معنى، ولم تتعد قدرته قدرة طفل ذي عامين ونصف، وإن كانت لديه القدرة على تذوق الأفلام السينمائية! ولأن «كانزي» لا يستطيع الكلام فهو لا يستطيع تكوين الكلمات، فالقرود ـ كما هو معروف عنها ـ تفتقر إلى التحكم في حبالها الصوتية.

كان «كانزي» يحترم الوقت المخصص للتجارب، واستطاع تعلم معاني كلمات ظل العلماء يكافحون كفاحا مضنيا في سبيل تعليمها لقرود سبقته، وبالفعل تعلم المزج بين رمزين أو أكثر للتعبير عن رغباته. مثلا، إذا أراد مشاهدة فيلم محبب لنفسه فإنه يضغط على الأزرار (نار ـ تلفزيون)، ويقول مدربه: إنه يستوعب بعض معاني الكلمات.

والواقع أن نجاح «كانزي» طرح على ساحة البحث العلمي تساؤلا عن العلاقة بين اللغة والذكاء. ويعتقد العلماء بوجود آلية بيولوجية لدى الحيوانات لتعلّم اللغة، ويختلف الإنسان عن الحيوانات في هذا الصدد لأن قاعدته المعرفية راسخة.

قياس ذكاء الحيوانات

ونمضي مع تجارب العلماء لقياس ذكاء الحيوانات والطيور، ونرصد تجربة أخرى في معامل جامعة أريزونا على ببغاء جميل، تعوّد هذا الطائر على التعليق على كل شيء يراه، فهو يحذّر الضيف في صوت طفولي عذب وينطق لفظ «ساخن» عندما يلمس الضيف فنجان الشاي المقدم له، وإذا لمح الببغاء طبقا فيه أنواع من الفاكهة يعلن عن اختياره لما يفضلّه من فاكهة مثل العنب! وجميعنا يعرف أن الببغاء يستطيع الكلام، لكن الغريب في الأمر أن الدكتورة آرين بيبرج ظلت طوال الخمس عشرة سنة الماضية تعمل مع الببغاء في محاولة الكشف عن قدراته ومدى فهمه لما يردده. ولذلك وضعت خططا علمية شاقة ومرهقة ولم تحقق نجاحًا يذكر، فكل النتائج تشير إلى قدرة الببغاء على التعرف على ألوان اللعب وشكلها والمواد المصنوعة منها، كما يجيب الببغاء على حجم اللعبة كبيرة هي أم صغيرة مقارنة باللعب الأخرى، وإذا أخفق الببغاء في الإجابة الصحيحة على أحد الأسئلة فإنه ينطق بالأسف بعد أن يبدو عليه اليأس بشكل واضح، ثم يردد : يجب أن أذهب! ثم يخفض ريشه ويمضي!



البيغاء يتكلم.. ولكن هل يفهم؟!

وتؤكد الدكتورة صاحبة هذه الأبحاث أن هذه التصرفات دليل على امتلاك الببغاء قدرًا ولو محدودًا من معرفته بمعاني الكلمات.

التجارب كثيرة، واتجاهات البحث متعددة، منها بحوث أثبتت أن رقص النحل ما هو إلا لغة خاصة تتواصل بين أفراد الخلايا، وكان هذا الكشف بفضل العالم الألماني كارل فون فريج ومثابرته.

ومن العلماء من درس الحمام الزاجل وقدرته







وبالنجم هم يهتدون!

على توجيه بوصلته الطبيعية، فإذا بالتجارب المعملية تثبت أن الحمام يتجه برأسه صوب النجوم. وكانت هناك تجارب طريفة تم لأجلها إنشاء سماء صناعية مزودة ومرصعة بالنجوم، ووضع الحمام داخل أقفاص مغطاة بورق أبيض ناصع، وطليت أرجل الحمام بحبر أسود داكن، وأدار حاسب إلكتروني تحريك القبة السماوية الصناعية، وبدأ الحمام الزاجل يهم بالانطلاق وأرجله ترسم خطوطًا لها زوايا مع الأفق، فإذا به يتحرك صوب اتجاه لا يحيد عنه ولا يميد، فهم بالنجم يهتدون!

ويقول لورنس ملني حول قدرة الطيور على تقليد كلام البشر إنها ليست دليلا على ذكاء الطائر. وهناك ما يبرر بأن تعليم الببغاوات الكلام يرجع إلى أن أجهزة الصوت والسمع لديها أبطأ في عملها من نظائرها من الطيور الأخرى، لعل كل ما هنالك أن الأصوات البشرية أشبه بصراخ الببغاء منها للترانيم الموسيقية للطيور المغردة. ومن الجائز أن عقل أي حيوان لا يلتفت إلا لمختارات ضيقة النطاق من بين الأصوات التي تتبناها أذناه، والأصوات التي تعني شيئا بالنسبة له تتوقف على انفعالات وراثية غريزية، وكذلك على قدر معين مما يكتسبه من الخبرة.

وفي جامعة بنسلفانيا أجرى أحد العلماء أبحاثا للكشف عما يمكن للغربان والنوارس تعلمه من الإصغاء إلى نداءات غيرها، وقد تبين له أن للغربان في الولايات المتحدة الأمريكية نغمات مميزة، منها ما يدفع الغربان الأخرى إلى الطيران بعيدا، وآخر للتجمع... إلخ، وكان التسجيل الصوتي لهذه الأصوات يمثل لغة الغربان بوضوح كاف، فإذا سمعته الغربان البرية في إحدى الغابات قامت بالأعمال نفسها، في حين عندما جُرِّبت الأصوات نفسها مع غربان فرنسا لم تستجب للنداءات إطلاقا، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن لكل كائن حي لغته الخاصة به، ولا يفقه البشر مفردات هذه اللغات.

قدرة القرود على التخطيط!

والآن، إذا كانت الحيوانات والطيور لديها بعض قدرة على فهم الرموز اللغوية واستخدامها، فإن السؤال في هذه الحالة: متى وأين استطاعت تطويرها؟ وللإجابة على هذا السؤال عاود العلماء دراستهم على القرود الذين يظهرون قدرة على وضع الخطط وصنع الأدوات، سواء في حياتهم البرية أو أثناء وجودهم في الأسر. وفي إحدى التجارب بجامعة أنديانا شاهد القردُ الباحثَ وهو يضع طعامه المفضل داخل صندوق، ثم أغلقه بمفتاحه ووضع المفتاح في صندوق آخر أتم حزمه بحبل، وكان ذلك بمثابة تحدٍّ للقرد. ومع هذا استطاع حل المشكلة، إذ وجد قطعة من الصخر فأخذ يدقها على الأرض الخرسانية بشدة، وصنع بهذه الطريقة ما يشبه مطواة صغيرة استطاع بها قطع الحبل وإخراج المفتاح وفتح الصندوق المغلق وتناول طعامه المفضل!

ورغم ما أسلفنا عن قصة القرد وطعامه، فإن صناعة الأدوات لا تقدم حتى الآن إجابة شافية كافية مانعة. وقديما كان علماء الفلاسفة موقنون بأن الحيوانات لها قدرة على التفكير، مما يتطلب معاملتها بأنها كائن حي وليس إنسانا آليا من حديد وإلكترونيات.

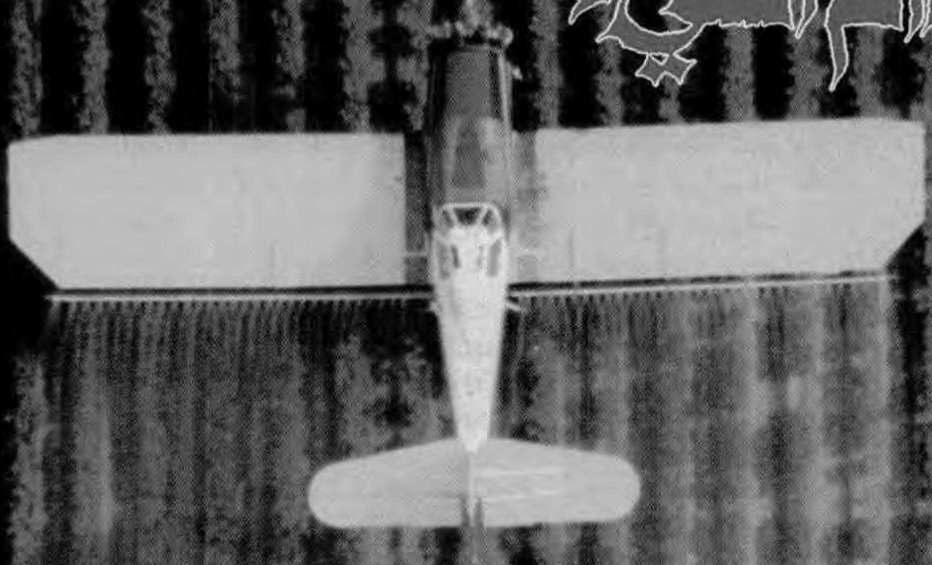
المراجع:

١ـ لورس ملني، الحواس في الإنسان والحيوان.
٢ـ شانون بروونل،مجلة ديسكفر، أكتوبر ١٩٨٥م.
٣ـ دونالد جريفن، مجلة العالم الأمريكي، أكتوبر ١٩٨٤م.
٤ـ مجلة التايم، ٢٩ مارس ١٩٩٣م.

من كتاب العدد

د.م. محمد نبهان سويلم
ـ من مواليد الشرقية بمصر ١٩٤٠م.
ـ دكتوراه في الهندسة من جامعة القاهرة، دبلوم حاسبات إلكترونية من جامعة عين شمس.
ـ أستاذ غير متفرغ لنظم المعلومات بجامعتي القاهرة وعين شمس، وأستاذ الكيمياء بالكلية الفنية العسكرية.
ـ له عدة كتب منشورة آخرها كتاب «نظم تشغيل الحاسب الإلكترونية». كما نشرت له بحوث علمية ومقالات علمية ثقافية في دوريات عربية.

مخاطر الاستخدام السيء للمبيدات الكيماوية



د. خالد علي الرويشدي

[illegible]

وعلاقة الإنسان مع الآفات علاقة قديمة قدم التاريخ إلى حد أنها أصبحت أداة مروعة ومخيفة بالنسبة له. فتذكر المراجع أن الإنسان القديم قد اتخذ من مرض صدأ القمح أحد آلهته يتوسل إليه بالقرابين والصلاة عند اشتداد الإصابة به على محصوله الأساسي. وفي سنة ١٤٤٩م مثلت الديدان البيضاء (وهي من آفات التربة الخطرة) أمام المحكمة الكنسية بلوزان وحكم عليها بالنفي، ولم تمنع محاكمات الحرمان ضد الحشرات والحيوانات من طرف السلطات الدينية إلاَّ في بداية القرن الثامن عشر.

والجراد من أشد الحشرات فتكًا بالمزروعات وأكثرها نهمًا وشراسة، حتى إن تسميتها بالجراد جاءت من "الجرد" أي تحويل المروج والتلال الخضراء إلى "جرود" عارية من أي نبات، والهجرة المنتظمة للجراد واحد من الجراح العشرة لمصر المروية في التوراة.

المبيدات

وللتخلص من شر هذه الآفات، وحماية الضرع والزرع من عبثها، اتبع الإنسان العديد من الطرق والأساليب، أكثرها شيوعًا وانتشارًا استخدام المواد الكيماوية السامة والمعروفة باسم "المبيدات"، تلك التي غزت الأسواق ودخلت كل متجر وكل بيت وكل مزرعة وبكميات هائلة، حيث تفيد المعلومات عن وجود أكثر من ٥٠,٠٠٠ نوع من المبيدات الزراعية. ومع تطور طرق التحليل الكيماوية وتقدم أجهزتها تبين شيئًا فشيئًا أننا نعيش في بيئة ملوثة وأصبح وجود الرواسب الكيماوية السامة فيها أمرًا عاديًا، ووصلت في كثير من الأحيان إلى مستويات خطرة جدًا لا سيما في بلدان العالم الثالث حيث الاستخدام الأعمى والكثيف لهذه السموم.

والمبيدات - بتعريفها - تشكل مادة مهلكة، فلكي تكون فعَّالة لا غنى عن أن تكون سمِّية المفعول، وأصبح من المسلم به أن المبيدات مواد سامة، ليس فقط للكائنات المصممة أصلاً للقضاء عليها، وإنما تترك آثاراً ضارة على جميع الكائنات المحيطة بها، بما في ذلك العمال المنتجون لها والمزارعون الذين يستخدمونها، وأخيراً مستهلك المادة الغذائية المعاملة بها.

ولا تتوقف أخطار هذه المواد السامة عند هذا الحد وإنما تتراكم في التربة والمياه مشكِّلة بذلك خطراً كبيراً كامنًا في المستقبل، ناهيك عن مفعولها المهلك للحيوانات البرية والحشرات النافعة، مما سبب خللاً في التوازن الطبيعي للكائنات الحية، كان من نتائجه وجود مشكلات معقدة في استراتيجية وقاية النبات، ناهيك عن ظهور سلالات من الآفات مقاومة لتأثيرها، بالإضافة إلى تأثيرات غير مرغوبة على النباتات نفسها المراد حمايتها من الآفات. وجاء في تقرير للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال: "من بين المخاطر الكيماوية كافة التي يواجهها الناس من هواء أو ماء أو أغذية ملوثة تشكل المبيدات التهديد الأكثر أهمية".

الخطر الكيماوي

وهكذا نشأ عن سوء استخدام المبيدات العديد من المضار التي تتجاوز الفوائد المرجوة منها، بعد أن كانت أحد معايير تقدم البلدان. وأخذ هذا الموضوع يثير اهتمامًا كبيرًا لدى المختصين بالشؤون الزراعية والصحية والبيئية نظرًا لما يسببه من متاعب. واتخذت هذه المشكلات والمتاعب عمقًا دراماتيكيًا في أغلب البلدان النامية حيث تسود الأمية في الأوساط الزراعية، وهذا ما يقود العلماء إلى الحديث عن مرض جديد في بلدان العالم الثالث وهو "الخطر الكيماوي" يأتي ليضاف إلى المشكلات التقليدية للأمراض المعدية الطفيلية والغذائية.

وحسب إحصائيات منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة "في كل دقيقة يتسمم، على مر الأيام، بالمعدل شخص واحد بالمبيدات في العالم الثالث". وفقًا لتقرير نشرته الأمم المتحدة فإن ثمة مليوني شخص يصابون كل عام بحالات تسمم من المبيدات كما أن عدد الضحايا في البلدان النامية يزيد ١٣ مرة عنه في البلدان الصناعية.

وهذه الأرقام التقديرية لا تشمل أعداد مصابي السرطان أو من أسقطن حملهن أو الأطفال الذين يولدون مشوهين أو ميتين نتيجة سوء استعمال المبيدات، ناهيك عن التشكك في مصداقية الإحصائيات في هذا المجال. وكما قال أحد الأخصائيين: "هذه الآلاف من الضحايا لا تمثِّل في العالم الثالث سوى الجزء المرئي من الكتلة الجليدية". ففي الوقت الذي تؤكد فيه حكومة غواتيمالا مثلاً عن وقوع ١٠٣٩ حالة تسمم في عام ١٩٧٦م ولم تسجل أية حالة موت، فإن الأطباء وزعماء القرى والأشخاص القريبين من الأوساط الطبية يؤكِّدون كلهم أنه وجد العديد من حالات الموت، وأن ما أعطي من قبل الحكومة هو قليل جدًا مقارنة مع الواقع، والحالة نفسها في كوستاريكا وكولومبيا وغيرها، إذ يدفن الكثيرون في المزارع حيث يموتون، وهو ما يطلق عليه العلماء "المناطق القاتمة".

وفي الوقت الذي تم فيه تسجيل ما مجموعه ٣١ حالة موت في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٦م، ليس فقط بسبب المبيدات وإنما أيضا بسبب المخصبات ومواد أخرى مشابهة، فإنه لدى مجموع سكاني أقل بكثير اشتكت سيريلانكا (البلد الآسيوي الصغير ١٦ مليون نسمة) وفي العام نفسه من ٩٦٤ حالة موت، وتشير الدراسات إلى أن هذا البلد يستقبل سنويًا حوالى ١٣٠٠٠ حالة تسمم حادة بالمبيدات في المستشفيات، ويمكن أن نجد بينهم ١٠٠٠ حالة وفاة كل عام، في حين وبسبب أمراض شلل الأطفال والدفتريا و التيتانوس والسعال الديكي قد تم تسجيل ٥٧٢ حالة وفاة. والواقع تمثِّل سيريلانكا أعلى معدَّل في العالم للموت بسبب المبيدات، ويأتي بهذه المواد في هذا البلد في المرتبة الثالثة كسبب للوفاة بعد الأزمات القلبية والحوادث، مع أن الأرقام المأخوذة من المستشفيات قد لاتكون مرآة صادقة للوضع وبخاصة أن عددًا كبيرًا من الضحايا لا يسعى إلى طلب النجدة الرسمية.

وتنتقل هذه المواد الكيماوية السامَّة والغريبة إلى جسم الانسان إما مباشرة أثناء التعامل معها بالتماس أو بالاستنشاق، أو بطريقة غير مباشرة من خلال تناول المنتجات الملوثة بها، كاستهلاك الفواكه والخضروات الطازجة أو منتجاتها وكذلك المنتجات الحيوانية (لحم، بيض، حليب، ومشتقاته...إلخ) ومنتجات الأسماك وغيرها من المواد التي تتعرض بطريقة أو بأخرى للمبيدات.

سمية المبيدات

وتتوقف آلية تأثير المبيدات على العديد من العوامل منها: تركيبها الكيماوي، التركيب الكيماوي ـ الفيزيائي للخلية الحيَّة التي يتفاعل معها المبيد وغير ذلك. ويكون تأثير المبيدات موضعيًا أو عامًا. وتتفاوت المبيدات في درجة سميتها ودرجة تأثيرها وكذلك في مدى ثباتها في البيئة إلى جانب تفاوتها في ميكانيكية تأثيراتها السمية على الإنسان.

وتعج المراجع مع الأسف بالعديد من حالات تسمم المواد الغذائية (كالطحين



نشر الوعي بين المزارعين مع ترشيد استخدام المبيدات يقللان من مخاطرها

والخبز والخضروات وغيرها) بالمبيدات، والتي نتجت عن إساءة استخدامها أو الإهمال في شحنها ونقلها، مثل ما حصل في الدوحة (قطر) وفي الهفوف (السعودية) في صيف ١٩٦٧م، فقد تم خلال ثلاثة أيام نقل ٦٩١ شخصًا إلى المستشفى بالدوحة حيث ظهرت عليهم أعراض حادة تمثّلت في آلام بطنية وغثيان وتقيوء وتشنج، وبعد ١٥ يوما تلت لوحظت مئات من حالات التسمم في الهفوف وسجل ما مجموعه ٢٤ حالة وفاة. وبعد التحقيق تبيّن أن الباخرتين اللتين نقلتا الدقيق قد شملت حمولتها إضافة إلى الدقيق مبيد "الأندرين" الذي كان موضوعا فوق أكياس الدقيق، وبعض حاوياته ذات حالة سيئة بحيث اندلقت محتوياتها. ويعتبر مبيد "الأندرين" من أكثر المبيدات الكلورية سمّية، وهو يماثل في سمّيته "حمض السيانوهيدريك" أو "أوكسيد الزرنيخ". وثمة حوادث مماثلة حصلت في العديد من بلدان العالم الثالث: اختلاط الدقيق بمبيد التوكسافين في مصر (واكتشاف ذلك لحسن الحظ قبل استهلاك الدقيق). وفي الهند وقعت كارثة في عام ١٩٥٨م بسب تلوث المواد الغذائية بالباراثيون، وكذلك الحال في سنغافورا والمكسيك، وكانت النتيجة في هذا البلد الأخير ١٦ حالة وفاة و٥٥٩ حالة تسمم في عام ١٩٦٧م، وفي العام نفسه مات ٦٣ شخصًا في كولومبيا بسبب تلوث الدقيق أيضا بالباراثيون خلال النقل.

وهذه الحالات السمية الناجمة عن الإهمال في عمليات التعبئة والشحن والنقل والتفريغ يمكن تلافيها بفرض إجراءات وقيود صارمة على الشركات المنتجة حتى تحسن تعبئة منتجاتها من المبيدات، بحيث تتحمل ظروف عمليات الشحن والنقل والتفريغ دون أن يتسرب منها شيء يلحق الضرر بحياة الإنسان، وتسري تلك القيود والعقوبات على شركات الشحن والنقل والتفريغ حتى تلتزم باتخاذ احتياطات السلامة الواجبة حين قيامها بشحن هذه المبيدات ونقلها وتفريغها، وننوّه بأن تلك الاحتياطات لابد أن تتبع عند تعبئة جميع المواد الكيماوية وشحنها ونقلها وتفريغها من أدوية وأسمدة وغيرها من الصناعات الكيماوية التي لا غنى للإنسان عنها، والتي تكون في الوقت نفسه شديدة الضرر إذا ما أسيء التعامل معها.



في سيريلانكا أعلى معدل للموت في العالم بسبب المبيدات

حوادث بالجملة

أضافة إلى ذلك فإن العديد من الحوادث قد نجمت عن تغذّي الأهالي بالبذار المعامل بالمبيدات، ففي أندونيسيا، وعلى أثر سوء الإنتاج، تناول الأهالي الجياع الرز المعامل أساسا بمبيد القوارض bro-difacoum والمعد لمكافحة هذه الآفات، وكان ذلك في عام ١٩٨٣م، وكانت النتيجة مرض الناس كافة وموت ١٨ شخصا، وتشير الدراسات إلى أن هذا المبيد قد أدى إلى موت ٥٢ شخصا ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٣م. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المبيد يباع في إنجلترا على شكل حبيبات في حين أنه يباع على شكل سائل في أندونيسيا وهذا يزيد كثيراً من خطورته. وفي الهند تسمم ٢٧٠ قرويًا بسبب تغذّيهم بالقمح المعامل بمبيد كلوري عضوي سام وهو الـ BHC ، ووقعت الحادثة نفسها ما بين ١٩٥٥ - ١٩٦١م في تركيا وكانت النتيجة موت عدد يتراوح ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ شخص. والجدير بالذكر أنه بعد ثلاثين عامًا في يونيو حزيران ١٩٨٥م عقد مؤتمر دولي حول هذا المبيد في مدينة ليون بفرنسا بمبادرة من الوكالة الدولية لأبحاث السرطان التابعة لمنظمة الصحة العالمية، وتبيّن من خلال هذا المؤتمر أن الأعراض المتكوّنة لدى هؤلاء الضحايا التعساء هي عبارة عن مرض جديد يعرف حاليًا تحت اسم البرفيرية التركية PORPHYRIA TURCICA الذي يتميز بأعراض سريرية رهيبة يسميه الأهالي بمرض القردة.

وفي العراق وقعت، في عام ١٩٧٢م، كارثة رهيبة أصابت تقريبًا أنحاء البلاد كافة، وكانت أيضا بسبب استهلاك بذار قمح معامل بمبيد فطري زئبقي، أودت بحياة ٤٥٩ شخصًا، إضافة إلى عواقب وخيمة لدى الذين نجوا من الموت. وسبقت هذه الكارثة كوارث عديدة بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠م أصابت آلاف البؤساء، ويبدو أن مجموع الضحايا قد تجاوز الستة آلاف شخص. والجدير بالذكر أن مأساة أخرى مماثلة قد وقعت في الباكستان.

خطورة الاستيراد

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدم ذكر أسماء العديد من بلدان العالم الثالث ضمن هذا السياق لا يعني سلامتها من مشكلات المبيدات وويلاتها، وإنما لصعوبة الحصول على معطيات. فمثلا بلاد كأفريقيا الفرنسية، شرقي أفريقيا، أنغولا، مدغشقر، المغرب، الجزائر، ليبيا، حيث تزرع العديد من المحاصيل ذات الإيراد وتعاني من الكثير من آلام الحشرات الناقلة للأمراض، هذه البلدان وغيرها لابد أنها تشهد الكثير من حالات التسمم بالمبيدات، وبخاصة إذا ما علمنا مثلاً أن الجزائر قد استوردت ٤٫٢٧٤ طنًا من المبيدات من بريطانيا، والمغرب ٢٢٨ طنًا، وليبيا التي يغلب التصحر على أراضيها قد استوردت ٧٧٢٨ طنًا، وهذا ما يجعلها الزبون الرابع (من حيث الوزن) لبريطانيا تمامًا بعد نيجيريا وفرنسا وجمهورية أيرلندا، وقد تكون هذه الكميات جزءاً من كلٍ يتم استيراده من بلدان أخرى. ومع ذلك يمكن أن نعثر على بعض المعطيات المحلية، فمثلا نقرأ في أطروحة الدكتوراة للدكتور زيدان أن مستشفى الخطار في الجزائر قد عالج ٣٣٣٢ حالة تسمم حادة خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٣م. وتشير بعض المصادر إلى وقوع ١٢٩ حالة تسمم بالمبيدات الفوسفورية في عام ١٩٦٩م في الدار البيضاء بالمغرب. وفي دراسة أخرى لأحد الباحثين الأردنيين نقرأ أن نسبة الحوادث بالمبيدات هي ١٦٫٣، ١٣٫٥، ٨٫٥ لكل مائة ألف نسمة في السنة في كل من سورية ورومانيا والأردن على التوالي، ونسبة الوفيات بالمبيدات هي ٢٥٫٦، ١٤٫٤، ٧ لكل

مليـون نسـمـة في السنة وفي البلدان نفسها.

ومن الصـعب جـدًا سـرد آلاف الضحايا التي أحدثتها وتحدثها، ويبدو مع الأسف أنها ستحدثها المبيدات كل يوم بل كل ساعة وكل دقيقة في مجتمعات العـالم الثـالث، تلك الشـعوب غـيـر المحظوظة! ويكـفي أن نشير هنـا إلى مـا أوردته المراجع حـول مـا سـبـبـه مـبـيـد "البـاراثيـون"، وهو مـبـيـد عـضـوي فوسـفوري شـديد السمّيـة، إذ يعتبر هذا المبيد السبب في مئات حالات التسمم والموت سنويًا، وهو الذي سبب مع مبيد "الأندرين" ظهـور مـرض جـديد غـيـر معروف في الهند في عام ١٩٧٥م.

وفي الوقت الذي نلـحظ فـيـه أن الاستهلاك اليومي لبقايا المبيدات يصل في المتوسط لدى السكان الكنديين إلى ما بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ مرة أقل من المقـادير اليومية التي يمكن تحملها، والحال كذلك في ألمانيا الغربية (سابقـا) وسويسرا، فـقد أثبتت البـحـوث أن حليب الأمـهـات المرضـعـات يحتـوي في منطقـة الجـزيرة بالسـودان، نتـيـجـة التـلوث العـام، على متـبقـيات من الـ د.د.ت بنسبة تـساوي خمسة أضعاف الحد الأقصى المسموح به في حليب الأبقار من قبل منظمـة الصحة العـالميـة، ولا غرابـة في ذلك إذا علمنا أن السـودان يسـتعـمـل ١٥مليـون كغ من المبيـدات (مـادة فـعـالة) سنويًا بشكل وسطي وهذا يعني ٧٥٠غ لكل مواطن، والحقيقة أن السودان هو الزبون الثـاني، بعد الاتحاد السوفيتي السابق، لشـركة RHONE-POULENC الفـرنسـيـة والمشـهـورة بالـصناعـات الـكيـمـاوية الزراعية.

ومن المعلوم أن مادة الـ (د.د.ت) من المبيدات المحرم تداولها دوليًا، نظرًا لتميزه بالثبات وعدم التملل بسهولة مما يقلل من فائدته ومفعوله كمبيد، وإن كان ذا خطر على البـيـئـة وحيـاة الإنسـان. وهنالك مبيدات أخرى غيرها تتداول في العالم النامي رغم تحـذيرات منظمـة الصحـة العالميـة وغيـرها من المنظمـات الصحية والبيئـة في العـالم من خطورة تداولهـا، وقـد تكون دول العالم الثـالث مـدفوعـة إلى استـعـمـال تلك المبيـدات لرخص أسـعارها، ولذا فإن التوعـية بخطورتهـا وشدة مضارها على الإنسـان تعد واجبة ومهمة لابد أن تقـوم بها المنظمات المحلية المعنية بصحة البيئة، لأنها بالطبع ستكون أكـثـر قـدرة عـلى الإقناع من خـلال التصاقـها بمجتمعـاتها ومعرفتـها أساليب الاتصـال والإقنـاع الكفـيـلة بتحـقـيق التجاوب والأثر الإيجابي في هذا المجال.

وهنا لابد من السعي الجـاد نحو تحريم استـخـدام المبـيـدات المحـرمـة من قـبل المنظمات الدوليـة المهتـمة، ولابد في هذا المجـال من التحـذير من تحـايل الشركـات العـالمـيـة في إيصـال المبـيـد حـيث تشـاء وترغب، والأمـثـلة أكـثـر من أن تعـد وتحصى، فـحسب شـبكة عمل المبيدات PAN فإن ما لايقل عن ١٤٠٠٠شخص يموتون سنويًا في العالم الثـالث تحت تأثير ١٢ مـبـيـدًا مـحظـورًا، أو أنهـا تخـضع لإجـراءات شـديدة في البـلدان المتطورة. ولا تزال هذه المبيدات تبـاع وتسـتخـدم على نطاق واسع. ولا يتـوقف الأمـر عند هذا الحد وإنمـا تلجأ الشـركات الأجنبية إلى صنع بعض المبيدات جزئيًا أو كليًا في بلدان العـالم الثـالث مـسـتـغـلة بذلك انخفاض التكلفة من جهة (مواد أولية، يد عـامـلة، ضـرائـب...) وإمكان تصـنيع مبيدات منع تصنيعها في المركز الأساسي للشـركة. وهذا بحـد ذاته مصـدر أخطار كـبيـرة ابتـداء من العمـال القـائمين على العمل في مثل هذه المـصانع وحتى أولئك الذين سيـتعـاملون مع المبـيـد في النقل والتـوزيع والاستـعمـال في الحقـول ومن بعـدهم المسـتـهلك، ولعـل نكـبـة بوبال (المدينة الهندية) ليست عنا ببعيد.

ترشيد استخدام المبيدات

وهكذا لابـد من نشـر الـوعي لدى المزارعين الذين ينتـمـون إلى طبقـة تغلب عليها الأميّة، ولنعلم أن استخدام المبيدات ليس بالمظهر الحضـاري الذي يعتز به، مع الأسف، الكثـير من مـزارعينا، وإنما هو دعاية التجار المبـذلين وجهل المستهلكين، والمبـيـدات ليست التـرياق الذي يشـفي أمراض محاصيلنا ويبـعد عنها شر الآفات دائمـا، وإنما هنـاك طرق ووسـائل أخـرى وجدت في الطبيعة منذ الأزل. فلنسعَ إلى ترشيـد استخدام المبيدات الزراعيـة ولنعد إلى الطبيعـة ولنتفهم ما منحـها الخالق من أسلحـة بيولوجيـة فعّالة أهملهـا الإنسان متـفـاخـرًا بالمدنية ليكـتـشـف أنه كـان "جـهـولاً" وأنه "مـا أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء".

لقد أصبح أمرًا مسلمًا به علميًا وعمليًا أن استـخـدام المزيد من المبيـدات لا يعني بالضـرورة التـقـليل من أضـرار الآفـات حاضرًا أو مستـقبلاً، ناهيك عما يمكن أن تحدثه المبيـدات من تخريب في البيـئـة يصعب جـدا تقدير تكاليفه، وعلى ذلك لابد من الاتجاه نحـو طرق رديفة أو بديلة للوقاية من الآفـات ضمن اسـتراتيجيـة ما نسـمـيـه بـالمكافـحـة المتكاملـة، وتقنين استعمال المبيدات بما يقلل من معناها على الإنسان والبيئة، وهو مـاتسعى إليه جاهدة البلدان المتقدمة وقد قـطعت شوطا كبيرا. ولحسـن الحظ فـإن عـددًا لا بأس به من بلدان العالم الـثالث قد اتجـهت نحو هذه الاسـتراتيـجية. تُرى، مـا الذي يمكن أن يمنعنا من ذلك، هل هو الجهل أم الفـقر أم الاثنان معا؟ اللهم إنا لا نسألك رد القضاء وإنما نسألك اللطف فيه.



نبات مصاب نتيجة تعرضه للمبيدات

المراجع

للمـزيد من المعلومـات حـول هذا الموضـوع يمكن الرجوع إلى أحد المراجع التالية:

-دائرة السـمـوم "المبـيـدات والناس في عـالم جائع"، تأليف ديرام وشابيرو، ترجمة محمد عبد العزيز. إصدار اتحاد المهندسين الزراعيين العرب، دمشق ١٩٨٢م.

-المكافحة الحيوية والمتكاملة (بجزءيه النظري والعملي)، خالد رويشدي. من منشورات جامعة دمشق ١٨٦، ١٩٨٧م.

-المبيدات والعالم الثالث، محمد العربي بوقرة، خالد رويشدي. مجلة المهندس الزراعي العربي.

-التأثيرات الثانوية للمبيدات الزراعية وحتمية الاتجاه نحو طرق بديلة لوقاية النبات في الوطن العربي، خالد رويشدي. نشرة فنية رقم ٢، مركز الإرشاد الزراعي، كلية الزراعة - جامعة الملك سعود بالرياض.

-وقاية النبات وحماية البيئة، خالد رويشدي. سلسلة قضايا بيئية، جمعية حماية البيئة الكويتية.

الرقص على الطين

قصة قصيرة

حسني سيد لبيب



خلع عوض الله جلبابه، واكتفى (بفانلته) ذات الأكمام، وسرواله. فوق (الفانلة) صديري مقلم، اشتراه من سنتين من سوق القرية. شمر كُمَّ (الفانلة) وخرج إلى عتبة الدار، شاخصا ببصره إلى الطين وبركة الماء. يبدأ في تسوية الطريق. يصلح ما أفسده المطر. .

زجرته زوجته، مؤنبة إياه. أتاه صوتها المحشرج :

ـ يا رجل. أنت دائما تمرمط نفسك في الطين . . في الغيط، وفي الشارع . .

رمقها بعينيه، معتادًا مثل هذه الكلمات. لم يُعِرْها التفاتا، بينا تتحسر على عافيتها المستهلكة في الطبخ والغسل والكنس. ولما وجدت زجرها إياه بلا فائدة، قالت تنصحه :

ـ طيب . . انده للحاج سلمان يساعدك.

دخلت مسرعة. تأتي بالشال تلفه حول رأسها، اتقاء للبرد . . لكن صدرها ورقبتها مكشوفتان، ويبدو أن ذلك يصيبها بنزلات البرد وحشرجة الصوت المزمنة. تجاوزته مهرولة إلى دار الحاج سلمان، فأمسك بيدها، شدها بقوة إلى داخل الدار. ثم تناول فأسه مواصلا إزاحة أكوام الطين من أمام عتبة داره ودار الحاج سلمان. بينا ترمقه زوجته في حسرة، والولدان جالسان على العتبة، لا يجرؤان على اللعب، بعدما ألزمهما بالابتعاد عن الوحل.

خرج الحاج سلمان بقفطانه القطني المقلم. حيّا عوض الله، مثنيًا عليه، داعيًا له بدوام الصحة. أما زوجته، فتتحسر على حاله. يدأب على كل عمل شاق، طواعية، دون تكليف من أحد. تذكر الحفرة التي نسيها عمال الكهرباء ـ حين أصلحوا كابلا أرضيا ـ ولم يردموها، فانبرى يجمع التراب عدة مرات في (الغَلَق)، يردم به الحفرة. وعكف على ذلك سحابة النهار حتى آذنت الشمس بالمغيب، فآوى إلى فراشه منهكًا.

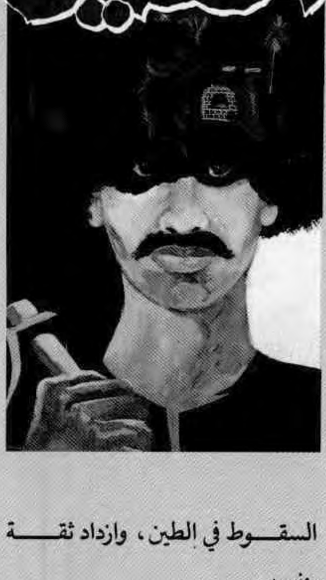
ذات مرة زعقت مغتاظة :

ـ يا رجل . . أنت عيشتك كلها تراب وطين !

يطيب خاطرها ويغتسل. يجلس شاردًا في ملكوته. وكثيرا ما تترى عليه ذكريات أليمة. ذلك أنه خاض رحلة مشقات يحتفظ بها لنفسه، لا يكشفها لأحد، ويكتفي بعبارات يرددها كثيرا، مثل : سبحان الله . . أستغفر الله . . شدة وتزول . . حكمة ربنا . . وعشرات أخرى مشابهة، لا يشكو حاله لأحد. ويجد في عمله ـ أيًّا كان ـ تمضية وقت، ولا ينتظر المقابل من أحد. ودائما تلقي زوجته اللوم عليه لتضييعه الوقت في خدمة الناس، ولا أحد يخدمه، فقط توجَّه إليه كلمات الشكر والثناء، بينا حالتهم المعيشية لا تسر عدوا ولا حبيبا. فالرزق قليل. وتذكّره دائما برجال خفيفي الحركة، ييسر الله أحوالهم.

جلس على العتبة يستريح ويشرب الشاي. وانصرفت عنه لإعداد (لقمة للغداء) على حد قوله لها. واستغرق الولدان في اللعب. وانشغل هو عما حوله، إذ تذكر حادثة، ما زالت ماثلة في الخاطر.

الرقص على الطين



أيـام زمــان . . راحت . . ابن الثالثة عشرة . . يمشي في درب القرية الطـويل الضيق . الأرض موحلــة بعـدما أمطـرت السماء بغزارة . كـان يهوى السير في الوحل . . يدوسه . . يشق طريقا . . يراهن نفسه على أنـه لن يتزحلق . . (ملاحظـة هامشية : عـاش عــوض الله منـذ صبـاه بـلا أصدقـاء) . تنتقل قدمـاه من موطئ لآخــر، بصعوبـة بـالغة . . يتعـرج سيره . . يجد متعة في المشي المتعرج . أحيانا يضع قدمـه الحافية بكاملها، وأخرى يطأ بأصابع القدم . ولما يحس أنـه أتقن السير، دون أن يتــزحلق، يسرع . . متحديا الوحل والطين . . وبعد أن كان حَذِرًا، صار مغامرًا . . تذكر أنه كاد يفقد توازنـه مرة، فأتى بحركـات بهلـوانيـة حتى يتفـادى السقــوط في الطين، وازداد ثقــــة بنفسه .

رشف الشــــاي، في راحــــة وانتعـاش، متأمـلا تل الطين الـذي كوّمه أمامه .

ذاعت شهرته في قريته وفي القرى المجاورة . كأمهـر بنّاء لفـرن الخبيز. كل ست تـريد أن تبنـي فرنـا خلف الـــدار أو في الخـــلاء، تتجـــه إلى عـوض الله . فيشمـر عن سـاعـديـه ويجمع مـادة البنـاء من طين الأرض وقليل من الطـــوب، و (الصـــاج) الـدائريـــة، ويصنع (كــوة) الفـرن بطـريقـة تـريح السيـدات في صنع الخبز. ويرضى بنصيبه من أجر زهيد لا يوازي تعب النهار.

يبتسم في زهـــو، وهــو يــذكـر صـابحـــة التي أتت من القـــريـــة المجـاورة، راكبـة حمارهـا . قطعت كيلـومترات عـديـدة، مخترقـة زمـام قـــريتهـــا، وســـارت على الطـــريق الإسفلتي طويلا، ثم عـرجت جانبا على طـريق تـرابي، تبـدأ بـه حـدود القريـة التي يعيش فيهـا عوض الله . سارت في الطريق الطويلة، المحاذية لترعـة صغيرة طـويلـة، تشق وسط القـريـة مـن أولها لآخـرهـا، وعبرت صابحة مقـابر القرية، قـارئة الفاتحة على أرواح الأموات . وحين تبـاطأت خطـى الحمار الهزيل مـن طـــــول المسافـة، لكـزته بجنبـه، فأسرع من خطوه قليلا، ثـم عاد سيرته الأولى . سألت عن دار عـوض الله . ومـا هي إلا خطـوات حتـى وصلت . التقت بزوجته عزيزة . جلست تتسامر معها لحين عــودتـه مـن الغيط . انضمت إليهما زكية زوجة الحاج سلمان، التي استرسلت تمدح عوض الله ومهارته . احتفت الاثنتان بالضيفة، واندهشتا حين تكلمت، تطلـب عـــوض الله ليهـدم فـرنها، ويبنيـه من جـديـد ! فخبيز الفرن لا يعجبها . . تحرق ناره «العيش» أو تتركه نيئًــا . وما سمعته عن مهارة عوض الله، جعلها تعجل ببناء فرن جديد، وهي مستعدة لدفع ما يريده من أجـر.

رجع من الغيط عصرًا . هـــمّ أن يذهب معها، فنهرته عزيزة . الوقت غير مناسب، والأفضل بـدء العمل من أول النهار. استـأذنت الضيفـة، وانصرفت بعـدهـــا زكيـة . انفـردت عزيزة بزوجها تؤنبه على لهفته . .

ـ يــا رجــل . . . أنت رخّصت نفسك . . أم أن الست صـــابحـــة أعجبتك ؟

استنكر كلامها . .

ـ يا وليّة اعقلـي، وبطّلي شغـل الستات .

مصمصت شفتيها قائلة :

ـ أصل صابحة حلوة حبتين .

ـ يا عزيزة . . صابحة زوجة . . ولها أولاد . .

ـ لكن زوجها مات . .

ضحك عـــوض الله، نحيـــل القــوام :

ـ وعرفتِ أصلها وفصلها، هكذا من أول قعدة !

اختلى بنفسه، ساخرًا من حاله، فلم يفكـر في جمال صـابحـة، ولـم يشغل باله بما إذا كانت أرملة أم لا.

تـوجـه في اليــوم التـالي إلى بيت صابحة، اصطحبته عـزيزة وولداه، في زيـارة وديـة لـــم تخلُ من غـرض واضح لعـوض الله، فـاعتبر عزيـزة حارسا مصاحبا لـه . صارحها القول متضـاحكا فـاغتـاظت . لكنها لــم تَنفِ، بل أكدت مخاوفها . .

ـ يعني أتركك لوحدك !

لـم يكن مطمعا لفتاة أو سيدة .

مشغول دائما بعمله. يبدو منهكًا على الـدوام. وإن عابت عليه أنـه يتعب نفسـه كثيرًا دون مقـابـل، ويـرضى بأحط الأعمال وأصعبها.

أنهى هدم الفرن وبنى غيره، بينما انقلب الحال بعـزيـزة التي سعـدت بمجالسـة صابحة. انـدمجت معها، وطاب لها الحديث. أعجبت بنظـافة الدار ونظامها، فأكلتها الغيرة، حتى تمنت أن تنهي الزيارة الودية سريعا، وتـرجع إلى دارهـا تقلبهـا رأسـا على عقب. ذلـك أنها أحست بـإهمالها، وراودتها أفكـار بسيطـة لا تكلفهـا شيئًا.

انصرفـوا قبيل غـروب الشمس، سعداء بكرم الضيافة، ووجبة الغداء الشهيـة. وفي رحلـة العـودة تغيرت عزيزة عن ذي قبل، تحدثت إليه بنبرة هادئة.. سعـد، وإن انتابتـه الحيرة لتغير الحال من السخط إلى الـرضا. وأيقن أن المرأة لا يغير من طبـاعهـا سوى امرأة مثلها.

عاد يفكـر في الطين المكوم أمـام عتبة الدار. فقد أفسح طريقا للناس والماشية، دون أن تزل قدم في الوحل، أو يتزحلق أحد.. مهّد الطريق.. لكن صبيـة القـريـة، بـدأوا يعبثـون ويبنـون بيـوتـا من طين، وتتسخ جلابيبهـم. أخـذت نسوة القـريـة ينهـرن أولادهــن، ولا حيــاة لمن تنادي، فقد استهـوى الصغار اللهو والعبث، وألقت كل واحــدة اللـوم على عـوض الله. يعني كـان لازمـا... ولـم يسلـم مـن ألسنتهن الجارحـة المازحة الساخطة في آن! وما إن تصل عزيزة عباراتهن حتى تهتاج وتحتد على عوض الله.

- هذا جزاؤك.. لأنك ترخص نفسك، وتتبهدل في الطين.

اصطـدمت بـواحــدة منهن. مشـادة كـلاميــة، وأقـوال لاذعـة. تجمهـرت سيدات قليـلات، يعملن على إنهاء الخناقة، منهم زوجة الحاج سلمان. انهارت عزيـزة. أحست أن زكيـة تشفق عليها، وتشمت فيهـا. انسحبت مكسورة الخاطـر، وعادت إلى بيتها تسب زوجها الذي عرضها للبهدلـة وتلعنه. وما خسرته مع نسوة القرية، عوضته مع زوجها، فانفلت لسـانها بعبـارات جارحـة، ونـدبت حظهـا الـذي أوقعهــا في العيش مع رجل يمتهن نفسه.

تراشقا بالكلمات الحادة المؤنبة. امتـد المسـاء بهم، وعــزيـزة مقطبـة الجبين، لـم تنفرج شفتاها عن بسمة ارتيـاح، ولــم تبن عينـاهـا بصيص ضوء لاتفاق وتفاهم. أراح عوض الله نفسـه، وأعلن اعتـزامـه بـدء حيـاة جديـدة، فرحت عزيـزة. كادت أن تطلق (زغـرودة). وما هي إلا لحظات قصيرة لـم تدم طويـلا، فقد تذكرت وعـوده السابقـة. وفي كل مـرة يعلن بـدء حياة جـديـدة، وتـركه أوحـال الطريق! أكدت عزيزة:

- ولا تَبْـنِ أفرانا جديدة ؟!

- حتى هذه ؟!

- نعـم.

انتظرت طويلا، تتفرس ملامحه، حتى أومأ بالإيجاب، وطيف صـابحة في مخيلته.

صـالحهـا في ليلـة شحيحـة من الـود، فتبـدلـت حـالها. سهـرت في الهزيع الأخير من الليل، تعيد ترتيب بيتهـا، تضفي عليه لمسة جمال، وفي بالها صـورة لبيت صابحـة. شمرت عن ســاعــديها في منتصف الليل، وأخذت تغسل وتكنس وتمسح، كأن عرسا سيقام في بيتها. وعجب عوض الله للهمـة العاليـة.. كركب معهـا وساعدها.. واكتشف أن عتبة داره مكسورة، ولما همّ بإصـلاحها، نهرته مندهشة:

تمد يدك في الطين؟ من جديد يا عوض الله!

- حـاول إقنـاعهــا. لكنـه آثـر السلامـة لمـا هي فيه من تـوتر. أسلم جسـده المنهوك للنوم، يستيقظ على أذان المؤذن فجـرا. تسلل ليتــوضأ، وصلى الفجر. انتهـز فرصـة نومهـا، وذهب يصلح العتبة. عجن الطين، وأتى بقــوالب الطـوب، ورصهــا، وسـوّى السطح بالطين وتـركـه حتى يجف. وفيما هــو جـالس، مــرَّ في الطريق إمـام مسجد القريـة، وشكا من أكـوام الطين التي تكــاد تســد مـدخل المسجـد، فخف سريعـا إلى هناك، وأزال الأكوام الطينية بمهارة. تطـوع شخصان وسـاعداه. ومـا إن أشرق نور الصبح حتى نظف مدخل المسجد، واستعد لاستقبال المصلين.

عـاد إلى بيتـه بثيـاب متسخـة، ووجـــه متــرب. وضـع الفأس في مكانــــه، وتسلل ليغتسل، دون أن تـراه! كـانت تـراقبـه من بعيـد، في يأس، ولـم تنبس بكلمة واحدة.

ارتمت على الفـراش باكيـة. ولج باب الحجرة، وهو حائر. أيجرؤ على الكـلام؟ اقترب منهــا يـربت على ظهرها قائلا في مودة:

- أصلحتُ عتبة الدار.

ولمـا لـم يصله صوتها، أكمل:

- خـذي بالـك، حتـى تجـف تماما.

خف النحيب. صمتت. جـال بها خـاطـر، فهدأت تمامـا. كلماتـه حانيـة. زوجها حـريص على أشياء وإن بدت تافهة، فهي مهمة بالنسبة لـه، حقًّا هي مهمـة، وإن لـم تكن كـذلك، فلماذا تشغلـــه، وينهض طـواعيـة لتنفيـذهـا؟ تحول مفـاجئ أدخل على عزيـزة الهدوء والسكينة. قد أحبت رجلها. الآن نبت الحب في طين خصبة. أواه يـا عزيـزة. الطين مـرة أخـــرى! الآن نبــت الحب في قلبك.. رقّ قلبك.. فقـــد ظُلِمَ منكِ كثيرا، ومن أهل القريـة. لكنه سيفلت من هـذا العش، ويطير.. لتخطف طيرك صــابحـة. الحجـة عنـدهـا أنها تهدم الفـرن وتبني غيره. وبُكره تنده لـه ليصلح الفرن.. ثم.. آه من ثم.. يــذهب طيرهـا ولا يعود.

انتـابتها حسرة، كمـن لدغتهـا عقرب. انتفضت.

إنـه يستحق منهـا الكثير. أواه يا قلب.. أيها المتمــرد في الضلـــوع. وظلت تـــداعبهـــا كلمات الحب، وتغازل قلبهـا.. فَلآنَ.. لآنَ كثيرا.. بينما عـــوض الله واقـف أمـــام السرير، يـرقب عـزيزة الـراقدة، ولا تلتفت إليـه. أولته ظهرهـا، وأخفت وجهها بذراعيها.

ولــم يشعـر إلا ويديـه تميطـان ذراعيها، فبدا لـه وجه ضحوك يشع حبًّا وتجـاوبًا.





يَسرّ إدارة العلاقات العَامة بأرامكو السعوديَّة أن تعلنَ عَن إجرَاء **مُسَابقتها السنويَّة الخامسة عَشرة لرسُوم الأطفال**، إسهَامًا منهَا في تشجيع القدرَات وَالموَاهب الفنيَّة لدَى البَنين وَالبنات في المَملكة العَربيَّة السعُوديَّة.

ملاحظة هامة

يُرجَى منَ المُشَاركين قرَاءة شرُوط المُسَابقة بعنَاية وَاتبَاعهَا بدقة حَتى لا يُؤَدِّي الإخلال بهَا إلى استبعَاد الرّسُوم من المسَابقة كمَا حَدَث - مَعَ الأسف - في بَعض الأعوَام الماضيَة.

شروط المسابقة

١- يَحق لكلّ طفل لا يَزيد عمره على ١٤ عَامًا وَيقيمُ حَاليًا في المملكة أن يشترك في المسَابقة.

٢- للطفل كامل الحرية في اختيار موضوع الرسم أو حَجمه أو المَوَاد وَالخامات المستخدَمَة في تنفيذه.

٣- يتقدَّم المتسابق برَسم وَاحد فقط، عَلى أن يكونَ الرسم مِن عمَله هوَ دون أي تدخل أو مسَاعَدة من الوَالدين أو المدَرّسين أو غيرهم. كما يَجبُ أن يكونَ الرَّسمُ عَملاً أصليًّا غير منسوخ أو مشارك به في مسَابقة أخرَى.

٤- يجب تثبيت نسخة من إحدَى القسيمتين أو صورة منهمَا، الأولى عَلى ظهر الرسم المشارك وَالأخرَى منفصلة ترفق مع الرسم لاستخدامها في ملفاتنا. كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيهما طباعة أو بخطٍّ وَاضح حتى يُعَدّ الرسم صَالحًا لدُخول المسَابقة.

٥- يجب أن يكونَ الرسم مرتبًا وَنظيفًا قدر الإمكان مع عدم كتابة أية مَعلومَات عن الطفل أو الرسم عَلى الرسم نفسه.

٦- يجب تغليف الرسم، أو مجموعة الرّسوم المرسَلَة منَ المدَارس، في ظرف أو مغلف من الورق المقوَّى للحفاظ عَليهَا منَ التلف أثناء نقلهَا بالبَريد.

٧- جميع الرّسُوم التالفة أو المخالفة للشرُوط المَذكورَة سابقًا لن تدخل المسابقة.

٨- تعتبر جميع الرسوم المرسلة للمشاركة في المسابقة ملكًا لأرامكو السعودية. وتبقى هذه الرسوم في حَوزة إدَارة العلاقات العَامة بالشركة التي تحتفظ بحق استخدام أيٍّ منهَا حَسبَ مَا تراه مناسبًا.

٩- آخر مَوعد لتسلم الرسوم هوَ يوم السبت ٢٠ شعبان ١٤١٤هـ (٣١ يناير ١٩٩٤م) ولن يدخل المسابقة أيّ رسم يَصل بَعد هَذا التاريخ مَا لم يَتم التأكد مِن أنَّ سَبب تأخر وصُوله هوَ البريد وَذلكَ عَن طريق ختم البَريد عَلى الظرف.

١٠- تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسَابقة، وَيعتبر قرار هذه اللجنة نهَائيًّا.

١١- بعد فرز النتائج يتم إعلان أسماء الفائزين في الصحف وَالمجلات السعودية، كما يتم الإبراق لكل فائز بالنتيجة على عنوانه.

١٢- ترسَل جَميع الرسوم على العنوَان التالي:
إدَارة العلاقات العَامة - الغرفة ٢٢١٢ - مبنى الإدارة الشرقي
أرامكو السعوديَّة - الظهران ٣١٣١١

عَلى أن يكتَب عَلى المظروف:
مسابقة أرامكو السعودية الخامسة عشرة لرسوم الأطفال

الجوائز

تخصص الشركة للفائزين في هذه المسَابقة مائة وَخمسين جَائزة قسّمَت إلى الفئَات التاليَة:

- خَمسُونَ جَائزة للذين تقل أعمَارهُم عَن ٧ سنوَات.
- خَمسُونَ جَائزة للذين تترَاوح أعمَارهُم بَين ٧ وَ ١٠ سَنوَات.
- خَمسُونَ جَائزة لمن تترَاوح أعمارُهُم بَين ١١ و ١٤ سنة.

يمكن توجيه الاستفسَارات عَن المسَابقة إلى قسم النشر بإدارة العَلاقات العَامة عَلى الهاتف رقم ٨٧٤٤٤٢١ أو الهاتف رقم ٨٧٤٦٢١٢ أو الهاتف رقم ٨٧٤٢٨٩٧ في الظهران مَعَ تمنيَاتنَا للجَميع بالتوفيق.

البيانات التي يجب تثبيتها أو صورة منها الأولى على ظهر الرسم المشارك والأخرى منفصلة تُرفق مع الرسم

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الخامسة عشرة لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملا: ....
تاريخ ميلاد الطفل: .... عمره: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملا: ....
ص. ب ....
المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: ....
الشارع: ....
رقم الهاتف: ....
رقم الناسخة الهاتفية (الفاكس): ....
نوعية الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك: ....
التاريخ: ....

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الخامسة عشرة لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملا: ....
تاريخ ميلاد الطفل: .... عمره: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملا: ....
ص. ب ....
المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: ....
الشارع: ....
رقم الهاتف: ....
رقم الناسخة الهاتفية (الفاكس): ....
نوعية الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك: ....
التاريخ: ....

آفاق اجتماعية

العلوم ثمار الإسلام

الدين الإسلامي في حد ذاته قوة حضارية واسعة باعثة للحياة، إحدى ثمارها كانت العلوم؛ فالإسلام لم يأتِ لوضع أسس الأخلاق الفاضلة وتنظيم المجتمع فحسب، بل أحدث تغييرًا إيجابيًا في المنطقة التي هبط فيها والمناطق التي أظلها بعد ذلك، كما أحدث تغييرًا في عقول البشر.

لقد شملت رسالة الإسلام حياة البشرية من جميع جوانبها، واهتمت بالإنسان وبما يعمل، ولكنها قبل ذلك ركزت اهتمامها على الإنسان ذاته؛ أي على الكيفية التي يمكن أن يعتبر بها الإنسان على ما هو عليه في أعماق فطرته الأساسية. فجاء الإسلام بعقيدة ذات طبيعة مقدسة مستمدة مباشرة من التنزيل الحكيم عملت على إبداع الكثير من العلوم والمعارف. والعقيدة في الإسلام ــ كما هو معروف ــ تقوم على توحيد خالق الكون وعلى ترابط كل ما جاء به الكون بواسطة عملية الخلق، ونظرة التوحيد في الإسلام، تعني أن الإسلام لم ينظر إلى أشكال المعرفة مستقلة الواحد عن الآخر، بل نظر إلى كل أشكال المعرفة المادي منها والروحي على أنها وحدة مترابطة ترابطًا عضويًا، الهدف منها هو التأكيد على عظمة وقدرة ووحدانية الله تعالى.

إن منطق العقيدة والعقل في الإسلام لعبا دورًا مهمًا في تتويج ورفعة العصر الذهبي للمجتمع الإسلامي، والعلماء المسلمون لم يبدعوا إلا بفضل الاسترشاد القرآني والمثالية النبوية التي كانت تسري في دمائهم وتستحوذ على تفكيرهم أثناء عمليات الاكتشاف والإبداع والاختراع. ولهؤلاء العلماء وحدهم يدين العالم الإسلامي للحظات المشرقة في تاريخه حين تربع على قمة الإبداع والإلهام العلمي العالمي، فقد عرف هؤلاء العلماء دائمًا كيف يربطون بشكل منطقي بين الدين والدنيا دون أن يخلطوا بينهما.

كذلك، فإن الدين الإسلامي أضفى على طلب المعرفة هالة دينية خاصة حتى لدى عامة الناس بشكل لم تعرفه الحضارات الأخرى حتى اعتبر أن البحث عن المعرفة هو تسبيح لله في ملكوته. لذا يمكن القول بكل ثقة إن من أعماق القرآن والحديث نبعت وبالأحرى انبثقت كل أشكال المعرفة وألوانها التي تتفق وروح الإسلام. لقد ظهرت العلوم في الإسلام إلى حيز الوجود وازدهرت نتيجة التزاوج بين ما جاءت به العقيدة الإسلامية وما ورثه المسلمون من علوم الحضارات المختلفة، إذ استطاعت العقيدة الإسلامية أن تحول علوم الحضارات الأخرى إلى مادة جديدة تختلف عن مادتها السابقة. ويحضرني هنا قول أحد العلماء «أصبح الإسلام وارثًا لكل التراث العقلي الذي أنتجته الحضارات العظمى قبله، وكان الفردوس الذي وجدت فيه التقاليد العقلية المختلفة مرتعًا خصبًا تنطلق فيه من جديد. وهذه نقطة يجب التأكيد عليها حيث إن الكثيرين من أهل الغرب يظنون خطأً أن الإسلام لا يتجاوز كونه جسرًا عبرته آراء العالم القديم إلى أوروبا في العصور الوسطى. وهذا قول أبعد ما يكون عن الحقيقة؛ لأن الواقع أثبت أنه ما من فكرة أو نظرية دخلت معقل الفكر الإسلامي إلا واصطبغت قبل كل شيء بالصبغة الإسلامية وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من نظرة الإسلام الشاملة إلى العالم، أما ما لم يستطع التسالم مع الإسلام فقد لفظ من ساحة الحياة العقلية وطرح جانبًا دون أن يلقى أي اهتمام» *

لقد وجهت الحضارة الإسلامية نشاطها الواسع إلى الترجمة وأنشأت لهذا الغرض المعاهد العلمية الشهيرة «كبيت الحكمة»، وكانت عملية نقل الحضارات القديمة كالإغريقية والسريانية والسنسكريتية والفارسية إلى اللغة العربية هي أروع ما شهدته الإنسانية من أمثلة للنقل الثقافي في تاريخ البشر. إذ وفرت تلك المعارف المنقولة لعلماء المسلمين المادة الأولية التي انطلقت منها عقولهم وأبدعوا للإنسانية مجموعة من العلوم والمعارف والحقائق التي أسعدت الإنسانية قرونًا.

إذن، لقد انتشرت المعرفة في العالم بأسره بفضل الإسلام؛ لأن الإسلام لم يحتكر المعرفة ولم يبخل بها على العالم بأسره، بل علَّم العالم أجمع درسًا لن ينسى بأنه لا يمكن تجنيس العلوم، وأن العلم مشاع لكل راغب فيه، ولا يتسع المجال هنا لوقفة أطول لاستعراض ما قدمته الحضارة الإسلامية لشعوب العالم عندما نشرت علومها لتتفاعل مع علوم الحضارات الأخرى وأعطت إنتاجًا اكتسب على مر العصور درجة عالية من الشمولية والإنسانية.

د. تماضر حسون

---

* س. ح. نصر، العلم والحضارة في الإسلام، نيويورك، ١٩٧٠م.

الموروث الشعبي
أشكاله وعناصره

بداية يجدر القول بأن الحكاية الشعبية لابد وأن تفسر على ضوء علم النفس الاجتماعي. ولكن للأسف، مازال المجتمع العربي في مختلف قطاعاته خاليا من كثير من الدراسات الاجتماعية الميدانية الواقعية، لواقع المشكلات النفسية الاجتماعية التي تحوط حياة الإنسان العادي. وإذن كان لابد من أن يختلف العلماء كثيرا في تحديد (علم الموروث الشعبي).

على أن الرأي الشائع هو أن (الفولكلور) هو الأدب الشعبي بمعناه الواسع الذي ينتقل بالرواية الشفوية، ولذلك يذهب بعض العلماء إلى أن الفولكلور هو (الثقافة بعامة، التي تنتقل شفويًا) وهناك من أطلق عليها مسمى قد يختلف عن المسمى للشيء نفسه في وطن آخر، وكذلك هناك من دلل على أن **(الفولكلور)** علم خضع للتطور بدليل أن بعض العلماء قد أدخلوا فيه (المعايير النفسية والاجتماعية) وهناك من ركز اهتمامه على استخراج (جانب الثقافة الروحية) على أنها شيء قائم بذاته واعتبروا بناء على ذلك أن الفولكلور هو (التراث الروحي للشعب) الذي يتواتر خاصة بالرواية الشفوية، **وقد ارتضى مجمع اللغة العربية تسميته (المأثورات الشعبية)** وقد ينصب اهتمام بعض تلك الدراسات على الجانب النفسي للتراث الشعبي على محاولة الإلمام بالعوامل النفسية التي ساهمت في صياغة العديد من العناصر . . وأول تلك العناصر **(قوة الشعب الإبداعية)** ويدور حول (الثقافة الشعبية الجماعية) لأن الإبداع الثقافي الفردي كامن في كل ثقافة جماعية، والفرق بين شعب وآخر، أو بين عصر وآخر هو في عدد وأساليب هذه الشخصيات الإيجابية المبدعة.

وحيث إنه لا توجد أمة ولا حركة قومية دون أن يكون لها أساس من التاريخ الصحيح، ونحن نرى بأن تراثنا القديم بما يحويه من عناصر فرجة، التي لها علاقاتها الأساسية بالموروث الشعبي؛ فكل الحكايات الشعبية في أي بلد إنما تنبع أساسا، وكما هو معروف من (الهيئة الشعبية) بشكل مباشر. **فكلمة شعبي هو ما ارتبط تاريخيًا بالأحياء الشعبية**، حتى وإن كان مصدره (التاريخي) معلوما تمام العلم باعتباره إحدى حفريات الوجدان. **ولكن قد يتعرض هذا الموروث الشعبي الوجداني للحذف أو الإضافة**، وهذا ما يحدث عندما يتناول المبدع المسرحي الحديث إحدى سمات الوجدان الموروثي الشعبي حين يحول أحد تلك السمات إلى عمل مسرحي فيغير من شكل الموروث من عصر إلى عصر آخر بحيث لا يمكن تأكيد نسب هذا الموروث لهذا الشعب، أو لشعب آخر في وطن آخر.

يحدث هذا بالرغم من أن التراث الشعبي في أي وطن لابد أن يحوي خطوطا ديموقراطية وثورية لم يكن في الإمكان نشرها في الماضي، ولهذا فقد آن أوان إبرازها في عصرنا الراهن !؟

وسعيًا وراء رغبة أكيدة بأن تصبح ثقافتنا حاضرة عنا إزاء قيام الأجيال القادمة بمحاكمتنا تاريخيا على كل ما فعلناه من تشويه وتشويش وتعقيم للتراث. أجل سوف تكون تهمتنا هي الإهمال ومحاولة التذاكي بأحداث تطوير ما في الشكل، أو في الطرح. فحين تذاكى (الناقل المسرحي) من التراث بغية التحديث وقع في أخطاء جسام أقلها هو :

عدم بحثه عن وجود مصطلح عالمي لوجود كلمة (فرجة) واعتبر أن التراث المسرح في حالة (أن يشاهد) بأنه فرجة شعبية، وهو ما لا يمكن أن يفي بالغرضين معًا . . العلمي والشعبي إذ المشارك في هذه الحالة (مؤد) لحالة ممسرحة من التاريخ الشعبي. وإذا بالمشاهد يلهث وراء التفسيرات لكل ما

يصل إليه من إسقاطات. سواء في المكان أو الزمان، أو الحوار أو الأزياء فلا يصبح مشاركا بالمشاهدة إذا انفصل عن المطروح، إذ المطروح تخبط في فهمه لأصول (الملعبة المسرحية) حين تكون من التراث، حين تكون من الموروث الشعبي.

وإذا كان أساس المشاهدة للشيء الحي، المطروح تجسيدا مسرحيا من خلال ممثلين عارضين يتمتعون بالتغنيات التي تتيح لنا مشاهدة فنان شامل يعزف على الآلات الشعبية، ويغني بصوت فيه عبق التاريخ، ويشخص الفرسان الكواسر حين يكون الغناء حماسيًا، ويذوب عذوبة حين يكون الغناء معبرًا عن مواقف الحب والغرام في حياة الأمراء والقواد، هنا يمكن تصنيف هذا العارض على أنه (راوي) وأنه يختلف من حيث التصنيف عن جماعة السماجة ـ أو ـ الحكواتي أو ـ المخبط [١].

وكل مفردة من المفردات السابق ذكرها لابد أن تقدم للناس على اعتبار أن لكل شعب لغته وفنونه. فإذا كان الموروث قد استجلبه المبدع المعاصر من بلد تشاركنا اللغة ولا تشاركنا الظروف الاجتماعية فإن المنظومة الشعبية والمنظور الاجتماعي والسياسي بالقطع لابد أن يكون في غرابته عنا ذا خلفية اسطورية [٢].

ولعل انتشار تيار العناية بالفن الشعبي لدينا هنا في مصر، وفي البلدان العربية الشقيقة المهتمة معنا بتحويل التراث الشفاهي والموروث الشعبي إلى فرجة مسرحية شعبية يشارك في تجسيدها ـ النص المسرحي المعد عن الأسطورة أو السيرة، في شكل شعبي من حيث الاعتماد على المواويل، والحكمة والأمثال، وقصص البطولة وغرام السلاطين بالإماء والقيان والجواري المغنيات. ولعل اشتراك تونس والمغرب والكويت والعراق وسوريا في تحويل موروثها الشعبي كأوطان لها رصيد من هذا التراث والموروث ما يجعلنا مع هذه الدول الشقيقة على درجة عالية من العناية بالفن الشعبي.

ولنعد إلى الاهتمام العالمي بالفولكلور باعتباره علمًا هتم به علماء الأدب واللغة، وليس أدل على هذا الاهتمام العلمي مما سجله كل من (شلج وهيجل) ثم انتقل الاهتمام بالفولكلور (كعلم) إلى فرنسا، ونجد أيضا ذات الاهتمام في إنجلترا.

فلقد كتب **(تشارلز برني)** في كتاب عنوانه: **(براغ كونسرفاتوار أوروبا)** قبيل الثورة الفرنسية متأسيا بكتاب العالم **(فرانسز جروت)** (إن جمع المفردات والتعابير الدارجة لابد أن يضمه معجم كلاسيكي، وآخر للغة العامة لأن فلسفة الأقوال والأمثال والأفعال الشعبية جديرة بأن تدرس باعتبارها علمًا قائمًا بذاته).

كما أننا في الشرق كان هناك من سجل اهتمامه العلمي بهذا العلم قبل أوروبا، وأول مدون للأمثال الشعبية (العامية المصرية) هو كما ذكر لنا التاريخ: (شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح الأبشيهي المحلي (٧٩٠ ـ ٨٥٠) هجرية في كتاب له عنوانه: (المستطرف في كل فن مستظرف) وقد جمع في هذا الكتاب ما يزيد عن ثلاثمائة مثل بعضها مازلنا نتداوله حتى الآن، وإن كان في كتابه عن «الأمثال التركية» قد سجل ما أشرنا إليه آنفًا بالمنظور الاجتماعي والسياسي، حيث سجل (الأبشيهي) كل مظاهر الانحطاط في العصر التركي.

وإننا نرى أن الأصل في الاهتمام بتراث الشعب. هو الشعب نفسه، فمنذ أن ولد الإنسان على الأرض وهو يرتبط تلقائيا بكل ما يدب عليها، واهتماماته تنصب في التزود من قيم من سبقوه.

على أن للأمثال والفولكلور فلسفة تخالف الفلسفة الكلاسيكية. فإن الفلسفة الشعبية ليس لها علاقة أو أدنى اهتمام بالتحليل العلمي الذي يشكل جوهر الفلسفة الكلاسيكية. وإن قصة مثل **(سيف بن ذي يزن)** كتبها مؤلفها كعملية تعويض فني عما يعانيه الشعب المصري المسلم من قلق واضطراب نتيجة للتهديد الحبشي المسيحي الدائم لأمته وسلامته.

وإن السير الشعبية في حالة مثل رد فعل روائي فني. فإذا ما أعدت مسرحيا فإنها لابد وأن تحمل في أعطافها هموم الجيل الذي تعرض له. ولم يحدث أن نشطت القواعد الشعبية بأفكارها وتقاليدها وتعابيرها إلا في أول عهد محمد علي وخلال الحملة الفرنسية على مصر. ثم ظهرت في الخمسين سنة الأخيرة جهود أخرى.

ولقد عودت الطبيعة أبناء مصر بما هيأته لهم من وسائل متواضعة للحصول على لقمة العيش، حيث كانت كل الوسائل تتركز في أهمية النيل وقطعة الأرض وتربية الدواب، بينما تربض الجبال وراء الشريط الأخضر من الأرض المنزرعة. هذه الطبيعة عودت أبناءها في مصر أن ينتظروا حتى تتمكن البذرة من فتق الأرض والارتفاع ببطء حتى تؤتي أكلها بعد عناء شهور طويلة بالإضافة إلى عزيمة الانتظار. وهذا ما أغرى بعض المبدعين في استغلال تلك الجزئية التواكلية في أن يصوروا شعبًا هم ينتمون إليه كما ينتمي إليه كل من المؤدي والمبدع والمجسد ويصور المبدع هذا الشعب في حالة (رد فعل) ويبعده عن الفعل إلا إذا كان من خلال (رد فعل جماعي) وإنه شعب يساق بالعصى ويجمع بالنفير.. وفي هذا كل الافتراء.

على أن هناك من الجهود الجادة لبعض المبدعين سواء في مصر أو في تونس أو الكويت أو سوريا. وإن قلنا عنها بأن أصحاب هذه الجهود، ومن خلال تجاربهم قد تجاوزا أخطاءهم في حق الموروث الشعبي والتاريخ بما طرحوه في شكل مسرحي، وقد طوروا أدواتهم العلمية والفنية. بحيث أصبح المدلول (تقنيا) من خلال إطار تشكيلي شعبي يعبر عن القطر أو الوطن والعمق هنا. هو في إطلالة المبدع على السيرة أو الأسطورة.

وبالقطع نجد أن أوهام المبدع في (تعريب) هذا التراث ومسرحته قد لا يرقى إلى الموروث نفسه في حالته القبلية التلقائية، إذ الموروث نفسه يدحض أوهام التعميم ويرفض المحاولات المبتسرة المتسرعة، ولا شك أنه إذا نظرنا نظرة متأنية فاحصة لما أفرزته أمتنا عقب الحقب الزمانية المتعاقبة إذا اتخذت في كل ميدان سبيل للمعرفة، فإننا سنكتشف من خلال الموروث الشعبي المزيد

الموروث الشعبي
أشكاله وعناصره

من العادات والتقاليد ما يطلق عليه (كلمة فولكلور) بحيث كونه تراثًا روحيا للشعب، من خلال هذا الكم الهائل من التراث الشفاهي، كما يطلق على العلم الذي يدرس هذا التراث فهو اسم العلم واسم موضوعه في الوقت نفسه.

وأمام فوضى كثير من المفاهيم كان لابد من إثبات جذور هذا الموروث الشعبي؛ لأنه يوجد في شتى دول العالم فرع من فروع المعرفة يكون له درجات مختلفة من الوضوح ويتمتع بقدر كبير أو ضئيل من الاعتراف الرسمي تبعا لظروف كل مجتمع، **وله مسميات مختلفة/ تختلف من مجتمع لآخر. فهو يدرس الجوانب التقليدية لثقافة بعض المجتمعات الإنسانية، وأحيانًا يصل الأمر على دراسة شاملة للإنسان ككائن ثقافي** .. فهو يتناول الثقافة بمنهاجها كما هو الحال في مجموع التراث الاجتماعي بصفة عامة؛ وفي كثير من الأحيان يحدث خلط بين المسميات من بلد لآخر، ولا يتضح هذا الخلط، أو هذه الفوضى إلا حينما تحدث مقارنة (المدلول) عند كل دولة بالأخرى، وربما يحدث هذا الاختلاف (داخل الوطن الواحد) **لذلك كان على الباحث أن يتبع كافة (التفريعات) عن الفولكلور خوفا من اندثاره، وبالتالي ضياعه، في محاولة من الباحث لإثبات جذور الفولكلور علميا، وبالتالي لإخضاعه لأربعة محاور هي:**

١ ـ للمعايير (السيكوسوسيولوجية).

٢ ـ للمعايير (الثقافية).

٣ ـ للمعايير (الآسيولوجية).

٤ ـ للمعايير (الأنثولوجية).

على أن يكون الباحث شديد الحرص، وعليه أن يبين للدارس أن ما يحدث في بعض المجتمعات يمكن أن يطلق عليه (نفس المسميات) برغم اختلاف المعايير، وتوضيح ذلك التباين في تلك الاتجاهات.

على أن إطلاق المسميات لعلم الفولكلور واختلافه من بلد إلى آخر، أو تفضيل (مسميات) عن أخرى في بعض بلدان العالم جاء كما يلي:

ففي روسيا يطلق مسمى (فولكلور) على كل ما يتعلق بدراسة الثقافة الشعبية الروحية ومسمى (انتوجرافيا) على كل ما يتعلق بدراسة الثقافة الشعبية المادية.

وفي ألمانيا يطلقون على الفولكلور اسم (الفولكنده) ويتآخى مفهوم العلم تآخيًا حميميًا مع الروس في التطبيق أو التصنيف.

وفي البرتغال يطلقون مسمى فولكلور أيضا على دراسة الثقافة المادية الروحية معنى أو مسمى (انتوجرافيا) على اعتبار أن الفولكلور عندهم هو دراسة تاريخ وحياة الشعب، وهم يتمسكون أيضا بكونها الثقافة المادية.

ونجد بعض الفولكلوريين يستخدمون المعيار الثقافي في التصنيف، فالبعض منهم يرون أن موضوع الفولكلور هو دراسة التراث الشفاهي فقط، أو الأدب الشعبي، وأن القلة فيهم هم الذين يتخصصون في دراسة ومتابعة وتسجيل الأدب الشعبي الشفاهي خوفا من الضياع.

وهناك الكثير ممن يهمهم أن يتسع ميدان الدراسة ليشمل فنون الأدب الشعبي، من خلال زاوية علمية، وهناك من يهتم بالرقص الشعبي والعادات والتقاليد الشعبية. وهذا ما يجعلنا نقف عند مفهوم (الفرجة الشعبية) ونقرن بينها وبين (الفرجة الفنية) ونستجلى فداحة الخلط بين كل من المفهومين.

الفرجة الشعبية

ما من شك بأن أهم المصادر التي أفادت المسرحيين العرب هي (**حكايات ألف ليلة وليلة**) باعتبارها من أشهر الأساطير والحكايات الخيالية المدونة في الأدب العربي، ولكون حكايات ألف ليلة وليلة تقترب إلى حد كبير للمنظور المسرحي. فمنذ أن حول الرائد المسرحي (**مارون نقاش**) حكاية (**النائم واليقظان**) في مسرحية (**أبو الحسن المغفل**) وما جرى له مع الخليفة هارون الرشيد. منذ هذا التاريخ وكلنا يعرفه؛ والمسرحيون العرب ينهلون من نبع التراث الشعبي والخيالي سواء من ألف ليلة وليلة أو من غيرها، فعلي بابا والأربعين حرامي، ومعروف الأسكافي وحكاية (جودر بن عمر) وحكاية (الصياد والعفريت) وحكاية (قمر الزمان ابن الملك شهرمان ومعشوقته بدور) وحكاية (الصياد خليفة) وحكاية (علي شارو والجارية زمرد) وكلها قد تناولت نقيصه سوء توزيع، وهي أيضا تعرض نقيصه الجشع، ونقيصه النصب على الفقراء، المنسحقين، الباحثين عن الحياة الأفضل. وفي هذه الحكايات يتجلى الخطأ الأخلاقي للحكام، ويتمثل في عدم تحقيق أو تواجد دستور الشعب؛ في أن الخير جزاؤه الخير، والشر جزاؤه الشر. وهذا ما جعل الكتاب يصوغون من تلك الحكايات المسرحيات التي تحكى عن شعوب خلقت لكي ترتقي عرش المجد، لكي يصبحوا من الأماجد في أوطانهم، وبعض هذه المسرحيات تصور الصراع الطبقي بين السلطة والشعب، بين الحاكم والمحكوم، على أن هناك أيضا من صاغ مسرحيات أخرى لكي يقدم من خلالها شعوبًا خلقت لتركع، ولا تعرف سوى حاكم يهللون له، ويدعون له بالمجد والسؤدد؛ من أجل أن يمنحهم هذا الحاكم الأمان مع رغيف العيش وحق الحياة في ظل العبودية المفروضة بالقهر على الشعب كله.

ومن الأعمال المسرحية التراثية ما يمكن أن يصمد باعتباره وثيقة احتجاج مسرحي على نظام حكم فاسد، يعيشه مجتمع مطحون لمجموعة من الحكام الأجانب عن أحلامه وأمانيه، مشاركة الإنسان العربي في محاولة كشف الجوهر الإنساني [٣].

وإن كنا نسلم أن الكثير من الحكايات العربية ليست في مرحلة من البناء الغني بحيث يمكن إخضاعها للشكل المسرحي، وبالتالي فهي لا تحمل في داخلها بذرة الدراما، بقدر ما تحمل عناصر التسلية، إلا أننا نضطر كما يقول

فـاروق خورشيـد[٤] «. . إلى التسليم حيال السير المتأخرة التي تقدم لنا شكلا متكـامـلا لأعمال قصصيـة لها أصـول وقواعـد، وتسير على حـرفيـة حقيقيـة، تضبطها قوالب تعبيرية، لابـد لنـا أن نسلم بأن هذه السير مرحلـة من مراحل فن القصة العربية الذي لـم يكف عن التطور لحظة منذ كان مجرد حكاية تروى للتسليـة، أو طرفـة تحكى للتفكـه، إلى أن تصبح خطـرا، بما لها من نفـوذ في نفوس المتلقين من عامة الناس».

وهنا يمكن أن تكون مثل هذه القصص، أو الحكايات مادة خامًا لتصنيع المسرحية التراثية ذات الخلفية الفولكلورية.



«وكما حفظ الضمير الأدبي هذه الأعمال رغم ما لاقتـه من تجاهل، وما منى به أصحابها من نسيان وإغفال، ورغـم ما حرص عليه التقليديون في كل عصر من محاربتها والقضاء عليها، فإن الضمير الأدبي هـو الذي يحتم أن تكون هذه السير هي نقطـة التقائنـا بمعنى الحضارة لـدى أمتنا، والمعبر الـذي يقودنـا إلى التعـرف على نفسيـة العربي في مختلف العصـور وتحت مختلف الظـروف. فقـد تزاوجت اللهجـات المحلية والقبلية العـربية، كما تزاوجت الأزيـاء، وتزاوجت الأغاني الشعبيـة، وتآخت التقـاليد هنـا وهناك في الختـان وفي الزواج وتهجنت لتنتج (فرجـة شعبيـة) على يد صائغ مـاهر هو (المعد المسرحي) الذي يعي عن علم ودراسـة الفولكلـور والتراث الشعبي وموروثـاته، ولا يكفي أن نقـف عند (توليف) التراث الشعبي كـأن تُنشئ مثلاً في كل محافظة فـرقة للفنـون الشعبية على اعتبار أن مثل هذه الفـرق تعرض (الفرجة الشعبية الحركيـة) والذي تدخل (المولف الإيقـاعي والحركي) في شكل (تأليفي، وليس تـوليفي فقط) ولهذا فإن دعـوة البحث عن أعمق أعماق تـربتنا وتـراثنـا ومـوروثنا الشعبـي هو الأمـل المتجدد من أجل إيجاد فرجـة شعبية مسرحية تتجـاوز حدود الشكل لتصل إلى المضمون السياسي.

إذن. **فهـو فرع من الأدب لـه قوانينـه لكي يحقق للمشـاهد في أي زمـان ومكان (فرجة شعبية) تتشكل من خلال جوهر شعبي، وصورة فنية، لها قانون** **صوتي من حيث الأداء اللحني أو الغنائي، ولهـا بعد تشكيلي، ولها أرضية أدبيـة شعرًا كانت أو نثرًا** ولكل ما سبق علاقة بالإيقاع الحركي ـ الرقص ـ و ـ الايماء ـ وهـذا كلـه من خـلال (ضفيرة) تمتـاز بأنهًا تحمل في أعطـافها عنصري الخيـال والجمال بما يليق، وفكـرة إيجاد فـرجـة شعبية تكـون نـواة لإيجاد مسرح عـربي، وبالتالي مسرح مصري نفخر به ونباهي . .

إلا أن السير الشعبيـة التي أنتجها الخيـأل العربي، والتي نعتبرهـا (ذخيرة أدبية) كبيرة قد وصلت إلينا قلة قليلـة . . منهـا :

١ ـ سيرة : (الزير سالم).

٢ ـ (سيرة ذات الهمة).

٣ ـ سيرة : (عنترة بن شداد).

٤ ـ سيرة (سيف بن ذي يزن).

٥ ـ سيرة : (حمزة البهلوان).

٦ ـ سيرة : (فيروز شاه).

٧ ـ سيرة : (أحمد الدنف).

٨ ـ سيرة : (على الزيبق).

على أن هذه القصص الشعبية، أو السير الشعبية، التي جاء ذكرها هنا هي كل التراث الشعبي مـن القصص الإسـلامـي، ذلك **لأن دور الكتب تغـص بالعشرات من المخطوطات التي تؤكد لنـا بأن غزارة الخيال العربي وقوته وقدرتـه على الإبداع ليس لهـا حـد** «وكلما أمعنا الـدراسة في هذه القصص والعنـاية بها تكشف لنـا أوجـه النقص في الكثـرة المطلقـة من الكتب العـربية التي يـدعى أصحابها أنها دراسات حول الأدب العـربي أو عصر منه، وذلك لأن المتشدقين من هؤلاء الأدباء يجهلـون لغات الجزيرة قبل الإسلام، ولا يعـرفون من اللغات العربية إلا اللهجة القرشيـة، وحظهم من القصص العربي التي تتصل حوادثه بأدبنا في الجاهلية إلى اليوم قليل جدًا»[٥].

على أن السير والملاحم كرافد من روافـد يمكن استلهامها ذلك أن الهدف من التراث ومحاولـة دراسته هـو الكشف عن روح الشعب، ومسرحته ليصبح فرجـة شعبية هـو معرفـة منطقه بشكل أكثـر شمولية لفهـم ذلك التراث للعالم والكون وصياغته مسرحيًا من خلال أحـلام الشعب وأمانيه. يجعل من الفرجة الشعبية شيء أكثر من ضروري، وذلك من أجل الكشف عن قوانينه الداخلية التي تشكل جوهره وصورته الفنية المسرحية. فكل سيرة إنما تتبنى قضية تؤكد أن وراءها فنان لـه هدف ويعمل من أجل غـاية، وقد استخدمت معظم شعوب العالم القديم الملاحم الشعرية لحفظ تـاريخها وموروثاتها من جيل إلى آخر تنشد وتغني دون الحاجة إلى الكتـابة في مجتمعات تغلب عليها الأميـة. وإذن فالسير الشعبية كانت تتطـور فنيا لمراحل فنية أخرى، ومعنى هذا أنها كـانت وما تزال تصلح للإعداد المسرحي، أو فلنقل (التـوليف) المسرحي كما حدث في عروض (فرجـة شعبيـة) لفرق الثقافـة الجماهيريـة مثل (**علي الزيبق**) و (**الهلالية**) و (**ياعنتر**) ليسري الجندي، ومثل (**الزير سالم**) لألفريد فرج و(**الظاهر بيبرس**) والتي قدمـت باسم (**ابن البلد**) للـدكتور عبـد العـزيز حمودة. ومعظم هـذه العروض قد نجحت إلى حـد كبير في أن تقدم للمشاهدين فرجـة شعبية جيدة من حيث (التوليف) بينما افتقـد بعضها إلى صدق التوجـه إذ غلبت الصنعة في التـوليف إلى التأليف الذي يعمـد إلى إحـداث إسقاطات سياسيـة على البطل

الموروث الشعبي
أشكاله وعناصره

الشعبي، فإذا بالصنعة المسرحية تحل محل التلقائية والعفوية اللذيْن كانا يحملان في أعطافهما نبل التوجه، وصدق الأداء، ومصداقية التعبير.

المشخصاتي في المسرح الشعبي

الممثل الشعبي يملك ناحية الشمولية وإن كانت تغلب على هذه الشمولية التلقائية والعفوية. وأن قدراته العالية التي كان عليها تتمثل في قدرته على أداء العديد من الأدوار.

وأول المشخصين في تاريخ المسرح الشعبي المصري والعربي هو فنان خيال الظل والذي قال عنه الدكتور إبراهيم حمادة :

« . . وعملية التعبير بالشخصية المتخيلة عن طريق الدمية عملية تتطلب من المخايل ــ الممثل الظلي ـ قوة متفوقة في التصوير؛ لأنه ليس كالممثل يقوم بأداء دور معين أمام غيره ولكنه هنا يقوم بجميع أدوار رواية الظل، فقد تبين أن الذي يحرك الشخوص في بعض التمثيليات الظلية فرد واحد».

ثم هناك الممثل (الحكاء) الذي لديه القدرة هو الآخر على أداء العديد من الأدوار سافرا أمام المتحلقين في حالة من التقمص والانفعال والتفاعل مع ما يؤدى من أدوار، وأثناء انتقاله من دور إلى آخر أنه الممثل (الحكواتي) والذي يسرد السيرة الشعبية متقمصًا دور بطل السيرة في أحد المواقف البطولية التي تستدعي مواجهة الأعداء فيمثل (الحكواتي) هذا المشهد على أنه هو هذا البطل

فيتخيل نوعًا من الأداء، والوقفات وطبقة الصوت، ومن هؤلاء الكثير في صعيد مصر وهم رواة السير الشعبية الذين يجيدون الغناء وكذلك يجيدون العزف على الرباب أو الدف أو الناي، إنهم رواة السيرة، أو الحكائين، أو (الحكواتية) الذين يتوحدون مع ما يؤدونه أو مع ما يجسدونه من أشخاص تاريخية.

والذي يدلنا على أسلوب الأداء ما تشير إليه بعض الدراسات التي عادت إلى (بابات ابن دانيال الكحال) تستفتي إذا كان الممثل الشعبي يؤدي العديد من الأدوار، وتثير التساؤل حول ماهية أسلوب (التمثيل الشعبي) وهل هناك تمثيل شعبي وآخر غير شعبي ! ؟

على أن طرح هذه الأسئلة في حد ذاته موضوع دراسة عن ماهية المسرح الشعبي وأهمية الفرجة الشعبية في المستقبل ؟ فهل كان التمثيل (تقميصيًا)أم (اندماجيًا) توحيديًا مع الشخصية المستجلبة من أعماق التاريخ حيث الملامح العامة في الخيال المطلق.

وللإجابة عن ذلك؛ نجد أننا شاهدنا في بعض المهرجانات العربية جانبا تراثيا أمكن للشقيقة (سوريا) أن تحتفظ به، وكذلك احتفظنا نحن هنا في مصر بهذا الجانب المهم. وهو جانب تأصيل المسرح العربي، وهذه القضية قد شغلت الكثير من النقّاد فراح فريق منهم يثبت أن العرب قد عرفوا المسرح متمثلاً في الأشكال الشعبية القريبة من المفهوم الغربي للمسرح، وإن لدينا كعرب تقاليد شعبية ارتبطت بوجداناتنا وشكلت متجها يمكن أن يطلق عليه مجازا مسمى (مسرح شعبي) عربي أو مصري، فمنذ أن التفت (**يعقوب صنوع**) على سبيل المثال لتاريخنا ومأثوراتنا واستخرج من التاريخ والموروث الشعبي مادة خصبة لبناء أعمال مسرحية تبحث في خصوصية مسرح شعبي عربي ومصري مثل **عبد الكريم برشيد** من المغرب الشقيق **وعبد الرحمن بن زيدان**، **والحكواتي** في مصر وفلسطين، **والسامر** في مصر، وهناك الكثير من الدعوات التي يدور البحث فيها، ومن خلالها عن خصوصية لمسرحنا العربي بشكل يمكنه من البقاء، وخصوصا بعدما اعتمد جيل من الباحثين هنا أو هناك على استنباط أشكال شعبية كاستعادة التمثيلية (الأجوزية) ومحاولة تطويرها وتحميلها مضامين سياسية معاصرة، وخيال الظل الذي استخدمه كأوضح ما يكون الاستخدام المخرج **أحمد زكي** في عرض **(ابن البلد)** الذي يدور حول **الظاهر بيبرس** للكاتب **الدكتور عبد العزيز حمودة**، فإننا نصل من خلال هذه التجارب وغيرها مثل **(كاني وماني)** و **(ياما في الجراب يا حاوي)** للفنان **صالح سعد**. نخرج من كل هذه التجارب (القديمة الحديثة) من شرنقة التقليد إلى مرحلة البحث عن التجديد، لأن شكل السامر المسرحي، أو شكل العرض المسرحي داخل (سرادق) أو شكل (العارض المسرحي) في سمت الحكواتي، وشكل (المشخص الشعبي) داخل (برفان الأرجواز) أو خلف شاشة (خيال الظل) قد يفرض على هذا الشكل الشعبي المسرحي علاقة تحتم على العارض وجوب التواصل القوي. فإن الممثل ـ أو (المشخصاتي) في المسرح الشعبي كان يحدث غالبًا دون أن يلجأ أحد إلى تحطيم (المكانية ـ أو ـ الزمانية) وإنما كان يعتمد على السرد الانفعالي كلما كانت درجة التقمص للتشخيص تستوجب هذا الانفعال، لكنه يبقى انفعال (حكاء) يروي عن الآخر، وإن كان في محاولته أثناء الروي أن يكون مؤثرًا، ذلك لأن المشخصاتي هذا كما قلنا يؤدي العديد من الأدوار؛ ولأن هذه السمة لابد أن تثير تساؤلا حول ماهية أسلوب التمثيل. والإجابة أنه كان تمثيلاً (كاريكاتوريًا) إذ اللعب أمام الجمهور يحدث في نبل الفرسان الذين هم صدورهم كظهورهم مكشوفة للطاعنين، والطعان بالكلمات في حلقة المشاهدة قد يصل إلى درجة ضرب (الحكاء) إذا ما انحاز إلى بطل من قبيلة تفضله الأكثرية من المشاهدين عن بطل آخر يحكى عنه ويروى ذات الحكاء، الذي قلنا بأنه ينتقل من دور إلى آخر بهدف تحقيق المتعة في الفرجة المسرحية.

الهوامش

(١) راجع (السير الشعبية في المسرح المعاصر) سلسلة اقرأ ـ أمين بكير.

(٢) كلمة (اسطورية) أو (الأساطير) مشتقة من كلمة (سطر) ومعنى السطر الخط والكتابة ـ وجمع السطر أسطر وسطور وأساطير . . وواحدة الأساطير اسطورة.

(٣) راجع أضواء على السيرة الشعبية (فاروق خورشيد) المكتبة الثقافية ١٠١ ص ١٨ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع قصصنا الشعبي للدكتور فؤاد حسنين.

الحداثة الشعرية .. إلى أين؟

الجزء الثاني

بقلم: محمد منذر لطفي

في رأيي أنه لابد لنا قبل الإجابة عن هذا السؤال من إضاءةٍ صغيرة تكون بمثابة التمهيد أو التوضيح لتلك الإجابة، وتقول تلك الإضاءة أو النافذة المُطلّة على الإجابة: **إنَّ الشعر لغةُ النفس، والشاعر ترجمان تلك اللغة، وقد رأى «الأقدمون» أنه (أي الشعر) لا يليق بتلك اللغة ما لم يكن مُنَغَّمًا بأوزان؛ لأنهم وجدوا أن تلك الأوزان تساعد على تنسيق الجمل وتوازنها عند التعبير عن العواطف والأفكار، وبذلك التوازن يتحقق سر من أسرار الجمال، وقد شاركهم معظم «المحدثين» تلك الرؤية أيضًا، ففي هذا المجال يرى الناقد** ميخائيل نعيمه [٩] على سبيل المثال أن النفس الإنسانية التي تلد عواطف جميلة وأفكارًا حيَّةً ناضجة هي نفسٌ مستيقظة، نفسٌ شاعرة، وما تلده مثل هذه النفس هو الفن، والفن إذا اتخذ الكلام والنغم ثوبًا له كان شعرًا، والشاعر راوٍ يقص في قالب موسيقيٍّ عذبٍ جميل انفعالات نفسه، وتموجات عواطفه وآماله وتقلبات أفكاره في كل ما يسمعه ويراه ويشعر به.

ومن المُسلَّم به أن الأوزان نشأت نشوءًا طبيعيًا، وكان سببُ ظهورها ميلَ الشاعر إلى تلحين عواطفه وأفكاره، ومن المسلم به أيضًا أن الكلام المتوازن المقاطع أسهلُ للتلحين من الكلام الذي لا توازن بين مقاطعه من حيث الطول والقصر، لذلك أُلحق الوزنُ بالشعر، ونما معه نموًا طبيعيًا، فكان يتكيَّف بالشعر ولا يتكيَّف الشعر به.

هكذا نما الشعر العربي، وهكذا نمتْ أوزانه وموسيقاه وأنغامه، وما زال الوزن لاحقًا والشعر سابقًا، إلى أنْ أتى **الخليلُ بن أحمد الفراهيدي** فجمع كلَّ ما توصَّل إليه من الأوزان، ثم بوَّبها وحدَّدها، وجعل لكل منها قواعد، ولكل قاعدة جوازات، وللجوازات جوازات أيضًا . . . إلخ، وهو لم يقصد من وراء ذلك إلا الخير، ولم يتوخَّ إلا خدمةَ لغةٍ عزيزةٍ عليه.

وهكذا نرى أنه من خلال هذا التمهيد والتوضيح نستطيع أن نتلمس بسهولة مفاتيح الإجابة عن السؤال المطروح، ذلك أنَّ الواقع يُشير إلى أنَّ كلَّ ما فعله **الخليل بن أحمد** في البحور الشعرية التي تُنسب إليه (مع أنها كانت موجودة قبله) هو أنه قنَّنها لا أكثر ولا أقل، فهو لم يبتدعها وإنما جمعها - وكما هو معلوم - في نظام كان شفويًا قبله وعفويًا، حيث نظم الشعراء العرب القدامى عبر أزمنة متطاولة في القدم، موغلة في أعماق الزمن، دون أن يشعروا أنهم مُلزمون باتباع قاعدة في النظم دون أخرى.

وهكذا يتبين لنا بكل وضوح أنَّ **الخليل بن أحمد** لم يكن سجّانًا ذات يوم، كما يجري تصويره الآن أحيانًا من قبل بعض الغُلاة والمتطرفين في مدرسة الشعر الحديث، وأنَّ الشعراء الذين نظموا الشعر قبله إنما كانوا ينسجون أشعارهم من خلال عبقريتهم الشعرية العربية الخاصة بأمتهم واستنادًا إليها كما لكل شعبٍ أو أمة، والذين نظموا الشعر بعده لم يَشْكوا من قيود أو سجون، ذلك أنَّ من أيسر الأمور على الشاعر الكبير المطبوع على الشعر أن يُبدع شعرًا، ومثل هذا الشاعر المُتمَكِّن لا يئن ولا يتوجع من وجود الوزن (سواء أكان بحرًا أم تفعيلة)، ولا يتبرَّم بالقافية، هذان العنصران الموسيقيان النَّغميان اللذان يحلو لأنصار الجناح المتطرف في مدرسة الشعر الحديث أن يصفوهما «بالقيدين» بل ويشعر أنه في تمام الحرية لا في تمام العبودية، **وبالتالي فأنا لا أعتقد أن حركة الشعر الحديث المعاصرة تستلزم أو تستدعي وجود أو ظهور خليل بن أحمد جديد، لسبب بسيطٍ واحد هو أنَّ أسلوب هذه الحركة في النظم - من حيث الشكل - ما هو إلا مجردُ تنويع على أوزان الشعر العربي من خلال استخدام نواته الشكلية الأولى، وأعني بها «التفعيلة الشعرية»، وبالتالي فنحن لسنا أمام حركة شعرية مختلفة ومتناقضة مع مبادئ الشعر العربي المعروفة والمعتمدة**، ويبقى باب «الاجتهاد» [١٠] مفتوحًا ومتَّسِعًا في المستقبل لكل ما هو إيجابي وبنَّاء، تمامًا كما كان مفتوحًا ومتسعًا في الماضي لكل ما هو إيجابي وبنَّاء أيضًا.

أين نحن من الحداثة الشعرية؟

من المسلم به أن الحداثة الشعرية تشمل عنصريْ الشكل والمضمون كما سبق وذكرت، وإن كان شمولها للمضمون يُشكِّل مركز الثقل فيها، ويعطيها معناها الحقيقي، ويضعُها في مدارها الفني الصحيح الذي يُبرز بهاءها ورواءها الحقيقيين، وهو ما سأُوضحه بشكل مفصل من خلال الآتي:

أ- من حيث المضمون:

إن الدارس لآثار شعراء قطرنا العربي السوري، وآثار شعراء الأقطار العربية الشقيقة الأخرى، بدءًا من منتصف القرن الحالي وحتى الآن يستطيع أن يميز - من حيث المضمون - الاتجاهات الأربعة التالية:

١ - شعراء غرقوا في بحر السلفية الشعرية من حيث تبني الموضوعات والمفردات والتراكيب والصور، وهذا ما جعل نتاجهم الشعري غريبًا عن الحياة الأدبية للعصر، فجاء «صورة طبق الأصل» عن تلك السلفية، ولكنه لم يرق إلى جودتها وفنِّيتها في كثيرٍ من الأحيان، وقد فات هؤلاء الشعراء أن المفردات اللغوية كائنات حية، تولد وتعيش، ثم يموت استعمال بعضها عبر مدارج الزمن، وطبقًا لعوامل متعددة لا مجال لذكرها الآن.

الحداثة الشعرية.. إلى أين؟

وإذا أجرينا مسحًا لغويًا شاملاً للمفردات منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، لوجدنا أن قسمًا كبيرًا منها أصبح طيَّ النسيان منذ أمد بعيد، ولم يعد له وجود إلا في ذاكرات اللغويين أو صفحات المعاجم والقواميس، فكلمة «عصلبي» ـ على سبيل المثال ـ ماتتْ بموت الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي، وما ينطبق على بعض الكلمات والمفردات ينطبق على بعض التراكيب والعبارات، فنداءُ «يا حادي العيس» ـ على سبيل المثال أيضًا ـ أصبح باطلَ المفعول وغيرَ مُستساغٍ في عصر الذرة والفضاء والأقمار الصناعية، وقد بدأ الذوق الشعري يتدرج نحو الكمال العصري الحديث استنادًا إلى معطيات العصر وذوقه وموازينه، وبالتالي فلم يعد هناك مجال لاستعمال مفردات وتراكيب لا تمتُّ لذلك الذوق وتلك المعطيات والموازين بصلة، **وإذا ظلَّ هؤلاء الشعراءُ سائرين على هذا الدرب فإنهم سيُصابون «بعقدة أهل الكهف» لا محالة.**

٢ ـ شعراء تناولوا موضوعات معاصرة، ولكنهم استخدموا مفردات وتراكيب شعرية سلفية، وهؤلاء في رأيي هم «الكلاسيكيون الـجُدد» الذين أفسدوا الحداثة، وأحدثوا شرخًا في مفهومها، نتيجة تناولهم لها من جانب واحد، هو الجانب الزماني الأقل أهمية، والـمُتمثِّل بالمعاصرة الزمانية للموضوعات المتناولة فقط، على حساب الجانب التقني الفني الأكثر أهمية، الـمُتمثِّل في استخدام المفردات الحديثة الجديدة النابعة من روح العصر الملائمة له والـمُعبِّرة عنه، ثم صياغتها ضمن أُطرٍ وتراكيب تحمل معها روح الـجِدَّة والابتكار، وتحاول السفر شعريًا باتجاه آفاقٍ ورؤىً جديدة، وتبتعد قدر الإمكان عن المحاكاة والتقليد حتى لا تكون الصدى أو الصورة طبق الأصل عن الآخرين الذين يُمثِّلون الصوت أو الأصل.

٣ ـ شعراء تناولوا موضوعاتٍ سلفيةً، ولكنهم استخدموا مفرداتٍ وتراكيب شعرية حديثة ومعاصرة، وهؤلاء ـ على قلتهم ـ أقرب الناس إلى الحداثة والتجديد؛ لأنَّ تعاملهم مع المفردات والأدوات والتراكيب الشعرية بدأ يأخذ طابع التعامل الحضاري الواعي، ولم يعد ينقصهم إلا التحدثُ عن موضوعاتٍ معاصرة ليصبحوا في عداد الشعراء المعاصرين.

٤ ـ شعراء عرفوا الحداثة على حقيقتها، وبأبعادها كافة، فركبوا سفينتها قلبًا وقالبًا، سواءٌ من حيث تناول موضوعاتٍ معاصرة، أم من حيث الكتابة بمفرداتٍ ولغةٍ معاصرة أيضًا، وهؤلاء يمثلون في رأيي قمة الحداثة والمعاصرة الشعريتين.

ب ـ من حيث الشكل:

يستطيع الدارس لشعراء القُطر السوري وشعراء الأقطار العربية الأخرى على اختلاف تياراتهم ومذاهبهم ومدارسهم الأدبية، أن يميز من حيث الشكل الاتجاهات الأربعة التالية أيضًا:

١ ـ اتجاهًا ما يزال يتبنى المدرسة الشعرية الكلاسيكية التي تعتمد **«وحدة البحر»** شكلاً للقصيدة.

٢ ـ اتجاهًا آخر تبنىَّ المدرسة الشعرية الحديثة التي تعتمد **«وحدة التفعيلة»** مع المحافظة على القافية وإن تنوعتْ وتعددتْ في القصيدة الواحدة شكلاً لها.

٣ ـ اتجاهًا ثالثًا توفيقيًا أخذ **يزاوج بفنيِّةٍ واضحة المعالم والسِّمات بين المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الحديثة،** فاستخدم المدرستين المذكورتين في الفقرة الأولى والثانية معًا، وعزف على أوتارهما الشعرية معتبرًا كلتيهما أصيلة، آخذًا بالمقولة التي تُنادي بأن الشاعر المبدع يستطيع أن يصب إبداعه وجودته الشعريين في أي قالب يشاء، وكأنه ـ والحالةُ هذه ـ يتمثَّل حتى العظم مضمون المقولة الأخرى التي تقول: أعطني شعرًا أُبايعكَ شاعرًا بغض النظر عن المدرسة الشعرية التي تنتمي إليها؛ لأن لكل مدرسة شعرية معاييرها النقدية وموازينها الفنية الخاصة بها، وبالتالي فإنه لا داعي على الإطلاق للتعصب وخلط الأوراق.

٤ ـ اتجاهًا رابعًا بدأ يدعو إلى التحلل الكلي من شرطيْ التفعيلة والقافية، وأخذ يُمارس تجربته الشكلية الجديدة تحت اسم **«الشعر المنثور أو القصيدة النثرية»**، وهذا الاتجاه يُمثِّلُ الجناح المتطرف ـ من حيث الشكل ـ في مدرسة الشعر الحديث.

ما طريق المستقبل؟

في رأيي أن الحداثة والمعاصرة الشعريتين ضروريتان لجميع المدارس (تبني الفقرة الرابعة من البند (أ) بالنسبة للمضمون، وتبني الفقرة الثالثة من البند (ب) بالنسبة للشكل) وإن كان المستقبل الشعري الخاص بالشكل مملوءًا بالمخاطر، ولا سيما بعد أن أخذ تيار الغُلاة والمتطرفين في المدرسة الشعرية الحديثة يدعو مؤخرًا وبشكل علني إلى التحلل الكامل من شرطيْ التفعيلة والقافية، وإلى مُحاربة الأشكال الشعرية كافة، معتبرًا نفسه المالكَ الوحيد للحقيقة، وأنَّ مدرسته أو جناحه ـ على الرغم من تطرفه وخروجه حتى على الأصول ـ هو الأفضل والأمثُلُ والأكمل، وهذا ما ترك المجال لأصابع الاتهام أن تشير إليه على أنه التيار الأقرب إلى الهدم والتخريب منه إلى البناء والتجديد؛ لأن الجديد الأصيل في رأي أصحاب تلك الأصابع يجب أن يكون امتدادًا إيجابيًا معاصرًا ومتطورًا للقديم وضمن المسارات الإيجابية للشكل والمضمون المذكورة أعلاه، وليس خروجًا سلبيًا عليه؛ لأنه (أي القديم) بمثابة الجذر أو القاعدة أو الأساس لأي بناء جديد؛ **ولأن المرور بالمدرسة الكلاسيكية والتمكن منها أمران ضروريان جدًا لكل شاعر حديث ناجح؛ لأنهما يُمثِّلان أدوات الشعر المهمَّة وأبجدياته الرئيسة التي لا غنى لكل شاعر مُجيد عنها، وبالتالي يُمكِّنان الشاعر من تلك المدرسة الكلاسيكية، لينطلق بعد ذلك بجناحين قويين عبر رحلته الشعرية في سماء الحداثة الرحبة، وفي آفاق المدرسة الشعرية الحديثة ليعود بعد تحليقه بكل صيد ثمين.**

والذي أراه في هـذا المجال هو ضرورة أن يكون كُلُّ شـاعر أو أديبٍ يعيش الـربع الأخير من القرن العشرين مع الحداثـة والمعاصرة (شكـلاً ومضمونـًا)، شريطة عدم خروجها عن الأصول الشعريـة والثوابت الإيجابية المتعارف عليها التي تحفظ هويتنـا الشعـريـة من الضيـاع، وأصـالتنـا القـوميـة من التحلل والغـروب، تلـك الثـوابت والأصول التـي تتمثَّـلُ بعـدم الوصـول إلى «التعتيم والتَّشتُّت والضياع وغياب المعنى في مجال المضمون»، وإلى «التحرر الكامل من شرطيْ التفعيلة والقافية المنوعـة وبالتالي فقدان الضوابط الإيقاعية والوقوف على النهايات في مجال الشكل»، هذا من جهــة، ومن جهـة أخرى، فيجب علينا نحن الشعراء والكتّـاب العرب الذين نعيش الـربع الأخير من القرن العشرين أن نعـي جيدًا الحقائق التالية:

١ ـ إنَّ لـلأدب (شعرًا كـان أم نثرًا) هدفًـا إنسانيًـا أو قوميًـا أو اجتماعيًا أو تربويًا واضحًا ومحددًا يجب أن يصـل إليه القراء في نهاية المطاف، ونحن نكتب لأنـاس يجب أن يفهمـوا ما نكتبه لهم ليتمثَّلُـوهُ ويعملوا بـه ويستفيـدوا منه، وإلا أضعنـا الهدف الـرئيسي لـلأدب، وأضعنـا معه بـالتـالي أنفسنـا وقُرَّاءنـا ومجتمعنا والآخـرين، إننا نكتب للإنسـان العربي وليس لمخلوقـات من كوكب آخـر.

٢ ـ يجب أن نعتــزَّ بالقسم المضيء من الشعــر الحديث اعتزازنـا بـالقسم المضيء من الشعر القـديم، ولا داعي على الإطـلاق للتعصب أو التشنـج أو ادعـاء مُلْكيـة الحقيقـة بشكـل منفرد في هـذا المجـال، وبـالتالي الـوصول إلى النظرة الضيقـة الأحادية الجانب، وهو مـا ينفذه حاليًـا ـ وبكل أسف ـ الجناح المتطرف في كلتـا المدرستين الشعـريتين الكلاسيكية والحديثة على حــد سواء، ذلـك أن الشعـر شعرٌ سـواءٌ اعتمد هـذه المدرسة أم تلك، شريطـة أن تنطبق عليه موازين الجودة الفنيـة التي تُحـدِّدهـا كل من المدرستين، وأن يُحققهـا.

٣ ـ ضرورة التفريق والتمييـز بين فتح نوافذنا لأنسام الآخـرين بغية إغنـاء تجاربنـا الشعريـة من خـلال التفـاعل مع تلك الأنســام الإنسانيـة من أجــل الوصول إلى الأفضل والأكمـل، وبين السماح لتلك الـرياح بطمس معـالمنـا الواضحة الـمُميَّـزة وهُويَّتنـا الأدبيـة الأصيلة واقتلاعنا من الجذور، وهو ما لا تريـده لنفسها أمـة من الأمم أو شعبٌ من الشعوب، ولا سيما إذا كـان لـه من ماضيه الشعري العريق الضارب في أعمق أعماق الزمن والإنسان تراثٌ عريضٌ يُجنّبـه الضياع في زحمة الـوجوه المستعارة ولجـة التيارات الوافــدة بحجة الحداثة والمعاصرة الزائفتين، لا الحقيقيتين.

٤ ـ يجب الابتعاد عن المبالغين في الصرعات والتجـارب الشعـرية التي تكـاد تنخلع من كل مـلامح الشعـر وفنيتــه ومـواصفـاتـه كجنس أدبي مُستقل لــه خصائصـه وتميُّزه وخصـوصيـاتـه منذ آلاف السنين، كما أرى أن من الحكمـــة بمكان الابتعاد أيضًـا عن المغرقين في السلفيـة الشعـريـة الذين يُحيطون التراث الشعري ككـل بهالـة من القداسة، فيدافعـون عن القديم أيـًّا كانتْ درجتُـه الفنية ومكـانه في الصف الأدبي، لأنني على يقين تــام بأننا لـو حذفنـا سبعين بـالمائة من النِّتـاجَيْن الشعـريين القـديم والحديث لبقي كـلاهُما سليماً مُعـافىً، وبألف خير.

هذا مـا أردتُ قولـه في نهايـة هذا البحث، وكُلِّـي أملٌ أن أكـون قد وفِّقتُ وتمكنت من إصابة الهدف الـمُتمثِّلِ بالوصول إلى الحقيقـة الموضوعية، وإذا كان لي من كلمـة أخيرة حول هذا الموضوع، فهي **أننـا نحن ـ أُدبــاء وشعراء العقد الأخير من القـرن العشريــن ـ مُطـالبـون أكثـر من أي وقت مضى بالحداثــة والمعاصرة والتجديـد، مع الحفـاظ على تراث الأمـة العربيـة الخالد، والاتكـاء على جوانبـه الـمُضيئـة المشبعـة بالايجابيـة والروح الإنسانية الفاعلــة البنَّـاءة. يجب أن نكون مع الشعر الجيد أيـًّا كانت مدرسته الفنية التي ينتمي إليها، يجب أن نكون مع الشعـر الحديث الذي يعتمـد وحدة التفعيلـة شكـلاً للقصيدة ولا يتخلى عنها، ويقف على النهايات وإن تنوعـتْ في القصيدة الواحدة ويستخدم الرمـز ضمن حدود الحاجة، فيسقطـه إسقاطًـا حضاريًا واعيًـا على واقع حياتي معيش لينفذَ من خلالــه إلى رؤية واضحة للقضايا المطروحــة، رؤية تصل إلى غايتها المنشودة بكل دقـة، وتُصيب أهدافها بكل إحكـام.**

يجب أن نكـون مع الشعر الحديـث المعاصر الـذي يعتمـد وحدة التفعيلـة وتنطبق عليـه تتمة المواصفـات التي ذكـرت، كما نحن مع الشعر الكـلاسيكي الأصيل الذي يعتمد وحـدة البحر شكلاً للقصيدة، وتسكنه الحداثة والمعاصرة التي لا غنى لكـل شاعر معاصر عنهما، ويُمثِّل تطلعات وطموحات مجتمعات القرن العشرين. وبمعنى آخر يجب أن نكون مع الشعراء: **بدر شاكر السياب ونزار قبـاني وعبد الـوهاب البيـاتي وعبد المعطي حجـازي وصلاح عبـد الصبور ومحمود درويش ومحمد الفيتوري وخليل الحاوي** على سبيل المثال، كما نحن مع الشعراء: **المتنبي والبحتري وأبي تمـام والمعري وشوقـي وحافظ وعمـر أبي ريشـة والأخطل الصغير وبـدوي الجبل وبـدر الـدين الحامد وحـامـد حسن ووجيـه البارودي ونديم محمـد وعلي محمود طه ومحمد الحريـري على سبيل المثال أيضًا، ويجب أن نرفض بحزم مـا يسمَّى** «بالقصيدة النثرية» التي تتحلل كليًـا من أي ضابطٍ إيقاعي، أيًا كان مصدرها، ومهما حملت معها من أفكارٍ وفنيةٍ وجمـال، إنهـا ـ والحالـة هذه ـ قطعة نثرٍ فني يمكن أن توصف بالجودة أو عكسها، ولا يمكن تصنيفها في قـاموس الشعر، أو إطلاق لقب «قصيدة» عليهـا بحال من الأحـوال.

أمـا إذا كـان «البعض» يرى غير مـا أرى في هذا المجـال، ويُلِحُّ على تبنِّي الشكل الجديد وحده قالبًا للقصيدة، ويرفض بالتالي أن يكتب الشعراء في هذه الأيام على طريقة المتنبي والبحتري ـ حتى ولــو تناولـوا موضوعاتٍ معاصرة من خلال صياغـة حـديثة، وكانوا في متـانة الأول ورقّة الثاني ـ ويبلـغ به التسامح أحيانـًا حدَّ التحلل الكـامل من أيِّ ضابطٍ إيقاعي (تفعيلـة وقافيـة منوعـة)؛ فأقـول لذلك «البعض» من الغُـلاة والمتطرفين عن قنـاعةٍ تـامةٍ، وبكل محبـةٍ واحترام: «لكـم دينكم ولي دين»؛ لأنني من الـذين يؤمنـون أن حريتي يجب أن تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين!

(تمت)

الهوامش

(٩) انظر كتاب «الغربال» للناقد والشاعر اللبناني «ميخائيل نعيمه».

(١٠) انظر كتاب «قضايا العشر الحديث»، وكذلك مجلة «الشراع» اللبنانية المذكورين في الحاشية رقم (٥)

في ذكرى

شعر: مجدي حسن الشافعي

لله رَبِّ العَالمينَ وَلاَئِي ... ولهُ صلاتِي في الدُّجَىٰ ودُعائي

وَجّهتُ وجْهِيَ لِلّذي فَطَرَ السَّمَا ... وَهَدَىٰ الأَنَامَ لنُورِهِ الوَضّاءِ

سُبحانَهُ نُورُ الوجُودِ بأسرِهِ ... ومَلاذُ كلِّ الخلقِ في الضّرّاءِ

لِجَلالِهِ عَنَتِ الوجُوهُ وأذْعَنَتْ ... ترجُوهُ فيضًا مِنْ جزيلِ عطاءِ

فهُوَ الكريمُ وليْسَ يُحصَىٰ فضلُهُ ... وسَخاؤُهُ قد فَاق كلَّ سَخَاءِ

إذْ أرسَلَ «الهَادِي» بشيرًا لِلْوَرَىٰ ... بشريعةٍ ميمونةٍ غرّاءِ

في «ليلَةِ القَدْرِ» المباركةِ التي ... قد خصَّهَا الرّحمنُ بالآلاَءِ

أوحَىٰ إليهِ «اقْرَأْ» فَعَمّ ضِيَاؤُهَا ... كُلَّ البسيطةِ مِنْ وراءِ «حِرَاءِ»

والصُّبْحُ أشْرَقَ بعدَ لَيْلٍ حَالِكٍ ... والخيْرُ فاضَ بسائرِ الأرجاءِ

سُبْحانَ رَبِّ النَّاسِ جَلّ جلالُهُ ... ولهُ الدُّنَا تشدُو على استحياءِ

والكونُ بَاتَ لهُ يُسَبِّحُ خاشِعًا ... مُتَبَتِّلاً في «ليلةِ الإِسْراءِ»

وَ «مُحَمَّدٌ» في عُرْسِهِ مُتَألِّقًا ... في هالةِ الرّحماتِ والأضواءِ

في «مَوْكبٍ» فَخْمٍ مهيبٍ يَمْتَطِي ... ظهرَ «البُراقِ» بعزَّةٍ وإباءِ

وَ «الرُّوحُ» بينَ يديْهِ يَسْعَىٰ حاملاً ... لِلْمِلّةِ السّمْحَاءِ خيرِ لِوَاءِ

وملائِكُ الرّحْمٰن سَارُوا خُشَّعًا ... في «مَوْكبٍ» يَزْهُو بكلّ رُوَاءِ

فهُوَ «الإمَامُ» مكانُهُ ومقامُهُ ... فوقَ السُّهَىٰ والأَنْجُمِ الزهراءِ

واللهُ – جلّ جلالُهُ – أسرىٰ بهِ ... وأراهُ مِنْ «آياتهِ» العظماءِ

مَنْ مِثْلُ «أحْمَدَ» حازَ قدْرًا عاليًا ... وسَمَا سُمُوًّا فوقَ كلِّ سَمَاءِ ؟

ودَنَا دُنُوًّا حيثُ كلَّم رَبَّهُ ... وَرَأَىٰ مشاهِدَ نُورهِ الَّلألاءِ ؟

الأسراء

وتبارَكَ الرحمٰنُ «ليس كمثلهِ　　　شيءٌ» ولاَ أُحْصِي عليه ثنائِي
وهنا أكُفُّ عن الحديثِ تأثُّمًا　　　مِنْ أنْ أخوضَ كعادةِ الشُّعراءِ
وأقومُ للهِ العظيمِ مُصليًّا　　　مستغرقًا أشكُو لهُ بُرَحَائِي
وأَبُثُّهُ حُزني وآهاتي التي　　　قد أثقلتْ قلبي صباحَ مساءِ
«فالمسجدُ الأقصى» المباركُ حولهُ　　　أضحَىٰ يئنُّ بقبضَةِ الأعداءِ
أقسمتُ لن يبقى «اللَّئِيمُ» بساحِهِ　　　مُتَواجدًا إلاَّ على أشْلائِي
لأُطهِّرنَّ «القُدْسَ» من أرجاسهِ　　　أو أنْ تُراقَ عَلَى التُّرابِ دِمائِي
وستشهدُ «الأيامُ» صِدْقَ عَزيمتي　　　وصلابِتِي في ساحة الهيجَاءِ
وستعلمُ الدُّنيَا بأنَّ «محمدًا»　　　أتباعُهُ لِلْحقِّ جُنْدُ فِدَاءِ
يا إخوةَ الإسلامِ : هُبُّوا وانْهضُوا　　　في قُوَّةٍ وعزيمةٍ ومَضَاءِ
«فالقُدْس» تَدْعُوكُمْ إلى تخليصهَا　　　مِنْ قبضَةِ الأوْغَادِ والسُّفَهَاءِ
يا إخوةَ الإسلامِ : حيّ على الفِدَا　　　حتى نحُوزَ مكانةَ الشُّهداءِ
فإلى مَتَى يبقَى «ابنُ آوىٰ» ثاويًا　　　في «قُدْسِنَا» كالحيَّةِ الرَّقْطاءِ ؟
«واللاَّجئُونَ» لدى الخيامِ إلى متى　　　في صيفِ قيظٍ مُرْهِقٍ وشِتَاءِ ؟
يتجرّعُونَ كُؤُوسَ فقر مُدْقِع　　　وبأَرْضِهِمْ يَحْيَوْنَ كالغُربَاءِ !
«أطفالُهُمْ» تَخِذُوا «الحجارةَ» مِدفعًا　　　فإذَا «الصَّدَىٰ» في سائرِ الأَنْحَاءِ
قد أعلنُوا حربًا على أعدائهمْ　　　يبغُونَ عيشَ السَّادَةِ الشُّرفَاءِ
يا إخوتِي : قُومُوا نُقَوّي أزرهُمْ　　　في غمرةِ الأمواجِ والأنواءِ
لاَ يَسْتَوِي عندَ «المُهيمنِ» قاعدٌ　　　ومجاهدٌ يسعَىٰ إلى العَلْيَاءِ
مَنْ جاهدُوا فازُوا برحمةِ ربِّهِمْ　　　وثوابِهِ في الجَنَّةِ الفيحَاءِ

الدار الأخرى

قصة قصيرة

شعر بكف الحلاق راسخة حارة تلتف حول عضده، فوكزها متذمرا، واندفع من فمه الفارغ هواء، يقول: دعني وشأني.

يوسف أبوريه

الريح . . الريح عبأت جلبابه، دوّمت حوله، رفعته وحطته، فكان يدفع بدنه الناحل إلى الأمام، قارب من ألواح خشبية عتيقة يلاطمه الموج العاتي، هل ما يسمعه هدير الماء ؟ أم ضجيج السوق ؟ هو يخترق لحم النسوة، في ذلك الضحى العاصف، انسل من فراشه، في بيت ابنته الوحيدة، فقد جاءه على هيئة حمامة بيضاء مرفرفة تنقر زجاج النافذة، ولم يكن ليتصور أن يستقبله في غير داره.

البنت كانت في المطبخ مشغولة بطعام الغداء، للزوج وللعيال، تردد مقاطع أغنية وهي تدير ظهرها للباب.

قام بعافية مهر، يرتدي الجلباب على القميص الأبيض، وحبك الطاقية البيضاء وسحب النعل من تحت السرير، ودّع علب الدواء، وأنبوب «الجلوكوز»، وإناء البول، وعدة الأسنان، والشعاع المخنوق بزجاج الغرفة. هل الشارع هو الشارع ؟ إنه يسير بذاكرة الأقدام، خيط غير مرئي علق في رقبته، يجذبه بلطف؛ لأنه صاحب الجبروت، لأنه القوي الذي لا يرد، فهو يأخذ بيده، لا إرادة له بالمرة، فيما يقوم به الآن، مجرد استجابة للنداء، يعبر الشارع الرئيسي، النسوة زنابير تطن، وحوارات حادة بين البائع والمشتري، وروائح الخضار المدهوكة بالأرض تنفذ إلى أنفه.

هو يسير في مدينة من الأشباح. تدنو السحنات إلى مجال النظر، متضخمة، بأفواه مشوهة، تطلق الطنين المكتوم، وهو لا يلوي على شئ، يده المعروقة سقطت بإرادة منها، لترفع طرف الجلباب، أيعرفه ذلك الشخص الذي يقف على طوار صالون الحلاقة ؟ طلّت عليه وجوه المكرورة على الحوائط ورفع يدا إلى رأسه، هيىء له أنه يحييه، سمع صوتًا يخرج من جوفه، ومن جمله المكسورة، التقطت أذنه كلمة أو كلمتين: سلامتك . . ألف . . هيىء له أن وجهًا واحدًا من وجوه الرجل اتجه نحوه، واقترب منه جدًا، انحرف إلى الشارع المتفرع جهة اليمين، أحس أنه يميل كثيرا إلى الأمام، وأن الأرض تطوى تحت قدميه، فمال إلى الجدار، وارتكن إليه بيمناه. أجرام البيوت والكائنات التي تسعى من حوله تتبعج كأنه ينظر إلى مرآة مهشمة، وأصوات آلية مبتورة تخرج من فتحات الدور، أيكون هذا الصوت الذي غلب على الأصوات جميعا هو لمؤذن الحي ؟ هذا الحد من الظل يتوافق مع أذان الظهر، ها هي الذاكرة الحية تستعاد؛ لأنه دخل مكان الألفة، ها هو بيته القديم، سيتأكد لما يفتح الباب، ويرى مستطيل الشمس يلامس أول الكنبة، فيجزم لنفسه: إنه أذان الظهر.

وتذكر أن يده (العرقانة) تقبض على المفتاح، كيف عثر عليه ؟ يذكر أنهم حين جاءوا ليرفعوه إلى هناك، لم يترك المفتاح من يده.

الآن هو داخل ردهة داره، شم أنفه رائحة العتمة والرطوبة، والعناكب التي نسجت خيوطها في الأركان انتبهت للضوء وبدأت تتحرك في بيوتها بحذر. خرجت من حلقه سعلة لا إرادية، ووجد نفسه يقف أمام الصنبور، سال منه ماء، أصفر عَكِر، فغسل الكفين حتى الرُّسغين، واستنشق الماء ثلاثا، ومضمضه ثلاثا، ورفع الماء إلى زنده حتى المرفقين، ومسح منه على رأسه، ودعك بأصبعين في الأذنين، واستند على الحائط ليرفع الساق اليمنى وأنزلها، ثم رفع الساق اليسرى.

عاد بظهره إلى الكنبة، وسقط عليها وهو يلهث من الجهد، وثار حوله غبار خفيف.

فيما بعد سمع غناءها يأتيه من الداخل، فانتابته يقظة مضاعفة، تلفت جهة الصوت، وقطع الغناء بسؤاله: خلّصت يا حاجة ؟

سمعها ترد عليه: مسافة الصلاة يكون الأكل جاهزا.

رائحة طعامها فاحت في المكان، وضجت الدار بصوت (الوابور) الذي يتداخل مع غنائها.

أشرق الوجه المتغضن بابتسامة وهو ينظر إليها تلوح من باب المطبخ، وتمكن منه الشوق إليها، فتحامل على نفسه ليراها قبل الذهاب إلى الجامع. أراد أن يقوم، غير أن الخيوط الكثيفة تمكنت منه، وتزايد حوله النسج، فاستسلم لجلسته، وانفلت الرأس إلى الوراء، ليرتاح على المسند.

جاءه القط الأسود من عتمة الداخل، ودنا من قدميه يلعق ماء الوضوء، ثم واتته قوته الحيوانية المخزونة، فوثب إلى حجره ليلعق الماء الذي يقطر من أصابع اليد الباردة.

هل يجب حرق ديكارت؟



ديكارت

نافذة على ثقافة الغرب



إعـداد:
غونيته باسس باسترناك
مـراجعـة:
د. محمود الحبيب الذوّادي

يتكون هذا الكتاب(*) (٢٧٠ صفحة من الحجم المتوسط) من بابَيْن رئيسيين ومقدمتيْن. و «اللانظام المنظِّـم» **le désordre organisateur** هو عنوان البـاب الأول من الكتاب والذي يستأثر بأكثر من نصف الكتاب (ص ٣١ ـ ١٩٣).

أما البـاب الثاني فقـد اختارت المشرفـة على الكتـاب: «الذكـاء الاصطنـاعي: هل هو أسطورة أم حقيقة؟» عنوانًا لـه. وبالنسبة للعنـوان الذي يتصدر مقدمـة المشرفة نفسها فقد كان هو الآخر في جزء منه في صيغـة تساؤل: «المصادفـة أم الحتمية؟ العلم في المحكمة». وأخيرا فالمقدمة الثانية **prologue** هي عبـارة عن حوار أجرتـه المشرفـة مع العـالِم رِينـي طُـومْ **René Thom** الـذي يُلَـقَّـبُ بعالِم ريـاضيات الكـوارث **matématicien des 'catastrophes'** وهو حـوار يتطرق إلى طبيعة مسيرة العلـوم واكتشاف وتطويـر المفاهيم والقوانين والنظريات فيهـا.

إذن فموضوعـات الكتاب الذي بين أيدينـا تدور حول العلم الحديث، بما في ذلك النوع المختص بالذكـاء الاصطنـاعي **Intelligence Artificielle**. والكتـاب هـو حصيلـة لمقابـلات أجرتها جِيتَّـا بَسِيَسْـتَـرْنكْ مع ثُلَّـة مختارة ومتنوعـة الاختصـاصات من العلماء الغـربيين المحدثين. ففي البـاب الأول تمّت محـاورة اثنـي عشر عالـمًـا من اختصاصـات علميـة مختلفـة مثل الكيميـاء والبيولوجيا وفلسفـة العلـوم والفيزياء وعلـم الوراثـة. أمـا في باب الذكـاء الاصطناعي فقد تـوجهت المشرفـة على الكتاب بأسئِلتهـا إلى ست شخصيات مختصة بمسألـة الذكـاء الاصطناعي والبشري.

من روّاد العلـم الجديد

إن البــاب الأول من الكتــاب يعــرض كما ذكرنـا، إلى آراء بعض العلمـاء الغـربيين البارزين وتحليـلاتهم بخصـوص بعض القضـايـا العلمية الرئيسـة التي تنتمي إلى دنيـا البحث الأسـاسـي Bas ic Rescarch كما يُطلَقُ على ذلك في مصطلح العلـوم الحديثة. فنظريات «اللانظـام» والفوضى والتشكك في مبدأ الحتميـة تأتي في طليعـة ملامـح الرؤيــة العلميــة الجديـدة التي تتبنـاهـا أغلبية الشخصيـات العلميـة المشاركـة في حـوارات هـذا الكتـاب. ويمكن الاقتصار هنـا على ذكـر بعض



هل يجب حرق ديكارت؟

أسماء هؤلاء العلماء وطبيعة اختصاصاتهم العلمية.

فالكيميائي إيليا بْرِيجُوجِينْ Ilya Prigogine هو أستاذ بالجامعة الحرة ببروكسل، وحائز على جائزة نوبل في الكيمياء وعضو في أكاديمية العلوم البلجيكية. أما الأستاذ ألبير جَكَارْ Albert Jacquard الفرنسي فهو مدير معهد علم الوراثة Génétique في بلاده، وقد قام بنشر عدد من الكتب في ميدان اختصاصه، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والأجنبية. أما المؤرخ وفيلسوف العلوم بُولْ فَايِرْ أَبِنْدْ Paul Fayerabend فهو أستاذ بجامعة بَرْكْلِي بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية كما أنه يتعاون مع معهد التكنولوجيا بزوريخ بسويسرا. وأخيرا فعالم الاجتماع والفيلسوف إدْجَارْ مُورَانْ Edgar Marin يُعرف عنه اهتمامه الكبير بنظرية المعرفة épistémologie . يعمل موران مديرًا للبحوث بالمركز الوطني للبحوث العلمية CNRS بمدينة باريس. كما أنه يشرف على مركز الدراسات المتعددة الاختصاصات بالمدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية L'école des hautes études en sciences sociales.

أما بشأن العلماء المختصين بدراسة ظاهرتيْ الذكاء الاصطناعي والبشري فيمكن الاكتفاء بذكر اسمين من عينة الشخصيات الست الواردة في الكتاب في الباب الثاني منه كما أشرنا سابقًا. إنهما فيلسوف وعالم مختص في هندسة الذكاء، وهما شخصيتان تُمثلان الانقسام الشديد الذي يعرفه نقاشُ المختصين في هذين النوعين من الذكاء. إن الفيلسوف هيُوبِرْتْ دْرَايْفُوس Hubert Drayfus يشغل منصب أستاذ فلسفة بجامعة برْكلي بكاليفورنيا. أما الأستاذ إدْوَارْدْ فَايْجِنْبَاوْمْ Edward Feigenbaum فهو مختص في الإعلامية Informatique بجامعة ستانفورد Stanford بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية أيضا.

عيّناتٌ من أفكار الكتاب

إن مقولة الحوارات التي جمعتها المشرفة على هذا الكتاب يلخصها العنوان الرئيسي **«هل يجب حرق ديكارت؟»** والعنوان الفرعي للكتاب: «من الفوضى إلى الذكاء الاصطناعي: عندما يسأل العلماء أنفسهم». **فالتشكك في الفكر والمنهج** الديكارتيين أصبح قضية مطروحة عند أغلبية هذه النخبة من العلماء.

فكما هو معروف، فالنظرة الديكارتية تتبنى العقلانية إلى أقصى درجة في فهمها وتفسيرها للظواهر، فترى أن هذه الأخيرة تخضع إلى سُنَّةِ نظام مطلق لا يعرف الفوضى. وفي مقابل هذا التصور العقلاني، أماطت اللثام اكتشافات علمية حديثة **بأن الأمر ليس دائما كذلك**. فالفوضى وغياب النظام Chaos et désordre يؤثران من ناحيتهما أيضا على مسيرة الأحداث والظواهر الكونية.

فها هو بُولْ فَايِرْ أَبِنْدْ يُجيب على أسئلة محاورته «بأن البحث العلمي هو مزيج من **الحدس والعقلانية**» ص ٩٧. بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك حين يقول إنَّه «يأمل أن يتم التحالف بين العلم والشعر» ص ١٠١.

> ❝ رؤيتا ديكارت وكونت تتسمان بالإطلاق والتناقض مع طبيعة البحث العلمي. ❞

أما إيليا برِيجُوجِينْ فيؤكد «أن العالَمَ الذي تصفه العلوم الحديثة هو عَالَمٌ تلعب فيه **المصادفة** دورًا متزايدًا» ص ٣٥ «ورغم المحاولات المتعددة قصد الرجوع إلى الحتمية التقليدية (التي نادت بها العلوم الكلاسيكية) فإن الاحتمالات les prabibilités تستمر في القيام بدور حاسم فيها» ص ٣٥. وهكذا يرى أن العلوم الحديثة دخلت فعلا اليوم مرحلة التعديل في مفاهيمها. «فالعلم الحديث الجديد يُعطينا صورةً أقل تشوبها مما فعلته تلقائيًا القوانين الحتمية الكلاسيكية».

ويُعبّر فَايِرْ أَبِنْدْ عن تفاؤله بالرؤية الجديدة للعلم بقوله «فالعلم الجديد يُعبّر عن تساؤلنا أمام عالَم أكثر تعقيدًا أو أكثر مفاجأةً مما لم يقدر العلم الكلاسيكي تخيله. فعلينا إذن أن نتخلى عن الفكرة القائلة بأننا قمنا بعملية مسح معرفية كاملة للعالَم. فالعالِم يحتاج للتحرّر من الروابط الأيديولوجية للقرن السابع عشر بأوربا وذلك من أجل البحث عن لغة كونية أكثر احتراما للتقاليد والإشكاليات الأخرى» ص ٤١. وبالنسبة للفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إدْجَارْ موران فإن اكتشاف ازدواجية «النظام واللانظام» من طرف الرؤية العلمية الجديدة تُعطي حركية رئيسة لمسيرة الكون «وفي الواقع فإن النظر إلى «النظام واللانظام» كُلٌّ على حدّة يعتبر مصيبة. فالكون الذي لا يسود فيه إلاّ النظام يكون فضاءً يغيب فيه الجديد والخلق. وفي المقابل فإن كونًا فوضويًا لا يقدر على خلق النظام. فيكون غير مؤهل للنمو والابتكار. ولذلك **نحتاج إلى تصورٍ للكون على أنه نظام، فوضى، تفاعل، تنظيم**. إن مثل هذا التصور لا يُعطينا مفتاحَ الكون، وإنما يسمح لنا بفهمه واكتشاف مدى تعقيده. فهدف المعرفة لا يتمثل في اكتشاف سرّ العالم في مفهوم واحد، وإنما في الحوار معه» ص ٨٥ ـ ٨٦.

إن اعتراف الرؤية العلمية الجديدة بوجود ظاهرة الأضداد كواقع كوني يرى فيها العالم

الفيـزيـائي، كما رأينـا عنـد مُـورَانْ، الكثير من الإيجابيات. ففريتجون كَابْـرَا Fritjof Capra ينظر إلى المسألـة هكـذا: «**إن الرؤية العقـلانية تميل إلى** رؤية الواقع بطريقة **سكونية** غير قادرة على التوفيق بين «الأضداد». بينما الفكـر الديناميكي يبـدو أنه أكثر قدرة على التوحيد بينهمـا، فالفلسفـات التي تتبنى هذه الرؤيـة مثل رؤيتَـيْ هِيـرَكْلِيت، Héra-clite وتَـاوُ Tao اللتيْـن تُبرزان وحدة الأضـداد والمتمثلـة في يِـنْ يَنْـغْ Yin Yang فالرؤيـة الديناميكيـة هذه ظهرت اليوم في العلـوم وخاصة في علم الفيزياء. فعالم الفيزياء نِيلْس بُـوهْـرْ Niels Bohr قـام بتوحيد الذبذبة onde والذرّة particule في ما سماه **بقانون التكامل**. إنّ نظريـة الأنسـاق Theories des systèmes تُشيـر إلى أن فهم الحياة على كل المستويات تنطلق من توحيد الأضداد» ص ١٢٨. ويضيف كابرا إلى «**أن بُـوهْـركـان أقرب إلى المتصوف منه إلى العالم**» ص ١٢٩.

ويفسر كـابـرا في النهايـة سبب انجـذابـه إلى الفلسفـات الشرقية: «كنتُ مجذوبا إلى الفلسفـات الشرقية وخاصة البوذية منها لأني كنت أعتبر دائمـا أن الجـانب الحـركـي من الكـــون هـو الجوهـر» ص١٣١.

أمـا في ميدان الذكاء الاصطناعي فالمشرفـة على الكتاب جمعت آراءً أكثر اختلافا في هذا البـاب مما نجده في الباب الأول من الكتاب. ونقتصر هنا على عـرض نمـوذجين متقـابلين بخصـوص الذكـاء الاصطنـاعي. فـالفيلسـوف هيُـوبرتْ دْرَايفُـوسْ يُجيب محاورتـه حول ذكـاء الحاسوب بقولـه: «أنـا لستُ ضد الفكرة التي تقـول بأن الحاسوب يمكن أن يكون ذكيّا. وإنمـا أتحدى أنا فـروض الأنساق الرموزية les systémes symboliques التي ترى أننا نحن البشر والحاسُوبات صنفـان من الكائنات تنتمي إلى جنس واحد، خاصة ذلك الجنس الذي يستعمل الرموز للتعبير عن العالـم الخارجي. فهذا التصور لا يتـمـاشى في اتـجاه الذكـاء الحقيقـي» ص٢١٤.

ويضيف دْرايفُوس «بأنه حتى الحاسوب الأكثر إنجازًا والأكثـر قوة وفـاعلية لا يستطيع فهـم قصة يفهمها الطفل البالغ من العمـر أربعَ سنوات. إذ إن هذا الأخير يعتمد على التجـربة اليومية العـادية بينما لا يستعمل الحاسـوب إلاّ المنطق. ففقـدان الحاسوب لجسـم وعواطف ولغـة . . . يجعلـه لا يفهم الأشيـاء التي نجدها نحن البشر أكثر الأمـور بسـاطـة» ص ٢١٦. «. . . إن تفكيرنـا أكثـر تعقيدًا. فنحن نفكر بالحدس وباستعمـال الأمثلة» ص٢١٧.

أمّـا أستاذ الإعـلامية فَـانْجِـنْـبَـاوِمْ فهو يتبنى مــوقفًـا متفـائلا بــالنسبـة لمستقبل الذكـــاء الاصطنـاعي. فهو يـرى «أنــه في يوم من الأيـام، سوف يكون لنـا بالضبط الإنسان الآلي Robot ذو الذكاء المساوي لـذكائنا» ص ٢٢٠. ولا يتردد هذا العالِم في الإجابة على مُحَاورتـه بكثير من التفـاؤل بشأن المستقبل الواعد للذكـاء الاصطنـاعي: «إذا كنتِ تُـريـدين معرفـة خط الحاسـوبـات العاقلـة والمستعملة للغـة الطبيعية في أن تُصبح ذكيـة مثل الإنسان في ميادين المعارف المختصة في عام ٢٠٠٠ م، فإني أستطيع أن أقـول لـكِ إن ذلك مـا سـوف يحدث بالفعل، بينما بالنسبة لميادين المعرفـة العامـة فيجب الانتظار لمـدة أطول. وبخصـوص الزعـم الذي يدّعـي بأن «الحـدس» و «الخيال» البشريـيْـن لا يمكن إنجازهمـا عند الحاسوب، فأقول إن ذلك خطأ. فمُـخّنـا ليس إلاّ آلـة قويـة في التعامل مع المعلومـات. وليس أكثر من ذلك» ص ٢٢٢.

مقولـة الرؤية العلمية الجديدة

إن رسالة معظم هذه الحوارات مع هذه النخبة من علمـاء الغرب تُشير بكثير من الوضوح إلى تجلّي مـلامح مـا بـدأ يُطلق عليه مصطلـح «العلـم الجديد» The New Science [1]. وهـو العلم الــذي يتبنى رؤيـــة تختلف عن رؤيـــة العلم الكلاسيكـي (القديم) الـذي نـادى بـه ديكـارت ومن جاء بعده من العلمـــاء والفلاسفـة منذ عصر النهضـة.

فمن جهـة، اقترنت رؤيـةُ العلـم الكلاسيكي بالتمييـــز الديكـارتي الجذري بين العقل (الـروح) والمـادة، ومن جهـة ثانية فإن العالم نيوتـن Newton ومن تبعه من العلمـــاء تبنوا رؤية علميـة تنظر إلى العالم وكأنـــه **ساعةٌ ضخمـة** لا تعـرف قوانينُهـا التغيير. وهي في نهايـة الأمـــر قوانين ذات طبيعـة حتمية. فإذا عرفنـا الحاضر، فإنـه يمكن لنـا التنبؤ بالمستقبل.

أمـا الرؤية العلمية المطروحة في صفحات هذا الكتـاب فهي تسعى في معظمهـا إلى التأكيـد على ضرورة وضع حــدّ للتقسيـم بين العقل (الـــروح) والمادة، ومنـــــــه التخلـص مـن الجـانب الآلي (الميكانيكي) في تصورنـــا للعالـم الذي عُـــرف به العلم الكلاسيكي كما أشرنـا.

مقولة الكتاب ورد المثقف العربي المسلم

إن القـراءة الجديـة لمحتوى هـذا الكتـاب من طرف العلماء والمثقفين لا يمكن إلاّ أن تُثير رد فعل بينهم. ونهتم بسبر مـوقف المثقف العربي المسلـــم من مقولـة حوارات هذا الكتاب فيُمكن القول بأن رد المثقف العربي المسلـم بهذا الخصوص لا يمكن أن يكون متجانسا. ويجوز الحديث عن صنفيْـن من الـردود:

(١) رد المثقف العــربي المسلم ذي التكـــوين الثقافي الغربي.

(٢) رد المثقف العـربي المسلـم التقليـدي، أو المتزن تكوينه الثقافي بين الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية.

فـالمثقف العربي المسلـم الـذي تغلب عليه **رمـــوز الثقافـــة الغربيـــة** (من لغـــة وفكـــر

الرؤيـة العلمية المطروحة في الكتاب تؤكد على ضرورة التخلص من الجانب الآلي في تصورنا للعالم.



هل يجب حرق ديكارت ؟

وأيديولوجيا . .) لا يُنتظر أن يكون رد فعله **باللامبالاة**، وهو بهذا الاعتبار يصعب أن يختلف كثيرًا عن رد نظيره الغربي . فرؤية العلم الجديد تمس أمرا مركزيا في تكوينه كمثقف متشبع بالرؤية الكلاسيكية للعلم والثقافة الغربيين . وهو يشبه على هذا المستوى حالة المثقف الماركسي الذي يُشاهد بأم عينه سقوط الشيوعية في منبتها الأول في ما كان يُدعى بالاتحاد السوفييتي .

فرد الفعل المنتظر من هذا الصنف من المثقف العربي المسلم **الجدّي** لن يكون **أقلّ** من ظهور حالة نفسية من الحيرة والتمزق الداخلي والضبابية المعرفية . إذ إنّ فكر المثقف يعتمد في كينونته ومصيره على سلامة تصوراته الأبستيمولوجية ومفاهيمه ونظرياته . فعند حصول ارتباك لجزء من ترسانته المعرفية فإنه يصعب على المثقف التمتع بالصفاء الذهني المعرفي، وبالتالي الهدوء النفسي الداخلي . فما بالنا إذا كانت عملية الارتباك تمس أكثر من جزء، وربما تنال الأسس ذاتها لترسانة المعرفة عند هذا النوع من المثقفين ؟!

أما رد فعل الصنف الثاني لمثقفنا العربي المسلم فسوف يختلف اختلافا كبيرًا عما رأيناه عند الصنف الأول . فدعوة رؤية العلم الجديد إلى التوحيد بين عناصر ظواهر الكون (الروح والمادة) **ليس فيها أي إزعاج** للمثقف العربي المسلم التقليدي أو المتزن التكوين في الثقافتين .

فالإسلام هو أولا وقبل كل شيء، دين الوحدانية في أوسع معانيها . وإن ظهور العلوم والمعارف ونموها في أوج عزّ تطور الحضارة العربية الإسلامية شاهد على ذلك . فهذه الحضارة لم تعرف الفصل بين الديني والعلمي والصراع بينهما كما عرفت ذلك الحضارة الغربية منذ عصر النهضة .

ففي الرؤية الإسلامية تبقى مغامرة كسب رهان العلم/ المعرفة لدى معشر البشر دائما مغامرةً **محدودةَ الآفاق** . ألم يؤكد القرآن مرارًا أن العلم والمعرفة المطلقيْن بأسرار الكون وظواهره المختلفة هما في حوزة الله وحده **﴿وفوقَ كل ذي علم عليم﴾** يوسف ٧٦ . أما العلم والمعرفة اللذان يمكن أن يظفر بهما بنو آدم، فطبيعتهما تظل قاصرة مهما تقدم ركب الاكتشافات العلمية والمعرفية لأسرار هذا الكون **﴿وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾** الإسراء ٨٥ .

> **عبارة "الله أعلم" التي يرددها العلماء المسلمون هي الأكثر تعبيرًا عن محدودية العلم البشري**

ومن ذلك المنطلق، فإن هذا الصنف من المثقف العربي المسلم لا يمكن أن يُفاجئه بطلان المنظور الديكارتي بخصوص الفصل بين المادة والروح (العقل) كما اتضح في حوارات هذا الكتاب مع نخبة هؤلاء العلماء؛ وإن ما تعيبه أخلاقيات العلم/ المعرفة في الإسلام على النظرة العلمية الكلاسيكية هو جنوح هذه الأخيرة إلى الإعلان عن رؤى، قوانين، مبادئ **نهائية ومطلقة** بالنسبة لفهم ظواهر العالم/ الكون/ وتفسيرها . فديكارت تصوّر بصفة مطلقة ونهائية أن الفصل بين العقل (الروح) والمادة هو حقيقة كونية لا إشكال فيها . وذهب كُونْت Conte إلى أن الوضعية Positivism نظريا ومنهجيا هي السبيل الوحيد لتحقيق معرفة علمية في دراسة الظواهر الاجتماعية .

إن رؤيتيْ ديكارت وكُونت هما رؤيتان تتسمان بالإطلاق ومن ثَمَّ بالجمود . فهما تتناقضان إلى حدّ كبير مع طبيعة البحث العلمي نفسه . فإذا كانت الاكتشافات العلمية لطبيعة مكوّنات الظاهرة الواحدة وأجزائها تستعصي على الاستقصاء النهائي الذي يطمح إليه العلماء، فكيف يجوز قبول مقولة العِلم الكلاسيكي الذي يزعم بأنه قادرٌ على الإدلاء بالقول الفصل والنهائي بالنسبة لقوانين وأسرار الكون برمته ؟! وبعبارة أخرى، فظواهر الكون / العالم هي ظواهر تتصف بالتعقيد الشديد من ناحية، وإن مقدرة الكائن الإنساني على كسب رهان العلم / المعرفة بأسرار ظواهر الكون / العالم تظل قاصرة وضيقة ـ كما بيّنا ـ من ناحية أخرى .

فمن هذه الرؤية الإسلامية الواضحة المعالم لطبيعة المعرفة والعلم البشريّيْن، لا يخشى على المثقف العربي المسلم التقليدي أو المتشبع بالثقافتيْن من الإحساس بالحيرة والشعور بالتمزق الداخلي وهلوسة الغموض المعرفي بإزاء ما تصدع به رؤية العلوم الجديدة كما هي مطروحة في صلب هذا الكتاب . بل يمكن القول إن رد فعل هذا المثقف العربي المسلم يميل أكثر إلى الاعتزاز والثقة بالمنظور الإسلامي **الواقعي** بالنسبة لمحدودية العلم والمعرفة المكتسبيْن في دنيا البشر . وإن واقعية هذه المحدودية **تفتح الباب** أمام العالِم حتى يظل دائما توّاقا إلى كسب معرفي / علمي أكبر لا يعرف الحدود الضيقة التي **تجمدت** بها رؤية العلم الغربي الكلاسيكي في تعاملها مع فهم الظواهر التي تدرسها . إن عبارة **«الله أعلم»** التي يرددها العلماء المسلمون بكل أصنافهم في القديم والحديث هي أنبل المواقف واقعيةً، ويُستحَبُ أن يُدْعَى لتبنيها الباحث والعالم اللذان يعرفان طبيعة مغامرة كسب رهان العلم والمعرفة ويقدرانها حق قدرها .

الهوامش

(*) الناشر : La Découverte, Paris, 1991

(1) Religion and The New Science / Idees Transeuipts, Canadian Broadcasting Cooperation (CBC) Montreal, Oct./Nov. 1985, p. 16.

فن الحوار المسرحي


برناردشو


شكسبير

محمد إمام

لعلنا نعرف جميعًا أن المسرح هو أقدم الفنون، أو هو (أبو الفنون)؛ لأنه سبق السينما والإذاعة والتلفاز بآلاف السنين، ومن ثم فإننا نجد أن فن الحوار المسرحي قد سبق أيضا فن الحوار في أي من تلك الفنون.

والحوار يعتبر أوضح جزء في العمل الدرامي، فهو الذي يُعبّر به الكاتب عن فكرته، ويكشف به عن الأحداث المقبلة والجارية في عمله الفني.

وفي المسرح يعتبر الحوار سمة من سمات العمل، فهو أداة التخاطب في المسرحية، وبه تتميز المسرحية من الصور الأدبية الأخرى؛ بل هو ركن أساسي من أركان المسرحية، فمن دونه لا تأخذ المسرحية الشكل النهائي لها.

والحوار الجيّد لا بد أن يقدم ما لا يوجد في الحديث اليومي، فيجب أن يكون الحوار مسلّيًا، لا مُملاً كما هو الحال في الحديث اليومي، حيث نجد أن الناس يتحدثون في أي مكان أحاديث عادية جدًا يمكن حذف أغلبها لعدم فائدتها. أما في الحوار المسرحي فإن الأمر يختلف، فلا بد أن ينتقي المؤلف تلك الأساليب التي تُعبّر عن الشعور والعاطفة والموقف، وأن يترك جانبًا تلك العبارات الأخرى التي لا قيمة لها.

ويجب أن يكون الحوار واضحًا، حيث إن المشاهد الذي لا يفهم جملة معينة لا يستطيع أن يسترجعها مرة أخرى كما يحدث أثناء قراءة كتاب مثلا. فإن الوضع في عرض أحداث المسرحية والعلاقة بين أشخاصها يساعد المشاهد على تتبع الأحداث بشوق [١].

ولابد أن يكون الحوار موضوعيًا نابعًا من خلال أبعاد الشخصيات التي رسمها الكاتب من البداية، وإلاّ أصبحت الشخصيات مجرد بوق يُردّد آراء الكاتب وأفكاره، كما يبدو هذا جليًا في أعمال كثيرة للكاتب الأيرلندي جورج برناردشو [٢].

ولابد من توافر الانسجام بين أجزاء العمل، وهو ما يطلق عليه الإيقاع في الحوار، ويُعد من أهم مقومات الحوار، وهو يشبه الهارموني في الموسيقى، فلا يزيد الإيقاع في جزء بطريقة لا ترتبط بالجزء الآخر أو بالكل، وإلاّ أدّى ذلك إلى ضرر كبير بالإيقاع الكلي يُشوّه اتزانه [٣].

كما يجب أن تتفق كلمات الحوار جميعها مع المنظر العام الذي يراه المشاهد على خشبة المسرح من أجل استكمال الإيقاع البصري للمسرحية.

وظيفة الحوار

ونجد أنه من المفيد عرض بعض الآراء حول وظيفة الحوار. فيقول لاجوس إيجري في كتابه «فن كتابة المسرحية»:

«إن الحوار يجب أن يكشف لنا عن أبعاد الشخصية».

«والحوار يجب أن يكشف لنا عن أساس المسرحية وما وراء موضوعها».

«والحوار يكشف عن الأحداث المقبلة» [٤].

ويقول روجر م. بسفيلد (الابن) في كتابه «فن الكاتب المسرحي للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما» إن للحوار ثلاث وظائف:

أولاها: السير بعقدة المسرحية، أي تقدمها أو تدرجها وتسلسلها.

وثانيتها: الكشف عن الشخصيات.

وثالثتها: مساعدة التمثيلية من الناحية الفنية أثناء إخراجها [٥].

ويقول تشارلس مورجان: «إن من الاستعمالات الرئيسة للحوار ثلاثة: تطوير القصة، وتصوير الشخصيات، وخلق الجو أو الحالة» [٦].

كما يقول روبرت إس جرين: إن الحوار أيًا كانت وسيلته له وظائف ثلاث:

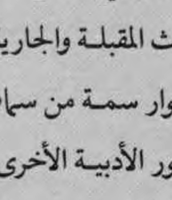
١ - إعطاء المعلومات.

٢ - التعبير عما تنطوي عليه العواطف.

٣ - تطوير الحوادث حتى تمضي إلى العقدة [٧].

ومن خلال هذه الآراء نستخلص أن للحوار أربع وظائف: [٨].

من كتاب العدد



- **محمد إبراهيم إمام.**
- بكالوريوس تجارة، دبلوم في الدراسات الإسلامية.
- عضو جمعية إدارة الأعمال العربية بمصر.
- من إنتاجه الأدبي: «ولعب بها الشيطان» ١٩٨٩م، و«الجحيم امرأة» ١٩٩٠م، وهما مجموعتا قصص قصيرة.
- له مقالات وقصص قصيرة منشورة في مجلات وصحف تصدر في مصر والمملكة العربية السعودية ولبنان والكويت.

فن الحوار المسرحي

١ ـ التعريف بالشخصيات .

٢ ـ التعبير عن الأفكـار .

٣ ـ تطوير الأحداث .

٤ ـ مساعدة الحوار على إخراج المسرحية .

أولا ـ التعريف بالشخصيات :

يجب أن يكشف الحوار عـن الشخصيـــات ويُعرّف المشـاهد بها ، وهو ما يجب أن يتم بطـريقة غير مباشرة ، ومن خلال الحوار بين الشخصيات ، ولا بـد أن تكـون كل كلمـة تنطق بها الشخصية ثمـرة للأبعـاد الثـلاثـة للشخصية : البعـد المادي والاجتماعي ، والنفسي ، فنعـرف من هـو ، ويـوحي إلينا بما عسى أن يصير إليـه الشخص في المستقبل ؛ لأن الحوار المسرحي يجب أن يكشف لنــــا عـن الشخصيـة وعن مراحل تطـورها ، وتلك سمـة من سمات الحوار التمثيلي ، والـذي يهتم بـالكشف عن الشخصيـة ، ومـراحلهـا التي ستمـر بها ، والتي باكتمالها تكتمل المسرحية نفسها [٩].

إن الحوار يعتبر تحركاً بالشخصية نحو الاكتمال من خــلال مـراحل التجـربـة التي تمر بها طـوال المسرحية ، وإذا نظرنـا إلى أعمـال وليـم شكسبيـر فسنجـد أن الشخصيـات كلها تنمـو باستمـرار في جميع أجزاء المسرحية [١٠].

وكما ذكرنـا ، فإن التعريف بالشخصيات يجب أن يتم في المسرحية بطريقة غير مباشرة ، ومن خلال الحوار بين الشخصيات نفسهـا ، إلاَّ أنـه قـد يعمد الكاتب إلى التعريف بشخصياته بطريقة مباشرة من خـلال الشكل الــذي يقدمـه ، كما هـو الحال في مسرحية «السلطان والقمـر» [١١].

وقـد كـان الأقدمـون يلجـؤون إلى التعـريف المبـاشر بشخصياتهم من خـلال أحـد الأشكــال الآتيـة :

ـ المناجـاة الفردية .

ـ الأحاديث الجانبية .

ـ خطابات يقرؤها الممثلون بصوت مسموع .

ـ استخدام أمين السر [١٢] وهي شخصية يثق فيها أفـراد المسرحية ويجعلونها مستـودع أسرارهـم ، فتكشف عن سلوكهم وخبـايا نفـوسهم عن طريق حوار تجريه .

أمـا المناجاة الفردية ، فلا يجوز الاعتماد عليها إلاّ إذا كان الكاتـب مُدركًا لأصول (المنـولوج) جيدًا ، وقادرًا على صياغته في أسلوب يجعلـه شائقًا ومعبّـرًا عن كل شيء ، فإن كل كلمـة ـ كما ذكرنـا ـ لابـد وأن يكون لها وظيفـة تؤديها .

ولعل المتلقي يجد في (المنولوجات) الطويلة التي يلقيهـا «هـاملت» مـا يجعله يـدرك وضعه جيـدًا ، وفكـره ، وما الـذي يفعلـه ، وأين كـان ، وإلى أين سيـذهـب . ولكن ليس كل كـاتب مسرحي هـو شكسبيـر ، ومن ثم لا يجوز الاعتمـاد على المناجاة الفردية أو المنولوج كثيرا ، إلاّ في حالة إدراك الكاتب أصول (المنولوج) جيدًا .

أمـا الأحاديث الجانبيـة ، وهي إحدى الطرائق (الحيل) لتصويـر الأفكـار الداخليـة التي تدور في رأس المتحـدث أو المتحـدثين للتمييــز بينهـا وبين الحديث الجهري المبـاشر ، فتستخدم عـادة عندمـا تشتمل المسرحيـة على عـدد من الشخصيـات على خشبــة المسرح في آن واحد ، فإنـه من المعـروف أن هـذه الشخصيـات يتـم تقسيمهـا إلى مجموعــات منفصلــة ، تتظـاهر كل منهـا بالانهمــاك ، أو أن يقف اثنـان من الشخصيـات ، وقـد أخذا جـانبًا يتحدثان فيه أو يتظاهـران باللامبالاة حين يتحدث شخص آخـر أو شخصان آخـران في موضوع مـا ، وقـد يظهـران الإعجاب أو السخـريـة من حـديث الآخرين .

وخير طـريقة هي أن تتحـدث الشخصيـة مع شخصيـة أخـرى ، أو مع مجموعـة شخصيـات ، وجميعهم يتفوهــون بجمل قصيرة مركـزة ومُعبّـرة ، وتكشف عن المطلوب بالنسبة للشخصيات .

كما يجب اختيـار كلمـات الحوار الدالــة على أسلـوب التفكير ومستواه لكل شخصية وصفاتها ، والأحداث التي تعيشها كذلك ، وعلى هذا يجب أن يكون الكلام محمّلا بدلالات تكشف عن الشخصية وتعبر عنها تعبيرًا طبيعيًا لا افتعـال فيه [١٣].

ثانيا ـ التعبير عن الأفكـار :

يجب على المؤلف المسرحي أن ينقل فكرتـــه الأســاسية من خــلال وسائل التعبير في مسرحيتـه . والحوار هو إحـدى هذه الـوسائل بل أهمهـا جميعًا بالنسبة لعرض الفكرة والتعبير عنها . وتكمن مهمة المؤلف في كيفية توضيح المعنى الذي ينشده بحيث يكون مفهومًا للمشاهدين ، ولا يتأتى لـه ذلـك إلاّ إذا كان متمكنًـا من مادتـه جيدًا ومسيطـرًا عليها ، وأن تكون الفكـرة واضحة في ذهنـــه تمامًا ؛ لأن فن المؤلف المسرحي هـــو الإفصــاح عمّـــا في نفس الشخصيات ونقلـــه إلى الناس بطـريقة مسرحيـة ، فالحوار الجيـد لا يقف ساكنًـا ولا راكدًا لكي يحلّل ويعلّل ، بل هو الحوار الـذي يحمل معاني كثيرة في كلمـات قليلـة [١٤].

ومما لا شـك فيه أن الحوار الدرامـي للمسرحية بمثـابة نسيجهـا ، فهـو يلائم المواقف والأحـداث وفقًا للمعنى الذي ينشـده المؤلف ، وعلى ذلك فإنه يجب أن تكون أجـزاء الحوار جاريـة وفق إحساس كل مشهد ، فمثلا مواقف الجد تتطلب جملا قصيرة فيهاقـوة ما ، أمّـا المواقف العاطفيـة فتتطلب جملا غنـائيـة متدفقــة سلســة فيهـا الفيض العـاطفي والإحساس بالحب والجمـال [١٥].

ولابد أن يراعي المؤلـف المعنى العام الذي يجب أن تكون عليه مسرحيتـه ، «فإذا كانت ملهاة انتقى من العبــارات مــا يشيع في قلــوب الجماهير روح الفكاهــة والمرح والسخـريـة ، وإن كـانت مأسـاة انتقى من العبارات مـا يشيع الرهبة والجزع والجلال والخشوع» [١٦].

وهـو ما تـؤكده أيضًـا مـارجوري بـولتن حين تقـول : «مراعاة مقتضى الحال من المحـاسن التي تُعلي من قيمـــة الحـــوار ، فمن ذلـك وفـرة المرح والنكات في الملهـاة ، وفخامة الأسلـوب في المأساة ، وجلاء الجـدل وسرعته في مسرحيـة الأفكـار» [١٧].

ثالثا ـ تطوير الأحداث :

إن الحوار هـــو أداة التعبير عن الحدث ، ومـــا

المسرحيــة إلا سلسلــة من الحوادث يتبع بعضهــا بعضًا، تلك الحوادث التي تؤدي إلى حدوث صراع حتى تصل إلى العقــدة. فكل صراع هــو نتيجــة لصراع قبلـه، ومقدمـة لصراع أقـوى وأكثر تعقيدًا من بعده، ومن ثم تتحـرك المسرحية مدفــوعـة إلى الأمـام حتى تصل إلى الذروة.

ولأن أدب المسرح أدب تمثيلي، وفن متنـــــوع الأغـراض، فهـو يستخـدم الكلمـــات والموسيقى والمنـاطق المشغولـــة والخاليـة وحركـــات الممثلين أدواتٍ للتعبير، والكلمـــات أو الحوار تصـــاحب الفعل؛ لأن الفعل بمفرده ليس لـه معنى إلاّ بالقدر القليل.

فإذا كـان الحوار ضعيفًـا طغت المنـاظـر عليـه وشـدّت انتباه المشـاهـدين لدرجـة تصرفهم عمّـا يُقـال، وقد كـان ديفيـد بيلاسكـو يصر على قيـام علاقـــة متزنـــة بين المنظـــر والحوار، وهـــو المخـــرج والمدير الفني والمؤلف المسرحي. فقد كان يلتمس في الضوء واللـــون والصورة تلك العلاقـــة التي تربط بينهم وبين الحوار، وقيام هذه العلاقـة التفسيرية ـ كمـا يقـول بيلاسكـو ـ هي الفن الأصيـل الحقيقي الصادق الذي يجب أن نحصل عليه [18].

هـذا ومن الممكن أن تقضي كلمـــة واحـدة في الحوار على مشهد تمثيلي، كما يمكن أن تكـون سببًا لنجاحـــه، ولقد كـان جون جـولزوزي يعتقـد أن عبارة زائفـــة أو كلمـة ناشـــزة عن السياق تقضي ـ ولا بـد ـ على الإيهـام المنشـــود، كمـا يقضي حجرٌ بعـد قذفــه في ماء راكـــد على الصـورة المرئيــة في صفحة المـاء فيجعلها هباءً منثورًا [19].

ولا بـد أن يدرك المؤلف أن المعالجة الحوارية هي التي تُكيّف سرعـة المسرحية، فالمشهد الذي يشتمل ـ مثـلا ـ على أحاديث و (منولوجـــات) طويلـة في أغلب الأحيان تكون حركتـه أبطأ من المشهـد الذي تكون جمل الحوار فيه قصيرة سريعـة ومتلاحقـة.

ولا بـــد أن يـدرك أيضًـــا أن الحوار في بـدايــة المسرحية يختلف عنه في وسطهـا، كما يختلف عنه في نهايتهـا؛ لأن الحوار الهادئ سرعـان مـا يتغير تبعًـا للصراع وتعقيد الأمـور.

والمؤلف المسرحي عندما يُعبّـر عن حادثـة على لســان الشخصيـات بالحوار، فإن الحادثـــة تكـون قائمـة أمام أعين المشـاهدين حيّـة نابضـة، وهذا يجعلنا نذكر الفـرق بين التمثيلية والقصة كما تناولـه أوغسطس تومـاس بالشرح حيث قال: «إن الفرق بين القصـة الـروائيـة والتمثيليـة هـو كـالفـرق بين الفعلين: «كـان» و«يكـون». إن شيئًا مـا قـد حدث لكاتب القصة وشخصياته، فهو يصف هذا الشيء كما كـان، ويصفهـم كما كـانـــوا، أمـــا في المسرحية فثمـة شيء يحدث الآن» [20].

رابعـا ـ مسـاعــدة الحوار على إخــراج المسرحية:

يعتقد ستانسلافسكي أن الحوار الجيّد هو الذي يحتوي على مفاتيح وإرشـــادات تساعد الممثل على أن يقرأ دوره كما ينبغي أن يكون [21].

كما أن الدرامـا تعتمد عند إخراجها على كلمات الحوار، حيث إن الصورة التي تنطبع في ذهن المخرج تتكون في الغالب من الظلال التي أعطتها كلمـات الحوار في المواقف، فضـــــلا عـن أن الحوار يشرح للمخـرج كيفيـة تـرتيب الممثلين، ويحدد درجـة الصـوت والحالة النفسيـة للشخصية والإيقاعـــات الحركية التي تصاحب الشخصية وهي تتحدث.

يقول بسفيلـــد في هذا الصـــدد: «إن الكاتب المسرحي مُطـالب بالمساعدة من خلال الحوار الذي يكتبه على تذليل بعض الصعـوبات الفنية أو الآلية التي تواجـــه المخرج وهـو ينفـذ وجهة نظـر المؤلف وقت إخراجها، ومهما يكن ذلك فالحوار المستخدم لحل أمثـال هذه الصعـوبـات الآليـة ـ وبـالأخـرى الفنيـــة ـــ يجب أن يـــدعم التقـدم المستمـــر لفعل المسرحية» [22].

وجديـر بالذكر أنـه بالحوار يمكن التغلب على بعض المشكلات الفنية مثل تركيـز انتباه المشاهدين على حوار معين بعيدًا عن (ديكور) المشهد لإتاحـة الـوقـت لتغيير المنظـر، أو إعطـاء فـرصـة لتغيير الملابس، أو ليتمكن الممثلـــون من الـدخــول أو الخروج من وإلى خشبة المسرح عند عبارات معينة، أو كلمـــات معينـة، وهي التـي تسمى «بالمفتـاح» مفتـــاح الدخـــول أو الخروج، إلى غير ذلـك من الأشياء التي يمكن للمؤلف أن يدركها بنفسه.

وعلى هـذا الأسـاس نجـــد أن الحوار هـــو أداة التخاطب في المسرحية، وهو السمة التي تشبع الحياة والجاذبية في المسرحية، فهـو يُعتبـر بحق الخصيصة التي تميز المسرحية من سائر الفنون الأدبية الأخرى، من حيث إن المسرحيـة لا تأخذ الشكل النهـائي لها إلا عن طريق الحوار وخشبة المسرح.

الهـوامش

(١) شفيق مجلي، مشكلـة الحوار المسرحي. مجلـة المسرح، العـدد الخامس، القاهرة، آذار/ مارس ١٩٦٤م، ص ٤٨.

(٢) انظر مسرحيات جورج برنارد شو.

(٣) روجر م. بسفيلد الابن، فن الكـاتب المسرحي للمسرح والإذاعة والتليفـزيون والسينمـا، ترجمـة دريني خشبـة. مكتبة نهضـة مصر، القاهرة، ص ٢٢٦.

(٤) لاجوس إيجري، فن كتابة المسرحيـة، ترجمة دريني خشبة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٤١١ ـ ٤١٣.

(٥) بسفيلد. المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٦) تشارلس مـورجان، الكاتب وعـالمه، ترجمـة شكري محمـد عياد، ص ٢٦٨.

(٧) روبـــرت اس جـــريـن، الكتابـــة للتليفزيـــون، ص ٧٤ (بالإنجليزية).

(٨) انظر: عادل النادي، مدخل إلى فن كتابة الدراما. الهيئـة العامـة للكتاب، القاهرة، ص ٢٩ ـ ٣٩.

(٩) عز الـدين إسماعيل، قضايا الإنســان في الأدب المسرحي المعاصر. دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣٩.

(١٠) انظر أعمـال وليم شكسبيـر.

(١١) عادل النادي، السـلطان والقمر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٣٩.

(١٢) مارجوري بولتن، تشريح المسرحية، ترجمة دريني خشبة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٥٢.

(١٣) إيجري، المصدر السابق، ص ٤١٤.

(١٤) بسفيلد، السابق ص ٢١٨.

(١٥) عادل النادي، السلطان والقمر، ص ٣٤.

(١٦) توفيق الحكيم، فنون الأدب ص ١٤.

(١٧) بولتن، المصدر السابق، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

(١٨) بسفيلد، السابق، ص ٢٣٩.

(١٩، ٢٠) المصدر السابق، ص ٢٦٧، ص ٦٢ على التوالي.

(٢١) شفيق مجلي، الحوار المسرحي. مجلة المسرح، العدد الأول، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤م، ص ٢٥.

(٢٢) بسفيلد، السابق، ص ٢٣٨.

○ ○


المنهل
المجلة السعودية الاولى
شهرية للاداب والعلوم والثقافة
السائح
فلسطين
مجلاتنا الداخلية
هن
فكر أصيل .. اداء معاصر .. توجه متميز
تقرأه الصفوة
تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة - جدة ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥

إعداد: د. محمد علي الجندي

فرق هدامة في تاريخ المسلمين

أ

الأباضية:

تشير مصادر الأباضية إلى أن هناك اختلافًا في التلفظ بهمزة كلمة «أباض» ففي عُمان موطن أئمة الأباضية يفتحون همزة «أباض»، وبذلك تصبح النسبة إليها «الأَباضية» بفتح الهمزة. أما في شمال أفريقيا فيكسرون همزة كلمة «أباض»، وبذلك تصبح النسبة إليها «الإباضية» بكسر الهمزة.

والأباضية فرقة من الخوارج تنتسب إلى زعيمها عبد الله بن أباض التميمي، ولد في خلافة معاوية، وكتب كتاب «العقيدة» المنسوب إليه، الذي يحوي مجمل عقائد الأباضية وأسرار مذهبها، في أيام خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ).

وجمهور الأباضية يتولى المحكمة كلها، إلا من خرج على إمامهم، ويزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين، حلال مناكحتهم ومواريثهم، حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، وأجمعوا على أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة، لا كفر ملة. وتوقفوا في أطفال المشركين، وجوزوا تعذيبهم، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً.

ومرتكبو الكبائر وإن كانوا كفار نعمة، إلا أنهم في النار خالدون.

ويتفق الأباضية مع المعتزلة في أمور منها: أن القرآن مخلوق، واستحالة رؤية الله في الآخرة، وتأويل الميزان والصراط وما يشبهه تأويلاً مجازيًا.

إخوان الصفا:

جماعة ظهرت في البصرة في أواسط القرن الرابع الهجري عام ٣٣٤هـ. استخدمت الفلسفة لتقويض أسس جميع الأديان.

وقد وضع إخوان الصفا رسائل في العلوم، وتحفظوا في إظهار آرائهم جهارًا، فاستعملوا الرموز، وحشروا آراءهم بين السطور، وأكثروا الوصية لأتباعهم بالتشديد في صياغة رسائلهم وتعاليمهم. وقد وضع هذه الرسائل نخبة منهم أمثال زيد بن رفاعة، ومحمد بن نصر المقدسي، وأبي الحسن علي بن هارون، وأبي محمد النهرجوري. وعدد رسائلهم اثنتان وخمسون رسالة تنقسم إلى أربعة أقسام هي:

١ - الرسائل الرياضية التعليمية، وعددها أربع عشرة رسالة.

٢ - الرسائل العقلية، وعددها عشر رسائل.

٣ - الرسائل الجسمانية الطبيعية، وعددها سبع عشرة رسالة.

٤ - الرسائل الإلهية الدينية، وعددها إحدى عشرة رسالة.

وكان لفكرة «الباطن والظاهر» أثر واضح وواسع في مذهبهم، حيث وجدوا فيه بابًا ومدخلاً لتأويل الآيات القرآنية وإخراجها عن معناها الحقيقي لخدمة أهدافهم ونشر أفكارهم.

قالوا إن الدين قسمان: ظاهر وباطن، والحقيقة في الباطن، ومن عرف الباطن فليس بحاجة إلى الظاهر من صلاة وصيام وغيرها من العبادات. وقالوا إن علم الأفلاك هو علم الملائكة، وإن النبوة هي من تأثيرات عطارد. كما ذهبوا إلى القول بتناسخ الأرواح جريًا على فلسفة فيثاغورس صاحب مذهب التناسخ، الذي تأثروا به في فلسفتهم كثيرًا.

الأزارقة:

هم اتباع نافع بن الأزرق من بني حنيفة، ظهرت في القرن الأول الهجري، وكانوا أشد الخوارج وأكثرهم تطرفًا وانحرافًا في فهم أحكام الشريعة السمحة. وقد قاتلت هذه الفرقة قواد عبد الله بن الزبير وقواد الأمويين مدة تسع عشرة سنة، إلى أن خسرت في تلك المعارك زعيمها نافع بن الأزرق.

وقد ذهبت هذه الفرقة إلى تكفير علي بن أبي طالب وجميع المسلمين أيضا. وكان الأزارقة يحبون سفك دماء المسلمين ممن خالفهم في الرأي. وحرَّم هؤلاء الضالون ذبائح المسلمين والزواج منهم، وكانوا يكفرون الذين لا يناصرونهم، ويجيزون الغدر بهم.

وأهم مبادئ فرقة الأزارقة ما يلي:

١ - يُكَفِّرون من يخالفهم، ويرون أنهم مشركون مخلدون في النار، ويحل قتلهم.

٢ - أراضي من يخالفهم هي دار حرب يحل فيها كل شئ مثل قتل النساء والأطفال، أو سبيهم، كما يحل قتل كل من يقعد عن القتال معهم.

٣ - يرون أطفال مخاليفهم مخلدين في النار وأطفال المشركين في النار.

٤ - يعارضون حد الرجم؛ لأنه لم يذكر في القرآن الكريم.

٥ - الذي يرتكب الكبيرة كافر، وخارج عن الإسلام، وخالد في النار مع الكفار.

٦ - يرون أن الأنبياء يمكن أن يرتكبوا الكبائر والصغائر ثم يتوبوا.

ب

البابية :

تنسب هذه الحركة إلى مؤسسها الباب الشيرازي في القرن الثالث عشر الهجري، وقد ظهرت في إيران إبان أوضاعها المضطربة دينيًا وفكريًا. واستفادت هذه الحركة من توافر بعض العوامل التي كانت سائدة في المجتمع الفارسي، منها :

١ - وجود عناصر فارسية تعتقد في زرادشت وتنتظر ظهور بهرام شاه.

٢ - وجود عناصر مسيحية تترقب عودة المسيح بعد صلبه.

٣ - وجود عناصر يهودية تترقب المخلّص.

٤ - وجود عناصر من بين جهلة المسلمين ينتظرون ظهور المهدي.

٥ - وجود حالة من الاضطراب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

والباب مؤسس الحركة هو الميرزا علي محمد المولود في شيراز جنوبي إيران في ٢٠ أكتوبر عام ١٨١٩ م.

وتدور الأفكار التي قامت عليها البابية حول المبادئ التالية :

١ - العمل على نسخ الشريعة الإسلامية، وذلك بإنشاء دين جديد اسمه «البابية». وقد ظهرت هذه الفكرة في مؤتمر عقدوه عام ١٨٤٧ م في مدينة برشت، أعلنوا فيه انسلاخهم عن الإسلام، ومحاربتهم للقرآن واللغة العربية.

٢ - العمل على الحط من قدر النبي محمد ﷺ ـ قاتلهم الله ـ بإشاعة التفاسير الباطنية المحرفة للقرآن.

٣ - الاعتقاد بأن البعث هو بعث الله من يشاء من عباده فقط.

٤ - الاعتقاد بأن الصراط والميزان والحساب هي معان يقف بها الناس عند ظهور الباب.

٥ - الاعتقاد بأن الجنة والنار غير ما جاء في القرآن. فالجنة هي معرفة الله عن طريق الباب، والنار هي الكفر بالباب.

٦ - الاعتقاد بأن الله تعالى ليس هو الخالق لكل شئ ـ تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرًا ـ وهذا ما جاء في كتابهم «البيان».

٧ - لا تجوز عندهم الدعوة، أو الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر، إلا كما جاء في كتابهم «البيان».

٨ - الدعوة إلى الإباحية، والتحلل الخلقي.

وقد كانت نهاية الميرزا على محمد هي الإعدام في مدينة تبريز، ثم ألقيت جثته خارج المدينة عام ١٨٥٠ م.

البهائية :

تنتسب هذه الفرقة إلى أحد تلاميذ الباب، هو الميرزا حسين علي، الملقب «بهاء الله» في عام ١٨٦٨ م، في مدينة عكا بفلسطين.

وقد انتشرت هذه النحلة المارقة في أنحاء كثيرة من العالم وبخاصة في الدول الغربية حيث انتشرت بين اليهود والنصارى والمجوس. واحتضن الاستعمار الأوربي هذه الحركة، فكانت لها مجلة «نجم الغرب» عام ١٩١٠ م، وقدمت لها المساعدات المادية والأدبية، وصارت لها فروع في أمريكا مركزها ولاية شيكاغو.

وتعمل البهائية على الترويج للمعتقدات التالية :

١ - ليس للإله وجود في عقيدتهم، بل كل ما يضاف إلى الله من أسماء وصفات هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً وحديثًا، وهم مظاهر لله تعالى، وكان آخرهم وأكملهم «بهاء الله».

٢ - يرى اتباع «بهاء الله» أنه هو الحق المبين، وهو البعث، وهو الساعة الكبرى، والانتماء إليه هو الجنة، والكفر به هو النار، ومهمة كل الأنبياء التبشير به.

٣ - ينكرون إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

٤ - يرفضون كثيراً من الأحكام الإسلامية، فعدّلوا في مواقيت الصلاة وكيفيتها، وأسقطوا الصلاة عن المسافر، والصيام مدته ١٩ يومًا، والزكاة لم يتكلموا عنها مطلقًا، نظرًا لما كانوا يحصلون عليه من مساعدات من الاستعمار الغربي، والحج مفروض على الرجال دون النساء، وهو يكون إلى مكان إقامة الباب أو البهاء.

٥ - ألغوا كل الأحكام الإسلامية المتعلقة بالحلال والحرام في البيوع والأطعمة، واعتمدوا على العقل في تقرير الشرائع.

٦ - أباحوا زواج المحارم (كالبنت والأخت).

خ

الخطَّابية :

من التيارات الشيعية الباطنية المعادية للإسلام. ظهرت في القرن الثاني الهجري، وتنتسب هذه الفرقة إلى زعيم لها ظهر أيام جعفر بن محمد الصادق عام ١٤٨ هـ، واسمه محمد بن معلاص المشهور بأبي الخطاب بن أبي زينب. وهي فرقة مُخَمِّسة، أي تقول بأن الله قد حل في خمسة أشباح هم : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. فقد صحب أبو الخطاب هذا، الإمام جعفر الصادق ثم ادعى أن جعفر الصادق إله، وأنه نبي لجعفر الصادق.

أما أهم الأفكار والمبادئ التي طرحتها هذه الفرقة فتتلخص في الآتي :

١ - إن النبوة عندهم مستمرة لا تتوقف، وليس عندهم اعتقاد بختم النبوة. حيث فسروا القرآن الكريم تفسيراً باطنياً، فكانت دلالة هذه الآية عندهم ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترا ﴾ التتابع وأن النبوة لا تختم.

٢ - الادعاء بألوهية البشر، كادعائهم بألوهية جعفر الصادق تشبهًا باليهود والنصارى.

٣ - الادعـاء بأن الأئمة عنـدهم يعلمون الغيـب ما كـان منه سـابقا ومـا سيكون لاحقا .

٤ - لديهم تفسيرات باطنية خاصـة للجنة والنار اللتين ترمزان إلى دلالات لا يعـرفها أحـد سـوى الخطابيين، وقـد أبـاحوا لأنفسهـم بعض المحرمـات، وأسقطوا الصلاة والزكاة والحج وغيرها، وأباحوا شهادة الزور على مخالفيهم .

ر

الرَوانّدية :

من فرق غلاة الشيعة، وتنسب إلى مدينة راوند القريبة من أصفهان بفارس . كان زعيمهم يقال لـه : الأبلق وكان أبرص الجلد، فتكلم بالروانـدية ودعا لها، وزعم أن النبي ﷺ قـد نَـصَّ على إمـامـة العبـاس بن عبـد المطلب، ثم نَصَّ العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونَصَّ عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، إلى أن انتهى إلى الخليفـة العبـاسي أبي جعفر المنصـور، ثم نسب الألـوهيـة إلى المنصور. وقد دعـا أصحابه إلى استحلال الحُرمات، فكان الـرجل منهم يدعو الجماعة إلى منـزله فيطعمهم ويسقيهم ويبيح لهم الحُرمات، ثم صـاروا يعبدون المنصور، ويصيحون به «أنت أنت»؛ أي : أنت الإله . فأقبل المنصور لقتالهم، وحبس من زعمائهم مئتي رجل . لكن أنصارهم أخرجـوهم، وحاربوا المنصور حتى كادوا أن يقتلوه، فتدخل أحـد قُوادِه وهو معن بن زائدة فحاربهم وقضى عليهم .

كـان خطرهـم يتمثل في طرحهم للعقـائد البـاطنيـة التي تشبـه المجوسيـة والزرادشتية والمانوية .

س

السبئية :

دعوة مارقة ظهرت في القرن الأول الهجـري . وأتباعها ينتسبون إلى مؤسسها عبـد الله بن سبأ . وكان يهوديـا من أهل صنعـاء، وكانت أمـه سوداء، لـذلك سمي ابن السـوداء . دخـل هـذا المدّعي الإسـلام نفـاقًـا ليبـث سمـومـه بين المسلمين، وذلك أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فتنقل بين البلدان الإسلامية للسعي إلى إضلال المسلمين، حيـث بدأ ببلاد الحجاز، ثم البصرة، ثم بالشـام . وقد أخرجـه أهل الشام من بينهم، فذهب إلى مصر، وهنـاك قال برجعـة محمد عليـه الصلاة والسـلام، وأنه أحق بـالرجعة من عيسى بـن مريم مستدلاً بالآية الكريمة ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ ، ثم بلغ من ضـلالـه أنه صـار ينسب إلى علي بن أبي طـالب الألـوهيـة، حتى همّ علي بقتله، إلا أنه عدل عن ذلك ونفاه إلى المدائن .

ثم صار بعض أتباع السبئية يقولون لعلي «أنت الإله»، وقد غاظ ذلك عليًا فأحرق بعضًا منهم . ولما استشهد علي بن أبي طـالب ادعى عبد الله بن سبأ أنه لم يمت وأنه رُفع إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مـريم ـ عليه السلام ـ وأن الرعد صوته، والبرق تبسمه .

وخلاصة مـذهب هذه الفرقة الخطيرة : أنها تقـول بأن الإله قد حلّ في علي ابن أبي طـالب ثم من بعـده في الأئمـة من ذريتـه . وهذا القـول يـوافق بعض الديانات المجوسية والبوذيـة التي تقوم على حلول الإله في البشر، وهكذا كانت هذه الفرقة الضـالة هي بداية دخول الأباطيل والبـدع التي تتنافى وحقيقة الدين الإسـلامي . وبهذه الادعـاءات فتح ابن سبأ الطـريق لمن خلفـه ليسلكـوا سبل الضلال، حيث ظهرت كثير من الفـرق التي تسير في هذا الاتجاه رغبة في تدمير الإسلام من داخله، بل مهدت الطريق للحـركات والفرق الباطنية التي جاءت بعد ذلك .

ع

العلبائية :

من فرق غُلاة الشيعة، وهـم أصحـاب العلباء بن ذراع الدوسي، يفضلون عليًـا على محمد ﷺ، وسمـوه إلهًا . ويقولـون ـــ قاتلهم الله ـــ بذم محمـد ﷺ، وزعموا أنه بُعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه .

ق

القاديانية :

حـركة واضحـة الارتبـاط بالاستعمار، ظهـرت في مدينـة قـاديان من مـدن البنجاب في الهند عام ١٨٦٧م، أثناء فترة الاحتلال البريطاني للهند .

تنسب هـذه الحركـة إلى مـؤسسهـــا غـلام أحمد ميرزا الـذي درس العلـوم الإسلامية، والفلسفة والمنطق، تلك العلوم التي سهلت له أن يدعو إلى مذهبه الجديد لبث الفـرقة بين النـاس بإيعاز من الحكومـة الإنجليزيـة، للقضاء على المسلمين الذين يحملون راية الجهاد في سبيل الله تعالى .

ادَّعى غـلام أحمد أنه المهـدي المنتظـر والمسيح الموعـود . وبنى دعوتـه على أساس أن عيسى لم يصلب وإنما هرب إلى الهند وتزوج هناك ودفن، ثم تدرج به الحال فادعى النبوة والوحي، وأنه صاحب دين جديد . وقد كفلت له الحكومة الإنجليزية الحماية الكافية لنشر أباطيله .

وتدعو الحركة القاديانية إلى غرس المعتقدات التالية :

١ - الركن الأصيل في الحركة القاديانية هو الإيمان بأن غلام أحمد هو المسيح الموعود والمهدي المعهود، وأن يطاع ولا يعصى .

٢ - الزعم بأن الجهاد ليس اللجوء إلى القوة أو استعمال أدوات الحرب مع غير المؤمنين، بل هو وسيلة من وسائل الإقناع .

٣ - الاعتقاد بعدم جواز الصلاة على المسلم الميت ما لم يكن قاديانيًا، ويحرمون دفن المسلمين في مقابرهم .

٤ - لا يجيزون الزواج من مسلم أو مسلمة؛ لأنهم كفار في نظرهم .

٥ - لا تصح صلاتهم خلف إمام مسلم، وصلاتهم لها كيفية خاصة .

٦ - الوحي عندهم لم ينقطع، والملائكة تنزل على كل مؤمن بدليل الآية ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ .

٧ - ينكرون مصادر التشريع الإسلامي، إلا الكتاب والسنة، ولديهم تفسيرات باطنية لكل منهما .

٨ - يعتبرون مذهبهم هو الدين الصحيح وما سواه باطل .

٩ - يعتقدون أن القاديانية سوف تعم أرجاء العالم كله .

القرامطة :

تنتسب هذه الفرقة إلى رجل من سواد العراق اسمه حمدان بن قرمط، الذي ظهر عام ٢٨١ هـ، في خلافة المعتضد بالله العباسي . وكان حمدان هذا صديقا حميا، وتلميذا بارًا لليهودي ميمون بن ديصان المشهور باسم «ميمون القداح»، وهو أحد الذين أنشأوا الفرق الباطنية الخطيرة في مصر والشام .

وقد طالت أيام القرامطة، وقويت شوكتهم، فكانوا حركة تخريبية، وفتنة سياسية عمياء، مارسوا العنف واستباحة الحرمات والشهوات دون رادع .

كان انتشارهم في العراق والبحرين وفارس، ثم الأحساء ونجد واليمن والشام، وكان دأبهم، حيثما ساروا وأينما حلوا، القتل والسلب والنهب واستباحة الحُرمات . وقد حاربهم العباسيون، وكذلك الطولونيون بمصر .

وتقوم حركة القرامطة على المبادئ الآتية :

١ - مفهوم الألوهية عندهم صورة من صور البطولة والزعامة، ويجب أن يتجسد الإله في صورة بشرية، حتى يتمكن البشر من أداء عباداتهم إلى تلك الصورة، فيعبدون بذلك إلـٰها يعرفونه .

٢ - يعتقدون بأن العقل هو الذي فاضت عنه المخلوقات والأكوان فهو الإله الخالق عندهم .

٣ - يعتقدون أن النبي شخص فاضت عليه فيوضات العقل، فهم ينكرون الوحي والرسالة من الله تعالى بل هي من العقل .

٤ - ينكرون القيامة والبعث، والجنة والنار، والثواب والعقاب، ولا يعترفون بوجود الملائكة أو الجن، أو عوالم الغيب في الآخرة .

٥ - لديهم دعوة واضحة وصريحة إلى مشاعية الأموال والنساء، واستباحة الحرمات كافة، و إسقاط الواجبات .

ك

الكاملية :

فرقة من غلاة الشيعة، وينسبون إلى «أبي كامل» . وهؤلاء بالغوا بمغالاتهم حيث كفّروا جميع الصحابة الذين تركوا بيعة علي، ويقولون بأن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، والنور هذا يكون في شخصٍ نبوة، وفي آخر إمامة، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة، كما قالوا بتناسخ الأرواح وقت الموت .

الكيَّالية :

من غلاة الشيعة، وهم أتباع أحمد بن الكيال . ادَّعى الإمامة أولًا، ثم ادعى أنه القائم ثانيًا .

من مذهبه أن كل من قدر الآفاق على الأنفس، وأمكنه أن يبين مناهج العالمية، أي عالم الآفاق وهو العالم العلوي، وعالم الأنفس وهو العالم السفلي، كان هو الإمام . وأن كل من قرر الكل في ذاته وأمكنه أن يبين كل كلي في شخصه المعين الجزئي كان هو القائم .

م

المغيرية :

نسبة إلى المغيرة بن سعيد العجلي . يدّعون أن الإمامية بعد محمد بن علي ابن الحسين في محمد النفس الزكية، وزعموا أنه حي لم يمت . ادعى المغيرة هذا النبوة وأعلن أنه يعرف اسم الله الأكبر، وزعم أنه يحيي الموتى . وقد غلا هؤلاء في حق علي رضي الله عنه، فقالوا إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء، وصورته صورة رجل من نور، على رأسه تاج من نور، له قلب تنبع منه الحكمة، وقالوا بإمامة أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما، وبإلهيته، وقال المغيرة لأصحابه : انتظروه فإنه يرجع .

المقنّعية :

ظهرت في القرن الثاني الهجري في عهد المهدي العباسي في خراسان، على يد رجل يُدعى «المقنّع» . وكان قبيح الوجه أعور، من أهل مرو . وقد صنع هذا المقنع لنفسه وجها من ذهب، ثم ادَّعى الألوهية، وكان يقول : الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورة نوح، ثم إبراهيم، ثم في صورة الأنبياء، ثم الحكماء، ثم في صورة محمد، ثم تحول إلى علي بن أبي طالب، ثم إلى صور أولاده من بعده، واستقر في صورة أبي مسلم الخراساني، ثم انتقل إليه، وقال : إنني أتنقل في الصور؛ لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها، ومن رآني احترق بنوري . ثم أسقط عن أتباعه الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأباح

للناس الأموال والنساء، كما أباح لهم تعاليم مزدك، فعبده الناس ـ والعياذ بالله ـ وسجدوا له، واعتقد بتناسخ الأرواح كالبوذية.

وقد كثر أتباعه وفتن به الناس، فتحصن في سمرقند بقلعة سماها بكش، فأرسل إليه المهدي العباسي جيشًا بقيادة معاذ بن مسلم فتركه الناس، وبقي وزمرة قليلة من أتباعه، فلما شعر بالهزيمة أشعل النار في القلعة، وأحرق ما فيها، ثم سقى أتباعه وأهله السم وحرقهم وحرق نفسه في القلعة أيضًا.

المنصورية:

فرقة من غلاة الشيعة، وهم أصحاب أبي منصور العجلي. وقد ادَّعى أنه الإمام، وأن الله عز وجل عرج به إليه فأدناه وكلّمه ومسح بيده على رأسه واتخذه خليلاً وقال له: يابني انزل فبلّغ عني، ثم اهبط إلى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء. وقد استحل المنصورية قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وهم صنف من الخرمية، ويدعون أن أول من خُلِقَ عيسى بن مريم ثم علي بن أبي طالب.

ن

النُصيْرية:

فرقة من غلاة الشيعة، ينسبون إلى نصير، غلام أمير المؤمنين علي، وقيل إنهم سموا بذلك نسبة إلى محمد بن نصير النميري. وقال هؤلاء بنبوة محمد بن نصير وزعموا أن الذي بعثه هو أبو الحسن العسكري. وادعوا بأن الله يظهر بصورة أشخاص. كما قالوا بالتناسخ والحلول كغيرهم من غلاة الشيعة.

ومجمل مذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر في كل شخص من أشخاص البشر وذلك بمعنى الحلول. وادعوا أن علياً هو خير البرية، وأن الحق ظهر بصورته وصورة أولاده المخصوصين من بعده، لذلك ألّهوا علياً وآله. وزعموا أن مسكن علي هو السحاب.

ومن جملة ما يعتقدون أيضًا تعظيم الخمر، ويرون أنها من النور، لذا عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر. وأسرار معتقداتهم لا يطلع عليها إلا قلة من زعمائهم، ومن اطلع على هذا المعتقد لا يجوز له إذاعته أو العودة عنه وإلا كان مصيره القتل.

ووسمت النصيرية بألقاب مختلفة، فأطلق المسلمون والمؤرخون عليهم: الملاحدة، والإسماعيلية، والقرامطة، والباطنية، والعلوية.

النعمانية:

أصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول، الملقب بشيطان الطاق، وهم الشيطانية أيضًا. وتقول النعمانية إن الله عالم في نفسه، لكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها. وقالوا إن الله نور على صورة إنسان رباني، ونفوا أن يكون جسيماً.

هـ

الهشامية:

أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه. وهم يؤمنون أن بين المعبود والأجسام تشابهًا بوجه من الوجوه، ولولا ذلك لما دلت عليه.

ويقولون إن الله تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، له حواس خمس ويد ورجل وأنف وفم وأذن لكنه ليس بلحم ولا دم ـ تعالى الله عن ذلك ـ، ثم غلوا في حق علي بن أبي طالب فقالوا إنه إله واجب الطاعة.

ي

اليونسية:

وينسبون إلى يونس بن عبد الرحمن القمي. زعم هؤلاء أن الملائكة تحمل العرش، وأن العرش يحمل الرب، وهم من مشبهة الشيعة.

المصادر والمراجع:

(١) الملل والنحل للشهرستاني.
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي.
(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري.
(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة.
(٥) الفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي.
(٦) القاديانية مطية الاستعمار البغيض لمحمد خير القادري.
(٧) صبح الأعشى للقلقشندي.
(٨) خطط الشام لمحمد كرد علي.
(٩) المجتمع الإسلامي في بلاد الشام لأحمد رمضان.
(١٠) غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام ليوسف غوانمة.

ردود خاصة

● الأخ معيد عبد الحليم - سطيف - الجزائر:

يصعب جدا أن نزودك بعناوين «كل» المجلات التي تصدر في الشرق الأوسط، وقد يكون بإمكاننا مساعدتك إذا حددت التخصص أو اللغة أو البلد مثلا. وأهلا بك صديقًا للمجلة.

● الأخ عباس بابكر الأمين عبد الرحمن - بورتسودان - السودان:

أسعدتنا رسالتك الرقيقة التي نشكرك عليها، آملين أن تكون «الفيصل» عند حسن ظن قرائها بها دائما وأبدا.

● الأخ محمد أحمد بدير نجم - كفر الشيخ - مصر:

نتفق معك على أهمية التعارف بين بني البشر لما فيه خير المسلمين والإنسانية، غير أن عدم تخصيصنا بابًا للمراسلة أو ركنًا للتعارف له أسباب أخرى، منها أن هناك مجلات كثيرة تؤدي هذا الغرض. أما بخصوص المجلدات فسيصلك رد كتابي على استفساركم.

● الأخ محمد يحيى المبارقي - القنفذة:

لم توضح في رسالتك الكتب التي تعنيها؛ لأنك اكتفيت بالإشارة إلى أنه تم الإعلان عنها في المجلة. أما الاشتراك ففي الطريق إليك إيضاح حول ذلك.

● الأخ زياد محمد عدنان حمود - إدلب - سورية:

سنحاول تلبية رغبتك في حدود الإمكانات المتاحة، وشكرا.

● الأخ محمد علي عثمان الفاهمي - محايل عسير:

«الفيصل» مجلة شهرية، وملاحظتك بشأن التوزيع في منطقتك أحيلت إلى القسم المختص للمتابعة. وبالنسبة للاشتراك فسيصلك إيضاح بشأنه، وشكرا لك.

● الأخ حمود أحمد عبد الله الخثعمي - الباحة:

سيصلك إيضاح حول الطلب الذي كتبت إلينا عنه، مع الشكر.

● الأخت أمال عبد العظيم علام - جدة:

ملاحظاتك واقتراحاتك في محلها وسندرسها باهتمام. ونحن نرحب بأي إسهامات تودين إرسالها إلينا، فأهلا بك.

● الإخوة «أصدقاء المجلة وأعضاء رابطة الشباب في نادي الوفاق ودار تيمونة الحلبية - حلب - سورية:

لعل في ما نشرناه في العدد الماضي رقم ٢٠٤ عن «الوقف في حلب الشهباء» ما يلبي شيئًا من رغباتكم، واهتمام المجلة بحلب وسورية عموما هو جزء من اهتمامنا الواسع بوطننا العربي والإسلامي.

● الأخ سعيد العروسي - الجزائر العاصمة:

الموضوعات التي تقبلها المجلة هي الموضوعات التي تتناسب مع اهتماماتها واهتمامات قرائها، وقد لا يصعب عليك إدراك ذلك من خلال متابعتك لأعدادها المختلفة. ولا تشترط المجلة درجة علمية معينة في كتابها؛ لأن مستوى الموضوع وجودته وماهيته هي التي تحدد صلاحيته أو عدم صلاحيته للنشر.

● الأخ محمد عدنان ويس - حلب - سورية:

الأخ علي أحمد عبد الله حميج - البيضاء - اليمن:

يُفضّل مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مباشرة في أي شأن من الشؤون المتعلقة به، وعنوانه هو: ص. ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية. أما الأعداد التي طلبتموها فهي في الطريق إليكم إن شاء الله.

● الإخوة: محمد شاكر يوسف وعبد الله بكر قاضي - الطائف، فاروق أحمد سومرو وعبد الجبار منكريو ومحمد إلياس سومرو - نوشهرو فيروز - باكستان:

قسائم الاشتراك التي أرسلتموها بريديًا ينبغي أن تكون مصحوبة بشيك بقيمة الاشتراك حتى يمكن تلبية رغباتكم. مع الشكر والتقدير.

● الأخوَيْن: محمد الشيخ أحمد - بسكرة، ساعد رابح - باتنة - الجزائر:

«الفيصل» ليس فيها ركن للتعارف، لذا نعتذر من عدم نشر البيانات التي تضمنتها رسالتيكما.

● الأخوَيْن: الأمين أحمد محمد الفادني - الخرطوم - السودان، حاج صديق بلحاج - تلمسان - الجزائر:

ليس هناك إمكان في الوقت

الحاضر لمنح اشتراكات مجانية للأفراد. للإحاطة وشكرا.

● **الأخ أمحمد العلوي الباهي - تازة - المغرب:**

لا يتوافر لدينا - مع الأسف - عنوان المجلة التي تسأل عنها.

● **الأخ دروم دمنية - الجلفة - الجزائر:**

اقتراحك الخاص بمواهب الشباب الأدبية مأخوذ في الاعتبار، وسينفذ إن شاء الله في الوقت المناسب.

● **الأخ خالد عواد حمود الزليباني - بدر - طريق المدينة المنورة:**

لم نتبين على وجه التحديد طلبك، فنرجو الإيضاح أكثر في رسالة أخرى، وشكرا.

● **الأخ بشيري أحمد - تلمسان - الجزائر:**

رسالتك أحيلت إلى قسم خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونأمل أن يصلك منه ما يفيد بتجاوبه مع طلبك.

● **الأخ أحمد فاضل - دمشق - سورية:**

نرحب بالموضوعات التي ترغب في إرسالها إلينا، ولا يمكن الحكم عليها إلا بعد الاطلاع عليها. وأهلا بك.

● **الإخوة والأخوات: حُسُون الجدعاني - ذهبان - طريق المدينة ك ٥٥، محمد نويهد الصبحي - جدة، عمار فنشوش - الجزائر، عوض محمد حسن آل عوني - الولاية الشمالية - السودان:**

استفساراتكم بشأن مجلدات «الفيصل» أحيلت إلى قسم التوزيع، وسيتم الرد عليكم بريديًا، وشكرا.

● **الإخوة والأخوات: عائشة - الجزائر العاصمة، بقة عبد الرحمن وابن عيسى جمال وكليوات رابح - الجلفة، مكاوي السعيد ومداني محمد - ورقلة، بشيري بن عزوز وحصاية عيسى ونذير علال - المسيلة، التونسي نورالدين وسهيلة لفويرح - بسكرة، ديلمي عبد القادر وبناي وداد - عين الدفلة، بلجازية عبد العالي وشلوش عبد الوهاب - جيجل، مبراك نورالدين - باتنة، هدية بن يحيى وحجاج علي - غليزان، مولودي عبد الله وفنيشي فاطمة - أدران، زرقون عبد اللطيف - البليدة، لمين شاوش - سكيكدة، الذهبي عبد السلام - تمنراست، فريد الأطرش - الشلف، عيدي نورالدين - الوادي، زاني رجات - مليكة فايد، ابن عيسى حميد - سيدي عيسى، عبد الناصر مونسي - سيدي خالد، قاسم أمحمد - تيبازة، ميموني عبيد - تيارت، بو عمدة محمد - خميس مليانة - الجزائر:**

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص، وسيتم التجاوب معها قريبا إن شاء الله.

● **الأخ عبد العال بدوي إبراهيم - سلوى - الأحساء:**

مشاعرك الفياضة التي ضمّنتها موضوعك الذي أرسلته محل التقدير والاعتزاز، لكننا نعتذر من عدم نشره لعدم وجود المجال المناسب لذلك. وأهلاً بك.

● **الأخ رضوان بو حنّاش - بومرداس - الجزائر:**

الجامعة السعودية الوحيدة التي تدرّس علم الفلك هي جامعة الملك سعود بالرياض؛ كلية العلوم تحديدا.

● **الأخت دنيا عقبوبي - مستغانم - الجزائر:**

ليس هناك مجال لدينا في مجلة «الفيصل» لنشر طلبك، لذلك أحلناه إلى جريدة «المسلمون» الصادرة في جدة بالسعودية التي تهتم بمثل هذه القضايا. وأملنا كبير في أن يهتموا بموضوعك. وشكرا على ثقتك فينا.

● **الأخت هدى فهد المعجل - الدمام:**

نرجو أن يكون قد وصلك خطاب منا يتضمن المعلومات التي استفسرت عنها، وشكرا.

● **الأخ محمد مصطفى المصطفى - حلب - سورية:**

وجود «الكلمات المتقاطعة» على صفحات المجلة أمر قيد الدرس حاليا، وسيبتّ فيه عند أول تطوير يتم قريبا إن شاء الله.

● **الأخ بياز عبد الرزاق - عين وسارة - الجزائر:**

نشاركك مشاعر الحزن والأسى لوفاة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي يرحمه الله، ولا شك أن ما ذكرته عنه في رسالتك هو شعور كل محبيه وعارفي فضله نحو فقده. ولعلك لاحظت مع بقية القراء الكرام أننا نواصل الاحتفاء بالأديب الفقيد بنشر مقالات وبحوث عنه.

● **الأخت سهام سالم عبد الله - شندي - السودان:**

أهلا بك صديقة للمجلة.

● **الأخ توفيق محمد - تافراوت - تزنيت - المغرب:**

نعتذر من عدم الإجابة على استفساراتك لتوقف الباب المختص، وشكرا لك.



هل حقاً لم يعُدْ الشعر فنّ العربيّة الأول؟

طالعت في **العدد ٢٠١** من مجلة « **الفيصل** » ، **الصادر في شهر ربيع الأول ١٤١٤**، مقالة بقلم **أحمد فضل شبلول** يعترف فيها بأن **الشعر لم يعد فن العربية الأول**، كما كان، بعد أن بدأ مقاله بكلمات للدكتور عبد القادر القط، يقول فيه : إن العصر الآن بوجه عام عصر الفن القصصي، ويستبعد فيه فن الشعر من قائمة احتياجات العصر الفنية والأدبية .

وبرغم أن الكلمات التي تخرج من فم الناقد **الدكتور القط** ذات وزن نقدي كبير، وأنه لا يلقي القول على عواهنه، إلاّ أن لي على المقولة ملاحظات، منها التنبيه إلى أن هناك مخططا من المستغربين ــ نسبة إلى العالم الغربي ـ لنزع الأمة الإسلامية والعربية من أصولها الراسخة، بعد أن بدأوا محاولتهم هذه بالترويج


أحمد فضل شبلول


د. عبد القادر القط


لم يعُد الشعر فنّ العربي...

أحمد فضل شبلول

الناقد الدكتور عبد القادر القط واحد من النقاد الذين شغلوا الساحة الأدبية والنقدية بآرائهم وأفكارهم ومواكبتهم لبعض الأعمال الإبداعية الجديدة، خاصة عندما كان يرأس تحرير مجلة «إبداع» المصرية خلال سنوات الثمانينيات الميلادية، وهو عندما يصدر رأيا أو حكما نقديا فإن رأيه أو حكمه يلامس ـ في كثير من الأحيان ـ الحقيقة، لأنه رجل يعرف ماذا يقول بناء على خبراته وقراءاته المتعددة وتأملاته الفكرية والأدبية واحتكاكه المتواصل بالواقع الأدبي والثقافي.

...يجيب القط عن سؤال صحفي وُجِّه إليه يقول: الرواية ... مقتضيات العصر الحديث؟ فتكون

في باريس ولندن يكتشف أن قصائد الحب التي كانت ... في ثياب المستمعين، وترفع ...

لما يسمّى « الشعر الحديث »، والذي بدأ، أول ما بدأ، ساقا ضعيفة ليس لها جذور، ولكن على غفلة من الزمن، وعلى حين غرّة من أبناء العروبة والحادبين عليها، بدأت البدعة تؤتي ثمارها الفجّة، ويسمم غرسها الماء على أهله؛ فيتحدث أبناء جلدتنا عن قصور الشعر العمودي عن مطابقة أحوال العصر والتعبير عن المعاني الحديثة التي جدّت عليه .

وهكذا بدأ الأمر، شعر التفعيلة الوحيدة يديرها شاعرها على ما شاء هواه، مثنى وثلاث ورباع في السطر الواحد، بل وصل الأمر ببعض الشعراء التجار أن صار الواحد منهم يطبع « الديوان » ذا الأوراق المعدودات والمساحة الصغيرة، ولا يكتفي بذلك، بل يقسم البيت الواحد من الشعر العمودي التقليدي إلى ثلاثة أو أربعة أسطر كي يملأ أكبر كمية من الورق بأقل عدد من الكلمات .

تجارة ليس إلاّ !

وخُدع بعض فحول الشعر العمودي من كثرة ما سمعوا من دعايات عن النبت الجديد، حتى ظنوا أنهم لا يمكن أن يكونوا مسايرين حديث الأداء الشعري إلا إذا انخرطوا في هذا التيّار الجديد، ومنهم الشاعر المحامي السياسي العبقري **محمد أحمد محجوب** ، كما ظهر في بعض قصائد ديوانه، كما في قوله في وصف طفل :

تارة يبكي وطورا يلعب
يتمنى . . يترجى يتدلل . . يكظم الغيظ . .
يظهر الحبّ . . يطلب النجم ويبكي إن فشل . .
ذلك الطفل الغرير . . في صعود وهبوط
وضجيج وهدوء . . يحكم الكون ويبني ويعيد
يزعج القط ويلوي ذيله . .
ويخاف النمل في الأرض يسير . .
وهكذا تستمر القصيدة .

«**نار المجاذيب**» و «**منابر**» وغيرهما، والذي شاء مرّة أن يصير مسايرا، فقدم قصيدته «**ليلة المولد**» وقد قرأها على بعض أنصار «الموضة» الجديدة، فهللّوا لها وكبّروا، وإن كان رأى الراسخين في الشعر أنها نوع من إسفاف الفحول!

كانت الأقلام المأجورة تضحك من هذا السقوط، وهي تصفق لهؤلاء القادمين الجدد إلى الهاوية، بل وبدأوا يكيلون لهم من أصناف المدح والإعجاب ويستخرجون منابع الإبداع الجديد الذي تكشّف لهم، وهم في أواخر حياتهم الشعرية، بل راحوا يؤكدون في مقالاتهم تلك أن العمر الشعري قد بدأ فقط بعد تلك الكتابات الجديدة.

واستمرت المهزلة متسعةً دوائرُها: فالدراسات الجامعية النقدية تُقترح على طلابها في هذا المسخ الشعري وصارت ألقاب الدكتوراه لا تمنح إلا في هذا المجال الواحد.

حتى المقررات من النصوص الأدبية على طلاب الثانويات العامة لا تكون إلا من هذه النصوص. أما النصوص العمودية فقد ذهبت في ذمة التاريخ، وأما الشروح لهذه النصوص الحديثة فأمرها عجيب. لا تجد، رغم معرفتك باللغة صرفًا ونحوًا وبلاغةً بتفاصيلها بيانًا وبديعًا ومعاني، ما يربط النص الذي أمامك بالشرح المصاحب له، حتى ليخيل للقارئ أن هناك خلطا في أوراق الكتاب، أو على أقل تقدير أن هناك تداخلا في الكلمات. ولكن هذه هي النصوص، وهذه هي الشروح، فإن فهمت، وإلاّ فأعد القراءة فلعلّك تفهم في المرة القادمة!

واستمرت البدع تترى، الشعر المنثور أو النثر المشعور. محاولة لهدم كل ما يربطنا بالبناء الشعري العمودي.

أحد الشعراء، في ليلة شعرية، بعد أن قدّم قصائده، قرّظهُ أحد القائمين بأمر الليلة، وقال إنه رغم ميله إلى كتابة الشعر الحديث، لكنه محافظ على الموسيقى الخارجية في قصائده، هنا فوجيء الحاضرون بالشاعر يقول: إن هذا مما يقلقه، وإنه كم حاول الإضراب عن موسيقى الشعر، ويبدو أنه لم يفلح!

قرأت مرّة «قصيدة» بمجلة ألمانية تصدر بالعربية «للشاعر» **أدونيس**، ففوجئت بشيء مكتوب فيها لا يقل عن اثنتي عشرة صفحة! والأمر لا يحتاج لتعليق، فقد كان من دعاوى هؤلاء «المستغربين» أن القصيدة العمودية طويلة جدا. وأننا في عصر الصاروخ والذرة والسرعة، وأن هذا التطويل نوع من الهُراء. ولكن تسقط هذه الدعوى بواسطة أحد مناوئيها الذي يكفيه سقوطا انسلاخه عن اسمه واسم أبيه، ثم يكتمل السقوط بانتسابه إلى دين جديد ذي رموز وثنية ويكفي في هذا النظر في معنى اسمه!

إن القضية في رأيي، ليست سقوط الشعر، ولكن انهيار الشعر الذي ليس له قضية، وهو الشعر المليء بالألغاز والأحاجي والرموز، والذي يستلهم رموزه من الأساطير اليونانية الوثنية، والذي يتدثّر بحكايات بروميثيوس وهيلين وبنات زيوس وباقي سلسلة الآلهة الخرافية، وهي انهيار الشعر الساعي إلى استخراج آهات المراهقين والمراهقات وشهقاتهم، والذي لا يجد بغيته إلا داخل ستور العذارى، وتلك «الغزوات» الفاشلة للفارس العجوز، أهتم الأسنان، خائر القوى، الذي لا يزال يعتقد أن «الشَعْر الغجري المجنون الذي يسافر في كل الدنيا» يستطيع أن يحوّل معه قلوب الناشئة الجدد!

سقط مقلدو ذلك الشاعر العجوز من أقلام رجالية، وأقلام نسائية، نسيت في تهافتها على استجلاب الصور الغربية أنها تتهافت على استجلاب حب الرجال، وصارت تتحدث بسماجة عن الرجل الربّ، أو الرجل الذي يلي الرب. معاذ الله. وكان من هذه الأقلام سعاد الصبّاح كما جاء في مقالة بالمجلة العربية قبل شهرين تقريبا.

لقد سقط الشعر الذي ليس له قضية، ولكن هل سقط الشعر القضية؟

شعراء السياسة المأجورون سقطوا أيضًا؛ لأنهم حرقوا شعرهم بخورًا لآراء فاسدة لم تقم على ما يمس مشاعر الناس الجديدة، والتي اتجهت إلى استلهام قيم الدين الحق بعد أن رأت الدعاوى المزيفة الداعية إلى القومية العربية والاشتراكية العربية والاشتراكية العلمية و... و... وكل هذه الدعاوى المتهالكة.

ولكن تعالوا إلى هنا، إلى السودان، حيث لا تزال للشعر دولة وصولجان، وحيث الليلة الشعرية يؤمها من المستمعين مثل عدد من كان يؤم حفلات أم كلثوم؛ لأن الشعراء هنا يبحثون عن القضية، ولا يبحثون عن التصفيق الأجوف. هنا يسمعون بأدونيس والبياتي ونزار قباني ويضحكون على هذه الأسماء، ولكنهم يعجبون بشعر شيخ شعراء السودان **عبد الله الشيخ البشير**، وتعجبهم كلمات فارس العربية **فرّاج الطيب**، ويتمايلون طربا مع كلمات الشاب **خالد فتح الرحمن**، والصوت الجهوري **صديق المجتبي**، وشجن العاطفة في **عبد القادر الكتيابي**، ولا ينسون أن يوزعوا إعجابهم بالأستاذ **مصطفى سند**، أحد أعمدة الشعر التفعيلي سابقًا، الذي أيقن أن النجاة والملجأ هو في الشعر العمودي.

الجامعات والمعاهد في السودان تقيم بين آونة وأخرى الليالي الشعرية التي يؤمها الرهط الجديد من أبنائها وهم يستمعون إلى الأساتذة، ومنهم من كان طالبا معهم في مقاعد الدراسة قبل سنوات كالأستاذ **محمد معشّي حامد**، وكاتب هذه السطور.

أختتم مقالي فأقول كما قال شاعرنا **فراج الطيب**:

وقد ذمّني أن قلت شعرا ... على النهج العُروبيّ القُدام
فقلت إليك، إني بعُدُ فحل ... ينافح بالضِراب وبالكِدام
وقد وأد العروبة حين غنّى ... بغيرِ لسانها لَغْوَ الكلام
وجاء بها رُكاكاتٍ مِراضًا ... تخبّر أنهم مرضى اعتزام

عبد السلام كامل عبد السلام
أم درمان ـ السودان



قليلاً من الاهتمام بتاريخ صقلية

استمتعت كثيرًا بقراءة العدد ٢٠٠ من مجلتنا الجميلة والفريدة «الفيصل» ، فهو بحق عدد ممتاز، بذلت فيه أسرة التحرير من الجهد الكثير والكثير، وإنني لشاكر لها من أعماق قلبي ووجداني.

ومن جملة مـا قرأت فيه مقـالة للدكتـور عبد الرحيم يـوسف الجمل بعنوان «صقلية : التاريخ والشعر» . تطرق فيها الكاتب إلى الحدث الإسلامي العظيم، ألا وهو فتح جزيرة صقلية وكـذا إلى ذكر أهم شعرائها . وما من شك فإن ذلك الفتح العظيم، كان لـه الأثر الكبير في نشر المدنية الإسـلامية الزاهـرة في أوربا المظلمة . وبقدر ما نعتز نحن بهذا الفتح الميمون نتأسف أيضًا لفقدنا هذا الثغر الباسم.

وأمام هذا الكم الهائل من الأحداث يقف المرء مـذهولاً وحزينًا، وفي رأسه تتداعى عشرات الأسئلـة ومن جملتها كيف ولماذا الكتب والمراجـع، التي تؤرخ أحـداث هذه البقعـة، قليلـة وشحيحة إلى هـذا الحد، ولماذا لم يُقبل أحـد من المؤرخين والكتاب المسلمين على دراسـة هذه الفترة الثريـة والغريبة من تـاريخنا الإسلامي، فالكثير منهم قد اشتغل بدراسة تاريخ الأندلس.

المسألة، وقـد أثارهـا في محاضرة له بعنوان «إشراق أنـوار المدنية الإسـلامية على أوربا من جزيـرة صقلية» في مؤتمر الفكر الإسلامي الذي انعقـد إذ ذاك بمدينة عنّابة بالشرق الجزائري.

والتنبيه جاء أيضًا من مؤرخ وفيلسوف غربي هو «غوستاف لوبون» في كتابه المعروف بـ «مدنيات العرب» ، إذ قال في هذا الصدد : «إن ما لدينا من المصادر لإحياء معالم المدنية العربية بصقليـة نادر قليل، بل إن المعلومات الوحيدة التي لـدينـا تنحصر في روايـات المؤرخين المختلفـة وفي عـدد قليل من الآثـار التي سلمت من أيدي الخراب والتحطيم وفي بعض قطع النقود» .

فهل هنـاك ماهـو أدل على رسوخ قدم العـربية والإسـلام بالجزيـرة من أن يُكتَبَ شاهدُ قبر المسيحي في كنيسة مقدسة، باللغة العربية مستعملاً التاريخ الهجري الإسلامي، بعد أكثر من ستين سنة من انتهاء حكم المسلمين؟!

فيـا جامعـات وجمعيـات وكتبـة ومجلات، بالله عليكـم اهتموا قليـلاً بهذا الروض المفقود، فالمدنية الإسلاميـة لم تدخل أوربا من باب واحد فحسب، بل



وأمام هذا الـوضع فإني أهيب بالمؤرخين والباحثين أن يُقـدموا في همة وحمية على دراسة تلك الحقبة وآثـارها الطيبة والعميقة، خاصـة وقد مهد لهم السبيل علاّمة صقلي عظيم، هو من أصل عربي لا يتطرق إليه الريب، أعني به المؤرخ الكبير «ميكـال عماري» ، الـذي يجب على كل مسلم، أينما كان مـوطنـه ومهما كان جنسه، ألاّ يغفل عن كتابـه الواسع العريض العميق «تاريخ المسلمين في جزيرة صقليـة» ، وهو في خمسة أجزاء ضخمـة، وقد أعيد طبعه وعليـه تعاليق جيدة متينـة . كذلك يجب علينـا أن ننوّه بـذكر عماري وكتابـه «المكتبة العـربية الصقلية» .

ولقد سبق للمؤرخ الجزائري الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني أن نبّه إلى هذه

إنها دخلت ــ والباحثـون يشهـدون ـ من بـابين اثنين : بـاب الأندلس وبـاب صقلية.

ألف شكـر للـدكتـور عبـد الـرحيـم يـوسف الجمل ولمجلتنـا «الفيصل» لإتاحتهـا لنا المجـال لتسليط الضوء على هـذه المسألة المهمـة من تاريـخ أمتنا الإسلامية بصقلية.

بريم عبد الرزاق
الجزائر العاصمة
الجمهورية الجزائرية

الإصدارات المغربيَة في العشـــرينيات والثلاثينيات



لقد ورد في العدد ١٩٦ من مجلة «الفيصل» الغراء، بباب «دائرة المعارف»، من إعداد الأستاذ محمد رضوان الأنطامي، سرد لبعض المجلات العربية الصادرة ما بين عامي ١٨٦٥م و ١٩٤٠م. وهذا السفر المرتب على حروف الهجاء فيه فائدة قصوى للباحثين والدارسين والإعلاميين والمهتمين بالدوريات والمجلات العربية. وحبذا لو تصدر «الفيصل» كشافا يضم جميع المطبوعات الصادرة بالبلدان العربية، ولو أن هذا العمل يتطلب مجهودات كبيرة ومضنية.

والغريب في الأمر إنني عند اطلاعي على هذه الدائرة المعرفية وجدت فيها إهمالا وتجاهلا للإصدارات المغربية في العشرينيات والثلاثينيات، ولم يرد فيها إلا عنوان واحد هو «نبراس المشارقة والمغاربة» لصاحبها قاسم بن سعيد الشماخي. ومن بين الإصدارات التي ظهرت هناك:

- إظهار الحق ظهرت في ١٩٠٤م بطنجة، وتوقفت سنة ١٩٣٢م.
- الصباح ظهرت في ١٦/٨/١٩٠٦م، وتوقفت في ٦/٥/١٩٠٧م بطنجة.
- لسان المغرب: ظهرت في ٢٨/٢/١٩٠٧م، وتوقفت سنة ١٩٠٨م بطنجة.
- الفجر: ظهرت سنة ١٩٠٨م، وتوقفت في ٢٠/١٢/١٩٠٨م بطنجة.
- الطاون: ظهرت في ٣٠/١/١٩٠٨م، وتوقفت في ٢٠/١٢/١٩٠٨م بفاس.
- سنان القلم: ظهرت في ٢٦/١/١٩٠٨م بفاس.
- المفاكهة: ظهرت سنة ١٩٠٨م بفاس.
- تنبيه المستبد ظهرت سنة ١٩٠٨م بفاس.
- إرادة الشعب ظهرت في ٨/١٢/١٩٣٣م بفاس، وتوقفت في ٩/٣/١٩٣٤م.
- الريف: ظهرت سنة ١٩٣٦م بتطوان.
- الوحدة المغربية: ظهرت في ٣/٢/١٩٣٧م بتطوان، وتوقفت في يناير سنة ١٩٤٦م.
- الحرية: ظهرت في مارس ١٩٣٧م بتطوان، وتوقفت سنة ١٩٤٧م.
- التقدم: ظهرت في ٢٩/٧/١٩٣٨م بسلا، وتوقفت في ٣١/٧/١٩٣٩م.
- المغرب: (مجلة شهرية للدفاع عن حقوق الأمة المغربية) مؤسسها محمد حس الوزاني، وأحمد بلا فريج، ومحمد الفاسي، وعبد القادر بنجلون فراج. ظهرت سنة ١٩٣٢م.
- عمل الشعب: صدرت في ٤ أغسطس ١٩٣٣م - صاحبها محمد حسن الوزاني. (وهي بالفرنسية).
- الأطلس - أسبوعية - ظهرت في ١٤ أكتوبر ١٩٣٧م، لمحمد اليزيدي.
- المغرب: ظهرت سنة ١٩٣٧م لسعيد حجي.

وأتمنى بهذا السرد المتواضع أن أكون قد وفيت بعضا من الفائدة، تعطي نظرة، ولو متواضعة، وقاصرة للإصدارات بالمغرب، فيما قبل الاستقلال، أي إبان الحماية الفرنسية.

محمد داني

الدار البيضاء - المملكة المغربية

حول عيسى عليه السلام



قرأت في مجلة «**الفيصل**» مقالة بعنوان «**عيسى من التثليث إلى التوحيد**»، ولقد اجتذبتني هذه المقالة في **قصة إسلام توماس**، ولكن وقع نظري على كلمة حبذا لو صيغت بأسلوب ليس فيه شبهة، وهذه الكلمة وردت في الصفحة ٦١ من **العدد١٦٨**، وهذا نصها: «وعيسى حين تسمى بهذا الاسم، إنما هدف إلى التأكيد على أن عيسى عليه السلام هو إنسان من صلب إنسان ونبي مرسل جاء بالحق بأمر من ربه ولم يدّع الربوبية يومًا».

وكان ينبغي أن يقول: «إن عيسى عليه السلام هو إنسان ولد من إنسانة» حتى لا يوجد مجال لليهود - لعنهم الله - في قولهم على مريم بهتاناً عظيما. ومقالنا نحن المسلمين في عيسى كما قال الله تعالى: ﴿إن مَثل عيسى عند الله كمثل آدم خُلِقَ من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ آل عمران ٥٩.

وقد ذكر العلماء أن الخلق جاء على أربعة أضرب: آدم عليه السلام من العدم حيث خُلِقَ من الطين، وحواء عليها السلام خُلِقَتْ من ذكر بلا أنثى حيث خلقت من ضلع آدم أو من فخذه، وعيسى عليه السلام خُلق من أنثى بلا ذكر وهي مريم عليها السلام وسائر الخلق من ذكر وأنثى ليبين الله قدرته للناس.

وإنني أعتقد أن صاحب المقالة لم يقصد وضع هذه الكلمة، وإنما هي سبق قلم أو خطأ مطبعي.

علي صالح محمد

الرياض

استراحة العدد

عجـــائب الخلـق

تحتوي كليتا الإنسان البالغ على قرابة مائتي مليون قناة دقيقة، طول كل منها خمسة سنتيمترات، أي أن طولها كلها يصل إلى عشرة آلاف كيلو متر أو ما يعادل ربع محيط الكرة الأرضية.

وتصفي الكليتان نحو نصف متر مكعب من دماء الإنسان البالغ يوميًا.

وتموت في جسم الإنسان في كل ثانية نحو خمسين مليون خلية، ويقوم الجسم بتجديد عدد مماثل لها.

نيرون المظلوم

ظلم نيرون طوال ألفي عام بسبب قبول القصة القائلة إنه عزف على الكمان بينما روما تحترق. والحقيقة أن الإمبراطور الروماني كان على مسافة خمسين كيلومترًا من روما في دارته القروية عندما اندلعت النيران. ولما بلغه الخبر المشؤوم لم يتأخر في العودة إلى روما على جناح السرعة، وقام بتوجيه عمليات الإطفاء، وأولى اهتمامًا بإيواء الذين تشردوا أو هجروا بيوتهم وإطعامهم.

وبعد أن أطفئ أكبر حريق عرفته العصور القديمة أعاد بناء روما، فإذا بها تصبح مدينة أفضل كثيرًا من ذي قبل، وبسبب لومه النصارى واتهامه إياهم بإشعال الحريق واضطهاده لهم بقسوة؛ تجاهل رجال الكنيسة شهادة المؤرخين وصوّروا نيرون وحشًا قاسي الفؤاد. إلا أن التاريخ يشهد أن معالجة نيرون للحريق ربما كانت أعظم أعماله وأكثرها جدارة بالإطراء والثناء.

ويأتيك بالأمثال

أعزُّ من بيض الأنوق

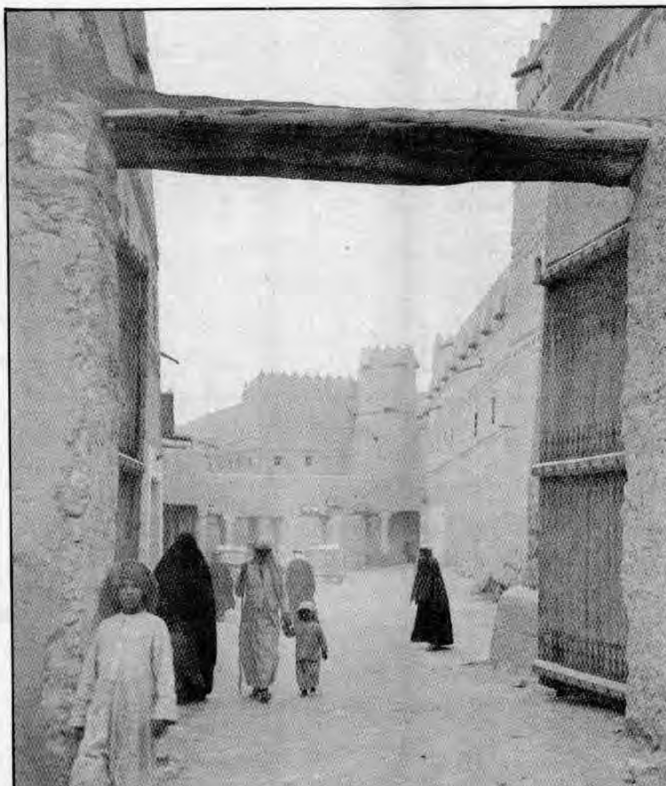
«الأَنوق» اسم لطائر يطلق عليه الرخَمة، وهي أبعد الطير وَكْرا، حيث تضع أُنثاه بيضها في أعلى قمم الجبال، فضربت به العرب المثل في تأكيد بُعد الشيء وما لا يُنال.. وفي هذا يقول الشاعر:

وكُنْتُ إذا استُودِعْتُ سراً كتمتُهُ

كبيض أَنُوقٍ لا يُنَال لها وَكْرُ

أي الدارين أحسن؟

زار الخليفةُ المعتصم خاقانَ عند مرضه، وكان لخاقان ابن يدعى «الفتح» فقال له المعتصم: أداري أحسن أم دار أبيك؟ قال الغلام: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن.



البوابة الشمالية للصفاقات، وتبدو بوابة قصر الحكم الشرقية أسفل البرج، والمطلة على الميدان بين الصفاقات الشمالية والجنوبية ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣ م.

أول تقويم

بدأ التقويم المصري عام ٤٢٤١ قبل الميلاد، وكان التقويم الثاني بعده هو التقويم الصيني الذي بدأ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

أغرب وصية!

أوصت ماري كوهيري من ولاية نيوجرسي الأمريكية بدولارين لزوجها بعد موتها، شرط أن يستخدم نصف هذا المبلغ لشراء حبل يشنق نفسه به.

مخترع السندويتش

مخترع الوجبات السريعة أو ما يسمى «الساندوتش» هو «ايرل ساندوتش» الذي ولد عام ١٧١٨م لأبوين من الطبقة الراقية، وتعلم ركوب الخيل واللغة اللاتينية ككل أبناء عصره وطبقته، ثم دخل جامعة «كامبردج» لدراسة الخطابة، ولكن هذه الدراسة لم تعجبه. وكان يرى أن تقاليد المطبخ الإنجليزية معقدة، لذا كان يدخل مطبخ الجامعة؛ ليجرب أكلات مختلفة أكثر بساطة، ولم يتردد في سرقة أرغفة الخبز وقطع اللحم لإجراء تجاربه، وكانت النتيجة أن طردته الجامعة.

وترك «ساندوتش» إنجلترا كلها وسافر إلى السويد، وهناك أمضى ثلاث سنوات يدرس عادات الأكل المختلفة، وسجل في مذكراته جملة رائعة يقول فيها: إنني مقتنع أنني سأبتكر شيئًا أهم من كل ما ابتكره الإنسان حتى الآن. إن هذا الابتكار خاص بالأطعمة، بالتحديد وضع الأطعمة بعضها فوق بعض. إن هذا هو طعام المستقبل.

أول الإصلاح

قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صَنَعْتَ، والقبيح عندهم ما تَرَكْتَ. علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك. فقد اتكلت على كفاية فيك.

من عيـــون الشعـــر

عجبت لمعشر صلـــوا وصـــامـــوا
مظـــاهـــر خشيـــة وتقى كـــذابـــا
وتلقـــاهـم حيـــال المال صُمّا
إذا داعي الـــزكـــاة بهم أهـــابـــا
لقـــد كتمـــوا نصيب الله منـــه
كـأن الله لم يحص النصـــابـــا
ومـن يعـــدل بحب الله شيئًـــا
كحب المال ضل هـــوىً وخـــابـــا

أحمد شوقي

بين شاعرين

كان أحد الشعراء مفلسًا ذات يوم، فذهب إلى صديقه الشاعر مصطفى حمام، وكان الأخير بدوره يعاني أزمة مالية، فقال له الأول :

صـديق العمـر سلفني ريـالا ... وأقسم أن أرده إليك حـالا

فقال له حمام بالوزن والقافية نفسيهما :

كلانـا مفرط الإفلاس حقًا ... فـاذهب إلى غيري ولا تطلب محالا

حسب الكذوب مهانـة

قال أعرابي لابنه وقد سمعه يكذب : يا بني، عجبتُ من الكذاب المشيد بكذبه، إنما يدل على عيبه، ويتعرض للغضب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه منقادة، إن قال حقًا لم يُصدق، وإن أراد خيرًا لم يوفق، ما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نُسب إليه، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكـذوب من المهـانـة ... بعض مـا يحكى عليـــه
مـن إنّ سمعت بكـــذبـــة ... من غيره نُسبت إليـــه

اخشَوْشِنُوا



كأني قرأت في مجلة لبنانية أن سعيد عقل قال : «ليس هناك أجمل من الكلمة القرآنية اخشوشنوا». وهي ليست موجودة في القرآن ولكنها مأثورة عن السلف الصالح، فلست أعلم إن كان النبي ﷺ قالها، غير أن هذه الكلمة قد هجرها أدبنا وشعرنا المعاصر.

وليست هي الكلمة الوحيدة. ألم ترَ إلى أن خطابنا الأدبي قد خلا من «ألم تر»، فلا تجد أحدًا في عصرنا هذا فيما نقرأ من أعمدة صحفية وأساطين أدبية يستخدم هذا التعبير. ولا نجد فيما نقرأ مثلاً كلمة «ثاني عِطْفِهِ». وكثير من الكلمات القرآنية البليغة والجميلة والقوية قد عمي عنها كتابنا، ولست أبرئ نفسي.

ربما استطاع أحد طلبة العلم أن يضع قاموسًا في الكلمات التي استوحش عنها الأدباء والكتّاب وهي في القرآن والحديث ونهج البلاغة وأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

ونلاحظ اقتحام الأدباء على أحصنة خطابية جديدة، دون أن تبلغ مبلغ ذاك السموق البلاغي الباهر. حتى إذا عثر أحدهم على كلمة مثل كلمة «اخشوشنوا» قال تلك هي آية الجمال، والسحر الحلال، وربما ألحقها بالقرآن، وما هي من القرآن. وقد سمعت ذات مرة رجلاً متعلماً يذكر في فضائل بيت المقدس أن القرآن قال : «بيت المقدس موضع رباطكم إلى يوم تبعثون»، فلما أنبأته أن هذه العبارة ليست من القرآن استنكر واستغرب واستعجب واستهجن، ولعله قضى النهار كله يبحث عنها في كتاب الله فلم يعثر عليها. ولما كان صاحبي فلسطينيًا فقد أكدت له أن بيت المقدس ثغر مقدس من ثغور دار المسلمين، وأن الحقيقة هي أن القرآن ذكر المسجد الأقصى بالنص، أما مدينة القدس فلم يذكرها.

لقد كثرت الكتب والمؤلفات فأصبح الناس يشترون - إذا اشتروا - من الكتب دون تمييز بين كتاب عن سيرة رسول الله ﷺ وكتاب عن شرلوك هولمز، وجاءتهم الهُجنة والعجمة والثغرات الثقافية من مزاحمة هذه الكتب المغشوشة للكتب المهمة والجديرة بالقراءة، ومن قراءة المغشوشات أصبحت عندنا لغة مغشوشة وثقافة مغشوشة.

ومن الطريف أنني أسمع اسمًا يرن رنينًا عجيبًا في صحفنا، فلما قرأت بعض إنتاج هذا الاسم - أستغفر الله - لم أستطع إكمال أسطر معدودة مما تخطه يمينه - أو يمينها - وبقي عندي لغزًا من الألغاز، حتى أخبرني مُطَّلع فقال :

إن الـــدراهم في المواطـن كلهـــا
تكسـو الرجـــال مهـابـة وجـمـــالا

إن أغلى ما في الدنيا كتاب قيم. وإذا أردنا أرخص ما في الدنيا فهو الكتاب الرخيص، فالكتب القيمة يرخص في سبيلها الذهب الأحمر.

محمد علي الجفري

رجل في جلد آخر



عنوان مسرحية للدكتور منير العجلاني عنون به مؤلفه الذي ضم إلى جانب هذه المسرحية سبع قصص قصيرة، والمسرحية تتسم بالخيال، وتدور حول رجلين تبادلا دماغيهما، مما أدى إلى مفارقات عديدة في محيطهما الاجتماعي، ويلاحظ في هذه المسرحية والقصص القصيرة أيضًا تعلق مؤلفها بباريس المدينة التي قضى فيها سنوات طويلة، حيث جعلها مكانًا لمعظم أحداث أعماله.

يضم الكتاب تعليقات نقدية عن بعض أعمال المؤلف، كتبها عدد من الأدباء في مقدمتهم الشيخ علي الطنطاوي.

يقع الكتاب في ١٢٢ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عام ١٤٠٨هـ عن دار النفائس ببيروت.

القلب الفاضح



مجموعة قصص قصيرة من روائع الأدب العالمي، ترجمها وقدم لها خالد عبد الرحمن العوض، وصدرت عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

تناولت مقدمة المترجم مراحل تطور القصة القصيرة، وأهم الطرق المستخدمة في كتابتها، وحرص في انتقائه للقصص المترجمة على أن تكون ممثلة لتلك الطرق.

يقع الكتاب في ١٣٦ صفحة من القطع الصغير، وهو من إصدارات النادي لعام ١٤١٣هـ.

ملتقى أبها الثقافي



من إصدارات نادي أبها الثقافي لعام ١٤١٤هـ. ضم فعاليات ملتقى أبها الثقافي، وبدأ بإطلالة لسمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير رئيس لجنة التنشيط السياحي، رحب فيها بضيوف الملتقى، ثم كلمة للأستاذ محمد عبدالله الحميد رئيس النادي، عرض فيها المحاضرات التي ألقيت والتي استهلت بمحاضرة عن «الإسلام والنظام العالمي الجديد» للشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري تساءل فيها عن وجود النظام العالمي الجديد مشيرًا إلى اختلاله لإبعاده الدين عن الساحة من أجل التقدم العلمي والمادي ولانحلال الروابط الاجتماعية فيه، ثم أنكر تقديم الحل الإسلامي إلى البشرية بواسطة الكتب والمحاضرات دون قيام القدوة العلمية التي تقنع العالم بجمال النظام الرباني وكماله.

وفي المحاضرة الثانية تناول الدكتور منصور إبراهيم الحازمي الأدب السعودي في عيون الآخرين متحدثًا عن غياب الأدب السعودي عن الساحة العربية حتى وقت قريب، وعن نظرة الأشقاء العرب إليه، ثم تناول على ثلاث مراحل «نظرة الرحالة ونظرة الباحثين ونظرة الأصدقاء» التي لم يكن للأدب فيها حظ وفير.

ثم قدم الدكتور فهد بن عبد الرحمن بالغنيم محاضرة عن «تحلية المياه بالمملكة العربية السعودية كمنجز حضاري» تناول فيها ريادة المملكة في هذا المجال، وعرض التطور التاريخي لتوفير المياه العذبة من البحر، وتاريخ تطور إنشاء المؤسسة العامة لتحلية المياه وتنفيذ مشروعاتها، مبينًا طرق التحلية المستخدمة تجاريًا ومقدمًا شرحًا تفصيليًا لعمليات التحلية وطرقها المختلفة، ونبذة عن تطور دراسة محطات التحلية بالمملكة وتنفيذها وتشغيلها. كما تضمن الكتاب بعض القصائد الملقاة في الأمسيات الشعرية بالنادي، منها قصيدة « نهج الصواب » لعبد الله ابن محمد الحميد وقصيدة «أبها حنانك» لخالد الحليبي، إضافة إلى ملحق عن جائزة أبها الثقافية تضمن أسماء الفائزين عام ١٤١٢هـ وبعض قصائدهم كقصيدة «أبها في عين عراقي» للشاعر يحيى السماوي وقصيدة «تراثية حب» للدكتور محمد ابن سعد الدبل. والكتاب في ١٣٣ صفحة.

قضايا معاصرة
تأملات وآراء

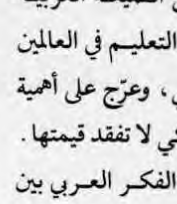


تأليف الدكتور محمد فاروق النبهان. تناول الكتاب ستاً وعشرين قضية تهم الساحتين العربية والإسلامية في مختلف المجالات، واعتمد طرح القضية وتحليل أبرز جوانبها، ثم تناول الآراء والمقترحات

بمناقشة وبحث، ومن ضمنها «الصحوة الإسلامية: أسبابها ومظاهرها»، كما عرض لاختلاف النظرة إليها ما بين تفاؤل وتشكيك، ثم ذكر التحدي الاستعماري والصهيوني وفشل الصيغة الغربية للتفكير، وانتشار التعليم في العالمين العربي والإسلامي، وعرّج على أهمية ترشيد الصحوة لكي لا تفقد قيمتها.

كما تناول أيضا «الفكر العربي بين التحدي والتجديد» موضحًا الفرق بين التجديد والتحدي والمراد بكل منها، ومناقشًا تأسيس فكر عربي معاصر وأهمية تحرر الفكر العربي واستقلاليته. صدر الكتاب عن مكتبة عكاظ بالرباط عام ١٩٩٣ م، في ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط.

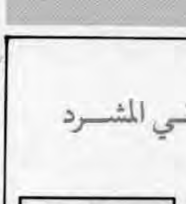
اللصوص وعروس البحر



مجموعة قصصية للقاص السوري رياض نصور، ضمت ثماني قصص قصيرة، تميزت بالرمزية، تغلب عليها الروح الاجتماعية، والميل إلى الماضي بأخلاقياته وقيمه الأصيلة. تعد هذه المجموعة الثالثة للمؤلف، إذ صدرت له مجموعتان من قبل، الأولى بعنوان «أشباح المدينة» في عام ١٩٦٩ م، والثانية عنوانها «في الغابة» في عام ١٩٨٦ م.

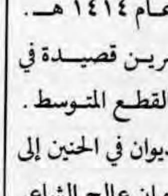
يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عام ١٩٨٩م عن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

من أغاني المشرد



مجموعة شعرية للشاعر العراقي يحيى السماوي، صدرت عن نادي أبها الثقافي عام ١٤١٤ هـ. تضم إحدى وعشرين قصيدة في ١٢٣ صفحة من القطع المتوسط. ومعظم قصائد الديوان في الحنين إلى الوطن والوصف، وإن عالج الشاعر موضوعات أخرى متنوعة منها الوجدانيات والإخوانيات والرثاء والغزل.

الإنسان في الميزان



خماسيات شعرية للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين، تولى طبعها وتصحيحها الأستاذ يحيى المعلمي بدار المعلمي للنشر بالرياض عام ١٤١٣ هـ. يضم الكتاب عشر مجموعات تتناول سبعا وخمسين خاطرة شعرية، تتناول شتى الموضوعات مثل: «العرب والإسلام»، و«الجمال في نظرة الخلاّق»، و«الإنسان والحياة»، وقد صاغها الشاعر على شكل خماسيات تعالج أفكارًا متكاملة على بحر «الرمل»، كما تستقل كل خماسية بقافية تحريًا للبساطة وعدم التقيد.

صدر الكتاب في ١٧٣ صفحة من القطع المتوسط.

أَجْرَأُ مِنَ ٱللَّيْلِ

(تتمة «إطلالة»)

للغرب، وتحقيق مصالحه وفرض معتقداته الفكرية (الأيديولوجية)، في الوقت ذاته الذي مارست فيه التحريف والتشويه لثقافات ما يسمونه بالدول النامية ـ والدول الإسلامية في مقدمتها ـ، يجعل العبء النفسي الواقع عليها كبيرًا في حال تجاوبها مع الدعوة للتفاعل الحضاري الحر الهادفة إلى صياغة جديدة للعلاقات بين الإسلام والغرب، تقوم على الاحترام المتبادل والتعاون الرامي إلى تحقيق المصالح. ويتطلب الدور الجديد لوسائل الاتصال في الغرب ـ إذا ما افترضنا التجاوب ـ استراتيجيات فاعلة تعمل على محو الصور الذهنية المشوهة التي كونتها عن الإسلام في العقلية الغربية على مدى سنوات طويلة، مستندة في ذلك إلى تراث عدائي تليد يرجع إلى بداية إشراق نور الإسلام على الغرب، وما خلّفته القرون الوسطى المظلمة هناك من أدب شعبي زاخر بالخرافات والافتراءات عن الإسلام. وكان من المفترض أن تكون الدراسات الاستشراقية سبيلا لتفهم أعمق للإسلام ومبادئه، إلا أن علاقتها الوطيدة بالصراع الديني العسكري بين الغرب والعالم الإسلامي جعل مردودها سلبيًا إذ مهدت للهيمنة الغربية، وها هو الأستاذ أحمد محمد جمال ـ يرحمه الله ـ في كتابه «مفتريات على الإسلام» يشير إلى هذه الحقيقة بقوله: «كانت دراسة المستشرقين للإسلام تاريخا وتشريعا غير مخلصة، ولا نزيهة، ولا علمية موضوعية، وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله»، فقد كان الهدف كما يقول كتاب «الإسلام اليوم» لمارسيل بوازار: «تسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية»، ورسّخ الواقع المريض للمسلمين النظرة الاستعلائية الغربية، وآثر بعضهم الوقوع في أحضان الغرب وقيمه انبهارا بقشوره السطحية دونما محاولة للتعمق في أسباب قوته وعنفوانه، في الوقت الذي يشير فيه ولي عهد بريطانيا إلى شمولية الإسلام في نظرته للحياة وأهمية أن يفيد منه الغرب. وموقف ذلك البعض زاد المسلمين بلاءً على بلائهم، وعمّق من اهتزاز صورتهم الذهنية لدى الغرب التي أخذت طابع التعميم، ومارست وسائل الاتصال الدور ذاته، بإطلاق الأحكام العامة، حتى إن واحدا مثل جورج ديهاميل عضو الأكاديمية الفرنسية يرى أن «الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات». وهذا الدور السلبي لوسائل الاتصال فطن إليه الأمير تشارلز حين ربط بين تقدمها التقني وتزايد سوء الفهم.

إن الدور الجديد المؤمل لوسائل الاتصال الغربية ـ إذا ما أفرطنا في التفاؤل ـ لا يعني أن تتنازل عن قناعاتها السابقة، وتحول وجهتها كاملة من النقد إلى المدح، ومن التنقيص إلى التمجيد إنما يعني أن يكون الطرح الهادىء ديدنها، وإعمال العقل والفكر في التناول سمتها، فالإسلام ـ بحجته الدامغة ومنطقه القوي ـ، يرحب بأساليب الإقناع الحضاري ولا يخشاها.

في المقابل على المسلمين أن يفيدوا من تطبيق مناهج البحث وطرقه في العلوم المادية، وأن يتفقهوا في تلك العلوم التي نهضت على أساسها حضارة الغرب، دون الانبهار بالقشور. ويعد استحضار شخصيتنا الوسطية ومقوماتنا الفكرية من ضرورات الوقاية من هذا الانبهار، كما أنه طريق ممهد لنشر الإسلام والإقناع به، وفيه السبر الآمن لأغوار حضارة الغرب الذي نأمل أن يستجيب لدعوة الأمير تشارلز ويرضى بالتفاعل الحر بين حضارتينا دونما محاولة للسيطرة والهيمنة.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص . ب . ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

• أجوبة مسابقة العدد (٢٠٢) •

ج ١ : على القاضي؛ إذا جلس بين يديه خصمان؛ أن يسوّي بينهما في عدة أشياء، هي : في الدخول عليه، والجلوس بين يديه، والإقبال عليهما، والاستماع لهما، والحكم عليهما. والمطلوب منه التسوية بينهما في الأفعال دون القلب، فإن كان قلبه يميل إلى أحدهما ويحب أن يغلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه؛ لأنه لا يمكنه التحرز من ذلك. ولا ينبغي أن يلقّن واحدًا منهما حجته، ولا شاهدًا شهادته؛ لأن ذلك يضر بأحد الخصمين، ولا يلقن المدّعي الدعوة والاستحلاف، ولا يلقن المدّعىٰ عليه الإنكار والإقرار، ولا يلقن الشهود أن يشهدوا أو لا يشهدوا، ولا يضيف أحد الخصمين دون الآخر؛ لأن ذلك يكسر قلب الآخر، ولا يجيب، هو، إلى ضيافة أحدهما، ولا إلى ضيافتهما ما داما متخاصمين؛ وقد روي أن النبي ﷺ كان لا يضيف الخصم إلا وخصمه معه، ولا يقبل الهدية من أحد إلا إذا كانت ممّن جرت عادته أن يهديه؛ فإن الهدية إلى القاضي ممن لم تجر عادته بإهدائه تعتبر من الرشوة، وقد قال ﷺ : ﴿لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم﴾.

□ □ □

ج ٢ : يرث من الرجال عشرة، وقد جمعهم الناظم في قوله :

الوارثون من الرجال عشرة ... أسماؤهم معروفة مشتهرة
الابن وابن الابن مهما نزلا ... **والأب والجد** له وإن علا
والأخ من أي الجهات كانا ... قد أنزل الله به القرآنا
وابن الأخ المدلي إليه بالأب ... فاسمع مقالي ليس بالمكذب
والعم وابن العم من أبيه ... فاشكر لذي الإيجاز والتنبيه
والزوج والمعتق ذو الولاء ... فعدة الذكور هؤلاء

□ □ □

ج ٣ : بنيت منارة الإسكندرية قبل سور الصين العظيم؛ إذ أقامها سوسترات في جزيرة فاروس بمدخل الميناء الشرقي من مدينة الإسكندرية حوالي سنة ٢٨٠ ق . م، في عهد بطليموس الثاني، وكان علوها ١٢٠ مترًا، وظلت باقية حتى هدمها زلزال أرضي عام ١٣٧٥م.

أما سور الصين العظيم فقد بدئ تشييده في عهد شن هوانجتي (حكم بين عامي ٢٤٦ ـ ٢٠٩ ق . م)، وإن كان بصورته الحالية ينتمي إلى أسرة المينج (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م).

□ □ □

ج ٤ : يرجع منشأ مظلة الهبوط الواقية (الباراشوت) إلى جان بيير بلانشار، الذي بدأ تجربته من برج مرصد مدينة مونبلييه في فرنسا ١٧٨٥م، ثم تلاه جاك جارنيرا الذي هبط بوساطته من منطاد (١٧٩٧م). وكلمة باراشوت تتكون من مقطعين : « بارا » ويعني « ضد » و « شوت » ويعني « السقوط »؛ أي ضد السقوط. وقد تطورت صناعته منذ بدأ استخدامه في أغراض مختلفة حربًا وسلمًا.

□ □ □

ج ٥ : **جورج واشنطن،** أحد أبطال حرب الاستقلال الأمريكية. ولد في ٢٢ فبراير ١٧٣٢م. شارك في حروب الاستقلال الأمريكية ضد الاحتلال الإنجليزي، اختاره الكونجرس (١٥ يونية ١٧٧٥م) قائدًا عامًا لجيش المستعمرات الثلاث عشرة، وقبل ذلك كان المؤتمر الأمريكي العام قد بدأ الانعقاد من العام ١٧٧٤م، ولكن ولاية ماريلاند لم توقع على وثيقة الاتحاد إلا في عام ١٧٨١م، وبتوقيعها أصبح اتحاد الولايات الأمريكية الثلاث عشرة حقيقة واقعة؛ **فانتخب «جون هانسون» ممثل ولاية ماريلاند؛** الذي علّق إمضاءه على الوثيقة المذكورة؛ **رئيسًا للاتحاد الأمريكي،** لكنه لم يمارس أية سلطة فعلية، وكان جورج واشنطن نفسه حاضرًا، فخاطبه على أنه رئيس للاتحاد الأمريكي في رده على رسالة الشكر التي وجهها إليه **«هانسون»** لمناسبة انتصار «يوركتون» الشهير (١٧٨١م)، وهي العمليات الحربية التي ختمت حروب الثورة الأمريكية. بعد ذلك رأس جورج واشنطن مؤتمرًا لوضع دستور فيدرالي يضم شمل المستعمرات (١٧٨٧م)، وانتخب بالإجماع رئيسًا للجمهورية (١٧٨٩م). وبذلك **يعد جورج واشنطن الرئيس الأمريكي الأول بعد أول انتخابات دستورية عامة في الولايات المتحدة الأمريكية.** تولى الرئاسة لفترتين (١٧٨٩ ـ ١٧٩٧م). رفض أن يرشح نفسه لفترة رئاسية ثالثة، واعتزل الحياة العامة. مات في ١٩ ديسمبر ١٧٩٩م. لُقب «بأبي الوطن»، قيل عنه إنه كان الأول في الحرب، والأول في السلم، والأول في قلوب مواطنيه.



● نتائج مسابقة العدد (٢٠٢) ●

أ ـ فـاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرهـا ٥٠٠ ريال سعـودي، عبد النـاصر بن البشير عجـال، مدنين ـ تونس.

وفـاز بـالجائزة المالية الثانيـة، وقدرها ٣٥٠ ريـالاً سعوديًا، أحمد محمـد جويد أحمد، بـورسعيد ـ مصـر.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرهـا ١٥٠ ريالاً سعوديًا، عبلـة علي عبد اللطيف علي، المدينة المنورة ـ المملكـة العربية السعودية.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ أحمد حلمي بن عارف شمـا، دمشق ـ سورية.

٢ ـ محمد علي حسين شعلان، عمّان ـ الأردن.

٣ ـ منيف مطهر عبد الولي الأغبري، تعز ـ اليمن.

٤ ـ رجاء سليم رشيد، أبو ظبي ـ الإمـارات العربية المتحدة.

٥ ـ مريم بن مهية، الطارف ـ الجزائر.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ محمد المهدي خالد بشير، أم درمـان ـ السودان.

٢ ـ خديجة بنت إدريس الأمل، فاس ـ المغرب.

٣ ـ عبد السلام الياسين، دمشق ـ سورية.

٤ ـ رجب سالم شنر، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٥ ـ أحمد محمد غنيمة عبد القادر، المنيـا ـ مصر.

٦ ـ لطفي بن إبراهيم حتيرة، المطوية ـ تونس.

٧ ـ عمر بن محمد السباعي، الدار البيضاء ـ المغرب.

٨ ـ فـاروق شاهر النفوري، النبك ـ سوريـة.

٩ ـ علي محمد رشاد المسوري، صنعـاء ـ اليمن.

١٠ ـ سميرة محيي الدين حسن باي، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

د ـ كما فاز بجـائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسـات الإسلاميـة، كل من:

١ ـ مريم بنت ماهر بن حمدة سويسي، قصر هلال ـ الجزائـر.

٢ ـ فريدة محمد أنور، القاهرة ـ مصـر.

٣ ـ محمد علي الحسين العمر، حمـاة ـ سوريـة.

٤ ـ سوسن مصطفى حجازي، عمّـان ـ الأردن.

٥ ـ عوض سرور طـه إبراهيم، الخرطوم ـ السودان.

● أسئلة مسابقة العدد (٢٠٥) ●

السؤال الأول:

شرع الإســلام للمــرأة؛ إذا طلقت أو ترملت؛ عـدة تعتدها كي تنكح بعدهـا زوجًا آخر. اذكر عدة الأرملـة والمختلعة والحامل؟

□ □ □

السؤال الثاني:

إذا اضطر الإمــام؛ لسبب مـا؛ أن يصلّي قاعـدًا، فكيف يصلي الناس خلفه: قيـامًا أم قعودًا؟

□ □ □

السؤال الثالث:

في العالم القديم نشأت حضارات عديدة؛ كالبابلية والمصرية والفينيقية والصينية وغيرها. وابتكـرت كل حضارة لنفسهـا تقـويمًا خاصًـا تؤرخ بـه الوقـائع والأحداث. مـا أول دولـة عرفت التقويم؟

□ □ □

السؤال الرابع:

كـان اليهـود يعيشون في العـالم الإسـلامي آمنين مطمئنين، شأنهم في ذلك شأن بقية أهل الذمـة، ولكن لكثرة مـؤامراتهم جعل لهم أحد الخلفـاء زيًّا خاصًّا يتميزون بـه. فمن هـو؟

□ □ □

السؤال الخامس:

كيف يحصل أفراد شعب الإسكيمـو على المـاء الصـالح للشرب إذا كـانـوا على شـاطئ بحـر متجمـد بعيدًا عن الأنهـار العذبـة؟

الحركة الثقافية في شهر

- □ ثلاثة أندية أدبية جديدة في السعودية .
- □ معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال .
- □ افتتاح رمزي لمتحف بيروت الوطني .
- □ الهندوس يطالبون بحظر تداول القرآن الكريم .
- □ كرسي الملك فهد لدراسات الشريعة الإسلامية بجامعة هارفارد .
- □ افتتاح التوسعة الجديدة لمتحف اللوفر .

السعودية

أندية أدبية جديدة في تبوك وحائل والباحة



الأمير فيصل بن فهد

تقرر إنشاء **ثلاثة أندية أدبية جديدة** في كل من **منطقة الباحة ومنطقة تبوك ومنطقة حائل** .

وقد بدأت الجهات المختصة في تلك المناطق اتخاذ الإجراءات اللازمة بعد أن تمت موافقة صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب على إنشاء هذه الأندية لاستغلال الطاقات الفكرية والأدبية ، وفتح الباب أمام إبداعات مفكري تلك المناطق ومثقفيها .

معارض فنية

شهدت المملكة خلال شهر جمادى الآخرة المنصرم تنظيم **عدة معارض فنية تشكيلية وتصويرية فوتوغرافية** في عدد من المدن .

من أبرز المعارض التي أقيمت في الرياض « **معرض الفن التشكيلي الإسباني المعاصر**» الذي افتتحه صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد ابن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب في العاشر من الشهر الماضي .

وكان صاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن فهد بن عبد العزيز** نائب الرئيس العام لرعاية الشباب قد رعى قبل ذلك بأسبوع افتتاح **المعرض الشخصي للفنان أحمد الأعرج** الذي ضم قرابة ستين عملاً فنياً .

كما افتتح **السفير الياباني** لدى المملكة معرضاً في قصر الثقافة بالحي الدبلوماسي بالرياض بعنوان «**اليابان في صور وملصقات**» ضم ٥٨ صورة و ٧٨ ملصقاً تتناول مظاهر الحياة في اليابان .

واستضاف **مركز الخزامى** في الرابع عشر من الشهر نفسه **معرضاً** شخصيا للفنان التشكيلي البريطاني **سبنسر تارت** .

كما افتتح أمين مدينة جدة الدكتور **خالد عبدالغني** معرضاً جماعياً في بيت المصورين الفوتوغرافيين في جدة ضم ١١٣ عملاً قدمها ٣٨ فناناً من مختلف مناطق المملكة .

الأسبوع الثقافي الأول لجامعات دول مجلس التعاون

تنظم جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران خلال شهر إبريل ١٩٩٤م المقبل **الأسبوع الثقافي الأول لجامعات دول مجلس التعاون** .

يشمل الأسبوع مسابقات بحوث علمية وثقافية وأدبية وفنية ، ونشاطات ثقافية وفكرية وفنية أخرى .

جائزة البنك الإسلامي للتنمية

مُنِحَ **مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز** في جدة **جائزة البنك الإسلامي للتنمية في مجال الاقتصاد الإسلامي لعام ١٤١٣هـ ١٩٩٣م** .

جاء منح الجائزة للمركز بالإجماع تقديراً للخدمات التي قدمها بوصفه أول مؤسسة من نوعها في العالم الإسلامي ، عملت على تعزيز وتطوير الاقتصاد الإسلامي لموضوع علمي .

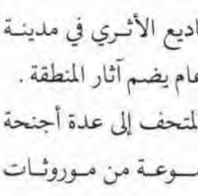
ويذكر أن المركز تأسس عام ١٩٧٧م .

قصر المجاديع متحف شعبي

تقرر تحويل قصر المجاديع الأثري في مدينة بلجرشي إلى متحف شعبي عام يضم آثار المنطقة .

وينتظر أن يتم تقسيم المتحف إلى عدة أجنحة بحيث يضم كل جناح مجموعة من موروثات المنطقة مقسمة حسب نوعياتها .

ندوة الضعف اللغوي



د. حسن بن فهد الهويمل

نظم نادي القصيم الأدبي في بريدة مؤخراً ندوة ثقافية لغوية بعنوان «**الضعف اللغوي : الظاهرة والعلاج**» .

شارك في الندوة الدكاترة : **أحمد صالح الطامي ، صلاح حسنين ، محمد العمراني ،**

عبد الفتاح حبيب، وأدارها د. **حسن بن فهد الهويمل**.

ناقشت الندوة عدة محاور منها: أسباب الظاهرة وجذورها والجهود المبذولة للتصدي لها، والعلاج المقترح.

اكتشاف مصنع أثري للفخار في تيماء

عثر في موقع أثري بالقرب من مدينة تيماء على **مصنع لإنتاج الفخار والطوب الأحمر يعود تاريخه إلى ما قبل ٢٣ قرناً**.

ويعد هذا الكشف الأول من نوعه في المملكة، كما عثر في المنطقة في أحد المدافن الركامية على أختام أسطوانية مصنوعة من الحجر ترجع إلى ما قبل ٣٥٠٠ عام.

ندوة المعالجة الإلكترونية للصور والوثائق

نظمت الغرفة التجارية الصناعية في المنطقة الشرقية بالتعاون مع جمعية الحاسبات السعودية في مطلع شهر جمادى الآخرة الماضي ١٤١٤هـ ندوة عن «**المعالجة الإلكترونية للصور والوثائق**».

شارك في الندوة ممثلون لجامعات عربية وأجنبية والشركات الدولية المهتمة بهذا المجال، حيث ناقشوا عدة موضوعات منها: إعادة تعميم حركة نقل الوثائق والصور داخل المنطقة، والتكامل بين نظم معالجة الصور ونظم قواعد البيانات، وتعريف نظم معالجة الصور وضغط البيانات، وغير ذلك من الموضوعات.

مسابقة نادي الطائف الأدبي

دعا نادي الطائف الراغبين في المشاركة في **مسابقته الأدبية السنوية السابعة عشرة** إلى المبادرة بإرسال مشاركاتهم في فروع المسابقة الثلاثة: **القصة القصيرة، الشعر، والبحث والدراسات**، في موعد غايته نهاية شهر شعبان المقبل ١٤١٤هـ.

واشترط النادي في مجال الدراسات أن تكون عن أحد إصدارات النادي أو علم من أعلام الأدب السعودي الحديث.

مهرجان الطفل


د. عبد العزيز الثنيان

تنظم وزارة المعارف في الأسبوع الأول من شهر رجب الجاري **مهرجان الطفل** لعام ١٤١٤هـ.

ووجه وكيل الوزارة د. **عبد العزيز الثنيان** المناطق التعليمية إلى ضرورة وضع خطة للمهرجان وتقديم تقرير عنه بعد انتهائه.

مجلة السيارات

انضمت إلى ركب إصدارات الشركة السعودية للأبحاث والنشر مطبوعة جديدة هي مجلة «**السيارات**» التي تعد أول مجلة عربية أسبوعية تهتم بالجوانب العالمية في عالم السيارات.

«السيارات» هي الوليدة الثالثة عشرة للشركة، ويرأس تحريرها الزميل **عادل عصام الدين**، واختير يوم الاثنين ليكون موعد صدورها الأسبوعي.

كتب جديدة


د. إبراهيم العواجي

● **المد والشاطىء**، ديوان جديد للشاعر د. **إبراهيم العواجي**، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● **القلب والحجاب**، تأليف **محمد عباس نديم**، صدر عن مطابع الرشيد في المدينة المنورة.


د. صالح بن سعد اللحيدان

● **رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد (محمد بن علي بن عمر)** تأليف **علي محمد أبو زيد الحازمي**، صدر عن دار البلاد في جدة.

● **شرح عيون الإعراب**، تأليف علي بن فضال **المجاشعي**، تحقيق **حسناء عبد العزيز القنيعير**، ط٣، صدر في الرياض.

● **الحركة الأدبية في المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين**، تأليف **سليمان عبد الرحمن الزهير**، صدر عن دار مرامر في الرياض.

● **الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عبد السلام هاشم حافظ**، صدر الجزء الثاني منها عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

● **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، تأليف الشيخ د. **صالح بن سعد اللحيدان**، صدرت طبعته الرابعة عن مكتبة الحرمين في الرياض.

● **الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى**، انتقاء الشيخ **عبد المحسن بن حمد العباد**، صدر عن مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

● **ديوان عمْرو بن كلثوم التغلبي**، حققه **أيمن ميدان**، صدر عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

● **شمال غرب المملكة العربية السعودية: بحوث في التاريخ والآثار**، تأليف د. **علي بن إبراهيم غبان**، صدر عن مطبعة سفير بالرياض.

الإمارات — معرض الشارقة للكتاب

أقيم خلال الفترة من ١٨ إلى ٢٩ جمادى الأولى الماضي ١٤١٤هـ (٢ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٩٣م) **معرض الشارقة الدولي للكتاب**.

شارك في المعرض **٥٥٧ دار نشر عربية وأجنبية**، عرضت أكثر من **٧٠ ألف عنوان**، معظمها حديث.

كما أقيم على هامش المعرض ملتقى فكري وأدبي حافل، ضمَّ مجموعة من المحاضرات الثقافية والفكرية والأمسيات الشعرية، ومسرحية لتشيخوف، إضافة إلى مشغل ثقافي للأطفال.

مجلتان جديدتان

صدرت ـ مؤخراً ـ في دبي والشارقة مجلتان جديدتان هما: «**آفاق الثقافة والتراث**» و«**الرافد**».

تصدر «**آفاق الثقافة والتراث**» عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي في مركز جمعة الماجد للثقافة والفنون بدبي.

أما «**الرافد**» فهي مجلة فصلية ثقافية جامعة تصدر في الشارقة، وتتناول الآداب والفنون المختلفة.

الحركة الثقافية

«أشرعة» أديبات الإمارات

صدر ـ مؤخراً ـ العدد التجريبي من نشرة «**أشرعة**» الأدبية الشهرية عن رابطة أديبات الإمارات.

تعنى النشرة بإنتاج الأديبات المنتسبات إلى الرابطة في محاولة منهن للخروج بإبداعاتهن من هيمنة الرجل على الصحافة الأدبية!

كتب جديدة

● **المرأة في الإمارات: تحديات التعليم والعمل واتخاذ القرارات**، تأليف **هند عبد العزيز القاسمي**، صدر عن جمعية الاجتماعيين في الشارقة.

● **العلاقة العمانية ـ الفرنسية ١٧١٥ ـ ١٩٠٥م**، تأليف سمو الشيخ د. **سلطان بن محمد القاسمي**، حاكم الشارقة عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية. ريع الكتاب خصص للأغراض الخيرية.



د. سلطان القاسمي



د. علوي الهاشمي

● **نافورة الشظايا**، مجموعة قصصية لناصر جبران.

● **السكون المتحرك: دراسة في البنية والأسلوب ـ تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً ـ بنية اللغة، جـ٢**، تأليف د. **علوي الهاشمي**.

● ملتقى الكتابات القصصية والروائية في **الإمارات**، تأليف مجموعة باحثين (أبحاث الملتقى).

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها.

● **عرب الخليج**، كتاب وثائقي باللغتين العربية والإنجليزية، صدر عن المجمع الثقافي في أبو ظبي.

● **أعلام معاصرون من الشرق والغرب في الفكر والأدب**، تأليف د. **محمد زكي العشماوي**، صدر برقم ٢ ضمن سلسلة «معارف إنسانية» عن ندوة الثقافة والعلوم في دبي.

البحرين

ندوة التراث الشعبي بدول مجلس التعاون

أقيمت في مطلع شهر جمادى الآخرة المنصرم ١٤١٤هـ في المنامة، فعاليات **ندوة التراث الشعبي بدول مجلس التعاون**.

في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:



د. الأعظمي يحاضر عن تقنية المعلومات وكتب السنة

ألقى فضيلة الشيخ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مساء الإثنين السادس عشر من شهر جمادى الآخرة المنصرم ١٤١٤ هـ محاضرة ضمن النشاط الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض بعنوان «تقنية المعلومات وفك القيود عن كتب السنة».

هدفت المحاضرة إلى تناول الواقع الحالي للتعامل مع كتب السنة، وما يمكن أن تقوم به التقنية الحديثة في خدمة النشاط البحثي وتيسيره في هذا المجال، وهو عمل أوقف المحاضر حياته من أجل إنجازه منذ عام ١٣٩٧ هـ وما يزال، وكان أحد أسباب فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٠ هـ.

قسم المحاضر محاضرته إلى خمسة عناصر هي: النص المكتوب أي كتب السنة المشرفة، الواقع الحالي للتعامل مع تلك النصوص وما فيه من مشكلات، الطريق السليم في هذا المجال، إخضاع التقنية الحديثة للتغلب على هذه المشكلات، وما تم عنده في هذا المجال حتى الآن.

استهل د. الأعظمي المحاضرة بإطلالة سريعة على منهج النقد عند علماء اللاهوت الغربيين القدامى منهم والمحدثون، وتصديهم لبحث الأقاويل المنسوبة إلى عيسى عليه السلام، مشيرًا إلى أن علماء المسلمين كانوا الأكثر صدقًا وإخلاصًا بتدقيقهم الأمين فيما ورد عن الرسول ﷺ من أحاديث متخذين شعارين: «**الإسناد**» و«**صيانة الكتب**».

أعطى المحاضر نماذج لتحري علماء السنة الدقة فيما نُقل من أحاديث حتى تنقى السنة المطهرة من أية شوائب؛ مثل عدم إجازتهم «أن يروي المحدث من أية نسخة كانت واشتراطهم أن يروي من الأصل أو أصل الأصل، أو نسخة منسوخة من الأصل الذي سمع فيه وقد تمت مقابلته».

وينقل عن الندوة التي أقيمت في قطر عام ١٤١٠ هـ بعنوان «نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي» توصية المشاركين بأن «لا تعتبر المصادر المطبوعة موثقة إلا إذا كانت ملتزمة بالمنهج العلمي في التحقيق، أما الطبعات غير المحققة والمخطوطات فيلزم توثيقها علميًا».

انتهى الشيخ د. **الأعظمي** إلى التأكيد على ضرورة توثيق النص للاستفادة منه على الحاسب الآلي متبعًا في ذلك منهج المحدثين؛ ثم عرج إلى مناقشة وضع الأصول الستة ومسند الإمام أحمد ـ يرحمه الله ـ من

ناقشت الندوة الجوانب المختلفة المتعلقة بالحرف والصناعات التقليدية في دول المجلس، ودورها في تنمية البلدان، وجدواها الاقتصادية، وما إلى ذلك من الموضوعات.

من الكتب الجديدة

● **أرتو: جسد يختبر العالم**، تأليف **مارتن ايسلين**، ترجمه إلى اللغة العربية **نعيم عاشور**، وصدر عن دار أسرة الكتّاب والأدباء في البحرين.

الكويت بحث خطة مستقبلية للبحث العلمي الإسلامي

استضافت الكويت - مؤخراً - الدورة العاشرة لمجلس إدارة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إسطنبول.

ناقشت الدورة عدداً من الموضوعات أهمها الخطة المستقبلية للمركز التي تتطرق إلى حركة البحث العلمي، وحماية التراث الإسلامي، وإعداد دورات تدريبية في مجالات ترميم المخطوطات والفنون الإسلامية، إضافة إلى التعاون مع المنظمات والمؤسسات الدولية للتعريف بالعالم الإسلامي، وبحث المشكلات الثقافية للأقليات المسلمة.

وقد أقيمت على هامش الدورة عدة محاضرات ثقافية وأمسيات شعرية ومعارض فنية.

معرض للكتاب

شهد افتتاح المعرض الدولي الثامن عشر للكتاب في الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة المنصرم إقامة عدة تظاهرات ثقافية وفنية.

ضم المعرض نحو ٢٠٠ جناح عرضت فيها ٤١٣ دار نشر كويتية وعربية وأجنبية من ٩ دول و١١ منظمة قرابة ٢٢ **ألف عنوان** جمعها فهرس خاص تضمن مختلف بياناتها.

وشاركت مجموعة من المفكرين والأدباء العرب في إحياء نشاطات ثقافية متنوعة، منها ندوة عن «**موقف الأحزاب السياسية في أزمة الخليج**»، وأخرى عن الأدب الشعبي إلى جانب محاضرات وأمسيات شعرية وقصصية.

العدد الرابع من موسوعة الطفل

صدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - مؤخراً - العدد الرابع من «**موسوعة الكويت العلمية للأطفال**».

يرأس هيئة تحرير الموسوعة **د. عبد الرحمن الأحمد**، وتضم مجموعة من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم.

الفن الإسلامي يعرض في فلورنسا

تعد دار الآثار الإسلامية في الكويت لتنظيم معرض للفن الإسلامي في مدينة فلورنسا الإيطالية خلال الربع الأول من العام الميلادي المقبل ١٩٩٤م.

هذه الناحية، متحدثا عن «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن النسائي» و«سنن أبي داود»، و«سنن الترمذي»، و«سنن ابن ماجه» متناولاً طبعاتها المختلفة واختلاف مناهج تأليفها بين الجمع المطلق والتمحيص بمعايير معينة، مما يخلق مشكلات تواجه الباحث لتعدد المدارس في الضوابط والمعايير، إضافة إلى أخطاء الناسخين ووقوع بعض الباحثين في التصحيف والخطأ.

وتناول د. **الأعظمي** ما بذل للتغلب على المشكلات السابقة بالاستفادة من التقنية الحديثة، مبتدءًا بذكر جهود **د. موسى شاهين لاشين** التي بدأت من ثمانية عشر عامًا، ومشروعه - أي المحاضر - الذي بدأه من عام ١٣٩٧ هـ - وما يزال يعمل لاستكماله، والجهود المبذولة في هذا المجال من بعض المؤسسات العلمية مثل «**مركز بحوث السنة والسيرة**» في **دولة قطر**، و«**مركز خدمة السنة والسيرة**» في الجامعة الإسلامية **بالمدينة المنورة**، و«**مشروع د. همام عبد الرحيم سعيد**» في **الأردن**، و«**مؤسسة إقرأ الخيرية**» في **القاهرة**، **ومؤسسة العالمية**، وغير ذلك من الجهات العلمية.

تناول المحاضر - بعد ذلك - المشروع الذي يقوم شخصيًا بالعمل على تنفيذه منذ عام ١٣٩٧ هـ الذي يهدف لتوثيق النص قبل إدخاله إلى الحاسب، مما يوفر على الباحث جهدًا كبيرًا خاصة مع تعدد مراجع السنة وتفرقها في عدة كتب.

وتطرق إلى مشكلات مراجعة النصوص وتشكيل الكتب غير المشكلة مثل مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود، موضحًا أن الله قد وفقه إلى مقابلة الكتب السبعة: «صحيح البخاري»، «صحيح مسلم»، «سنن النسائي» غير كامل، «سنن أبي داود»، «سنن الترمذي»، «سنن ابن ماجه»، و«مسند أحمد بن حنبل» بالمخطوطات الموثقة أو بأحسن ما وجد منها حتى الآن.

وقام عبر أحدث تقنية لخدمة السنة ألا وهو قرص الليزر الذي يتسع - حاليا - لنحو ستمائة مجلد، كل مجلد في حدود خمسمائة صفحة، بتشكيل النصوص تشكيلاً تامًا، والتحقق والتأكد من صحة النص بالرجوع إلى المخطوطة نفسها، مع الاحتفاظ باختلاف النسخ والروايات، وشرح معاني الكلمات الغريبة من القواميس مباشرة، وتحقيق المخطوطات مع ذكر الاختلاف والتقييد في الهامش، وتخريج الأحاديث والتحشية، إضافة إلى ترجمة خمسين ألف حديث جلها من الصحيحين إلى ٢٢ لغة.

يتضمن المشروع أيضًا البحث عن طريق جذر الكلمة مع إحضار كافة مشتقاتها، والبحث عن ترجمة الراوي من الإسناد إلى الترجمة مباشرة مع تحديد شخصيته من قبل الحاسب، ومعرفة صِيَغ الأداء من قبل الرواة، ورسم خريطة الإسناد لحديث واحد بكل متابعاته وشواهده، فضلا عن رسم طريقة الإسناد مبتدءًا باسم الصحابي أو شيخ المؤلف حسب ترتيب الكتاب، ورسم خريطة الإسناد مرتبًا على الحروف الهجائية، إلى جانب رسم شجرة واحدة لكافة أحاديث صحابي واحد في كتاب واحد، أو كافة الكتب مرتبًا ترتيبًا هجائيًا.

الحركة الثقافية

كما تعد الدار لتنظيم جولات خيرية بالقارات الخمس تستمر عدة سنوات لتوظيف مقتنياتها وريعها لدعم منظمات السلام والبيئة وحقوق الإنسان، واختيرت مدينة جنيف السويسرية لتكون المحطة الأولى للجولات.

سلطنة عمان — أسبوع ثقافي عراقي

استضافت مسقط في شهر جمادى الأولى الماضي **أسبوعاً ثقافياً عراقياً** هو الأول من نوعه على مستوى دول مجلس التعاون منذ أزمة احتلال الكويت عام ١٩٩٠م.

شمل الأسبوع نشاطات ثقافية وأدبية من بينها معرض للكتاب العراقي وآخر للفنون التشكيلية.

قطر — كتب جديدة

● **التراث الشعبي في دول الخليج العربية: ببليوجرافيا مشروحة**، تحرير وتصنيف د. **أحمد عبد الرحيم نصر**.

● **النهام**، تأليف **الصادق محمد سليمان**.

صدر الكتابان السابقان عن مركز التراث الشعبي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

اليمن — مهرجان باكثير



علي أحمد باكثير

تعتزم الجمعية الوطنية للمسرح اليمني تنظيم **مهرجان مسرحي** في صنعاء في نهاية شهر ديسمبر الجاري ١٩٩٣م بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثالثة والثمانين لمولد الكاتب الإسلامي **علي أحمد باكثير** يرحمه الله.

وقد قامت الجمعية بتوزيع خمس عشرة مسرحية من تأليف **باكثير** على الفرق المسرحية الأهلية والرسمية. كما وجهت دعوة إلى عدد من كبار المفكرين والنقاد والأدباء العرب للمشاركة في المهرجان.

مصر — معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال

افتتحت **قرينة الرئيس المصري محمد حسني مبارك** في الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة المنصرم ١٤١٤هـ (٢٤ نوفمبر ١٩٩٣م) معرض القاهرة الدولي العاشر لكتب الأطفال.

شارك في المعرض نحو **أربعمائة ناشر** مصري وعربي وأجنبي ينتمون إلى **٣١ دولة**، حيث عرضوا في ٣٠٠ جناح أكثر من **ثلاثة ملايين ونصف المليون كتاب**.

تمثل جديد المعرض في ما عرضته شركات الحاسب الآلي من تقنية متطورة في مجال صناعة كتاب الأطفال مثل **الكتاب اللعبة والكتاب الذي لا يتلف**.

كما أقيمت ندوات متنوعة عن الطفل والكتاب شارك فيها الأطفال والمهتمون بأدب الطفل، وتم توزيع جوائز مسابقة سوزان مبارك لأدب الأطفال على الفائزين.

وكانت حرم الرئيس المصري قد افتتحت قبل ذلك بثلاثة أيام ورشة عمل في جمعية الرعاية المتكاملة بمكتبة مصر الجديدة للنهوض بأدب الطفل وتطوير ثقافته وتنمية مهاراته.

من التنوير والتحديث إلى التفكيك والاغتراب

ينظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤتمراً في القاهرة في شهر أبريل ١٩٩٤م تحت عنوان «من التنوير والتحديث إلى التفكيك والاغتراب».

يرصد المؤتمر متتاليات العلمنة وممارساتها في المجتمعات الإنسانية، والنقد الموجه إلى العلمنة على المستويين العلمي والنظري، متناولاً الدراسات والنظريات والنماذج التحليلية لها.

مؤتمر أدباء الأقاليم



د. جمال حمدان



أنس داود

اختتم — مؤخراً — **المؤتمر الثامن لأدباء الأقاليم الذي استضافته مدينة العريش في سيناء وترأسه الروائي المعروف** فتحي غانم.

تضمن المؤتمر العديد من الأبحاث التي ناقشت وضع أدباء الأقاليم بخاصة والأدباء المصريين بعامة، والاتجاهات الأدبية والنقدية، وقد تقرر طبع هذه الأبحاث وطرحها في الأسواق لتعم الفائدة منها.

وكرّم المؤتمر أحد عشر كاتباً مصرياً منهم الراحلان: د. **جمال حمدان** والشاعر **أنس داود**، وأدباء الأقاليم: **محمد عايش عبيد، محمد بخيت الربيعي، فوزي خضر، درويش الأسيوطي**، د. **صابر عبد الدايم، ومراد صبحي متى**، والناقدان: **فتحي العشري ومحمد السيد عيد**، والصحافي **مصطفى عبد الله** (مراسل «الفيصل» في القاهرة) لمتابعته الحركة الأدبية في الأقاليم على مدى ١٨ عاماً.

توزيع جوائز الدولة

قامت وزيرة الدولة للبحث العلمي د. **فينيس كامل جودة** — مؤخراً — بتوزيع جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام ١٩٩٢م على الفائزين بها.

فاز بالجوائز التقديرية كل من: د. **إبراهيم حمودة** في مجال العلوم الأساسية، واسم المرحوم د. **سيد جلال سيد جلال** في مجال العلوم الزراعية، والدكتور **عبد السلام عبد الغفار** في مجال العلوم الطبية، والدكتور **محمد إسماعيل راشد** في مجال العلوم الهندسية.

وشملت الجزائر التشجيعية المجالات الآتية: العلوم الرياضية، العلوم البيولوجية، العلوم

الهندسية، العلوم الطبية، ومجال الالكترونيات، وتنمية الابتكار والاختراع.

مؤتمر التبادل الحضاري بين شعوب البحر المتوسط

تنظم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية خلال شهر يناير المقبل ١٩٩٤م «**مؤتمر الإسكندرية الدولي الأول حول التبادل الحضاري بين الشعوب المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط عبر التاريخ**».

يعنى المؤتمر بالجوانب الأثرية والتاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية والفلسفية، وغير ذلك من المجالات التي تشكل حضارة شعوب المنطقة.

قانون لحماية الآثار

أعد - مؤخراً - قانون جديد لحماية الآثار المصرية من السرقة والتعديات مكون من خمسين بنداً.

تضمن مشروع القانون بنوداً تجعل من تهريب الآثار والتعدي عليها جناية تعادل الخيانة الوطنية، حيث اعتبر الآثار جزءًا من الذاكرة الوطنية وتراثًا للأمة يجب الحفاظ عليه.

وفاة أحمد عطية


أحمد محمد عطية

توفي - مؤخراً - الكاتب والروائي **أحمد محمد عطية** إثر مرض طويل عن عمر يناهز ٥٨ عاماً.

يعد عطية من الأدباء الجادين، وله نحو ثلاثين كتاباً منها «**الرواية السياسية**»، و «**أدب أكتوبر**» وكان قبل وفاته قد أوشك على الانتهاء من كتاب بعنوان «**نجيب محفوظ وتأصيل الرواية العربية**».

مجلة «منارات النديم»

أصدر **مركز النديم** للمعلومات مجلة أدبية جديدة تحمل اسم «**منارات النديم**»، تهتم بالدراسات الأدبية الخاصة بالاتجاه السوسيولوجي واحتضان الإبداعات الشابة.

يشرف على المجلة الشاعر **شعبان يوسف**.

المعرض القومي للفنون التشكيلية


فاروق حسني

افتتح وزير الثقافة فاروق حسني في مطلع شهر جمادى الآخرة المنصرم ١٤١٤هـ المعرض القومي الثالث والعشرين للفنون التشكيلية.

أقيم المعرض في قاعات مجمع الفنون بالزمالك، وشارك فيه أكثر من **مائتي فنان في** مجالات: التصوير، النحت، الرسم، الحفر، الخزف، والأعمال المركبة.

وأقيمت خلال المعرض لقاءات ثقافية تم خلالها تكريم ١١ فنانًا من الرواد هم: **صلاح طاهر، حسين فوزي، عفت ناجي، محمود مرسي، حامد عويس، يوسف سيد، منير كنعان، علي الديب، أبو خليل لطفي، منصور فرج، وحسين بيكار.**

ويذكر أنه قد تم الانتهاء - مؤخرًا - من إعداد أول دليل للفنانين التشكيليين من خلال معرضهم القومي منذ عام ١٩٦٩م إلى اليوم.

مجلة للفنون التشكيلية

نظم ٢٩ فنانًا تشكيليًا مصريًا معرضًا جماعيًا في القاهرة بهدف تمويل إصدار أول مجلة في مصر تعنى بالفنون التشكيلية.

تقرر أن تحمل المجلة الوليدة اسم «**عين**»، وسوف تصدر فصليًا، ويتولى مسؤولية تحريرها الفنانان التشكيليان **عادل السيوي ومحمد عبلة**.

كتب جديدة

- **دفاعًا عن التنوير**، تأليف د. **جابر عصفور**.
- **اليمامة والنهر**، الديوان الثالث للشاعر **أحمد الحوتي**.
- **رؤية فرنسية للأدب العربي**، تأليف **أندرية ميكيل، ريجيس بلاشير، وبيير مورجان**، صدر ضمن سلسلة «دراسات نقدية».
- **من أروقة الغابة**، مجموعة قصصية **لمحمد عبد الله عيسى**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن هيئة قصور الثقافة.

- **قريش: من القبيلة إلى الدولة المركزية**، تأليف **خليل عبد الكريم**.
- **المسرح بين العرب وإسرائيل ١٩٦٧-١٩٧٣م**، تأليف د. **سامح مهران**.

صدر الكتابان السابقان عن دار سينا للنشر.

- **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، تأليف **محمد ابن علي بن إبراهيم بن الخطيب الموزعي، المعروف بابن نورالدين** المتوفى عام ٨٣٥هـ، دراسة وتحقيق د. **عائض بن نافع بن ضيف الله العمري**، صدر عن دار المنار في القاهرة.


صلاح الدين حافظ

- **أحزان حرية الصحافة**، تأليف صلاح الدين حافظ، تقديم **محمد حسنين هيكل**، صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر في القاهرة.


د. عبدالعزيز حمودة

- **القلم الأمريكي**، تأليف د. **عبد العزيز حمودة**، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع في القاهرة.
- **أمراض الحياة الزوجية**، تأليف د. **سامي محمود**.
- **مغامرة إمبراطور الموساد**، تأليف **مجدي شندي**.

صدر الكتابان السابقان عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة.

- **عندما انهارت أورايس**، مسرحية **لنسيم إبراهيم**.
- **قضايا القصة الحديثة**، تأليف **ربيع العبروث**.
- **السيد الذي رحل**، رواية **لمحمد قطب**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**،

الحركة الثقافية

تأليف **إدوار غالي الدهبي**، صدر عن مكتبة غريب في القاهرة.

● **الصنعة الفنية في شعر المتنبي**، تأليف د. **صلاح عبد الحفيظ**، صدر عن دار المعارف في القاهرة.

الأردن — جوائز مؤسسة شومان

حددت مؤسسة عبد الحميد شومان يوم الاثنين ٢٠ شعبان المقبل ١٤١٤ هـ (٣١ يناير ١٩٩٤ م) موعدًا نهائيًا لاستقبال آخر الترشيحات **لجوائز عبد الحميد شومان للعلماء العرب الشبان لعام١٩٩٣ م**.

تتضمن الجوائز عشرة فروع هي: العلوم الطبيعية الأساسية، العلوم الطبية السريرية، العلوم الهندسية، العلوم الزراعية، العلوم الحياتية، العلوم الاجتماعية، العلوم الإنسانية، العلوم الفيزيائية والجيولوجية، العلوم الكيميائية (تفرد لها جائزة للمرة الأولى) والرياضيات (بما في ذلك الإحصاء والأنظمة والحاسب الإلكتروني).

يشترط للتقدم للجائزة أن يكون المرشح عربيًا من مواليد عام ١٩٥٣ م فما بعده، وأن يكون عمله حاليًا في الوطن العربي، وأن يكون قد قدم للمجتمع والعلم خدمات ذات قيمة علمية واجتماعية خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

كشوفات أثرية

اكتشفت في تل الفخار بشمال الأردن **لُقى نادرة** تعود إلى العصر البرونزي أي ما قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

من بين المكتشفات قطعتان لم يعثر على مثيل لهما في المواقع الأثرية المشابهة، هما عبارة عن سراج برونزي وقطعة من تمثال زجاجي.

كما عُثر في الموقع على أجزاء كثيرة من مبنى ضخم يعود إلى الحقبة ذاتها يعتقد أنه كان قصرًا أو معبدًا.

كتب جديدة

● **فلسطين في سيرة البطل عبد الحليم الجولاني**، تأليف د. **حسن صالح عثمان**.

● **حرب في الخليج ـ أبعاد على إسرائيل**، تأليف مجموعة من الباحثين والمحللين الإسرائيليين.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجليل للنشر في عمّان.

لبنان — وفاة فريد جبر وغراغوسيان

نعت الأوساط الثقافية والفنية في بيروت مؤخرًا كلا من:



بول غيراغوسيان

المفكر اللبناني **فريد جبر**، الذي عُدَّ أحد أبرز المهتمين بالفلسفة الإسلامية والإمام أبي حامد الغزالي على وجه الخصوص، والفنان

محاضرات وندوات

● «**التبرع بالكلى في ضوء الفقه الإسلامي**» عنوان محاضرة نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، شارك فيها كل من **الشيخ مناع خليل قطان والدكتور محمد مقرن المقيرن**.

● «**تأثير محمد تيمور في تطور المسرح المصري**» عنوان ندوة أقيمت في قاعة مركز الهناجر للفنون في القاهرة، أدارتها د. **هدى وصفي** وشارك فيها **محمد جلال** و د. **سمير سرحان ومحمد سلماوي**.

● «**قصة الطوفان البابلية كنص شعري**» عنوان محاضرة ألقاها **أندرو جورج**.

● «**المخيلة الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث**» عنوان محاضرة ألقاها د. **روبن أوستل**.

● «**الأدب العراقي المعاصر**» عنوان محاضرة ألقاها **جرير أبو حيدر**.

● «**مسألة الحرية في الدراسات العربية المعاصرة**» عنوان محاضرة ألقاها **صبري حافظ**.

● «**الشعر الحديث**» قراءات شعرية **لنوري الجراح وأمجد تامر ولينا الطيبي**.

نظم المحاضرات الأربع والقراءة الشعرية السابقة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية (سواس) في جامعة لندن.

● «**تأملات في الفن العربي**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن خالد القشطيني.

● «**بعض السلبيات في الزواج**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع إمام الدعوة في الدلم د. **عبد الله بن محمد المطلق**.

● «**الفقه في الدين وأثره في حياة المسلمين**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع أبي بكر الصديق بالأرطاوية، الشيخ **فهد بن عبد العزيز الوهيبي**.

● «**رسالة إلى الأبناء**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع البصيرة بخرمة الشيخ **سعد بن عبد المحسن الشبانات**.

● «**نشأة تعليم المكفوفين في المملكة العربية السعودية**» عنوان محاضرة ألقاها في المكتبة المركزية الناطقة في الرياض د. **محمد عبد الرحمن المفدي**.

● «**نهر النيل في العصور الوسطى وفي الحياة المعاصرة**» موضوع ندوة نظمتها الجامعة الأمريكية في القاهرة تحدث فيها د. **جون سوانسون**.

● «**القضايا الدولية الراهنة ودور مصر فيها**» موضوع محاضرة ألقاها في ديوان عام محافظة الإسكندرية د. **أسامة الباز**.

التشكيلي **بول غيراغوسيان** الذي توفي عن عمر يناهز ٦٦ عامًا.

وُلد جبر عام ١٩٢١م، وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون عام ١٩٥٥ م، وقام بالتدريس في جامعات عربية وأجنبية.

ورغم دراسته للاهوت وترسيمه رئيسًا على الآباء اللعازاريين، إلا أنه انجذب للفلسفة الإسلامية فكتب: «مفهوم اليقين عند الغزالي»، «مفهوم المعرفة عند الغزالي»، ثم «معجم الغزالي».

وللراحل إسهامات أخرى متنوعة من بينها ترجمته مجموعة أرسطو المنطقية وتاسوعات أفلوطين.

أما **غراغوسيان** فيعد من رموز الحركة التشكيلية اللبنانية، وقد ولد عام ١٩٢٦ م في القدس من أبوين أرمنيين، وهاجرت أسرته إلى سورية ثم إلى لبنان حيث استقر، فهو فلسطيني المولد، أرمني الأصل، لبناني الهوية، وفقد عام ١٩٧٤ م إحدى ساقيه في حادثة مصعد.

وهو حاصل على سبع جوائز عالمية منها **الميدالية الذهبية من بينالي فلورنسا عام ١٩٦٢ م**.

افتتاح رمزي لمتحف بيروت الوطني

نظمت جمعية أصدقاء المتحف الوطني والمديرية العامة للآثار في الخامس من شهر جمادى الآخرة الماضي ١٤١٤ هـ (١٨ نوفمبر ١٩٩٣ م) **معرض متحف بيروت**، الذي ضم ثرياته وثروته الفنية الكبيرة.

يعد تنظيم المعرض افتتاحاً رمزيًا للمتحف الذي استقبل للمرة الأولى منذ سنوات زوارًا من داخل بيروت وخارجها بعد أن اضطرته الحرب إلى الانكماش وسُرقت معروضات كثيرة منه وسربت إلى خارج البلاد، فكان أحد ضحايا المأساة وشهودها.

كان المعرض فرصة ليستعيد المتحف دوره المفقود، ويعود كما كان ملتقى لجميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم، بعد أن ظل لسنوات طويلة خط تماس ونقطة تقسيم.

ويشار في هذا الصدد إلى الدور الكبير الذي قامت به جمعية أصدقاء المتحف الوطني حيث اضطلعت على مدى عامين بالسعي لإعادة إحياء المتحف وترميمه، وما تزال تواصل مهمتها بمؤازرة الجهات المعنية.

كتب جديدة

- **الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة ١٩٧٨ ـ ١٩٨٧ م**، تأليف **فادي إسماعيل**.
- **الرواية الجديدة في مصر: دراسة في التشكيل والأيديولوجيا**، تأليف د. **محمودبدوي**.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت.

- **تأتيني بكل لون**، ديوان **لنزار آمال صعب**، صدر عن دار الحداثة.
- **الظل إلى أعلى**، ديوان **لهدى الدغفق**، صدر عن دار الأرض في بيروت.
- **رجل من الربع الخالي**، ديوان للشاعر **سيف المرحبي**، صدر عن دار الجديد في بيروت.

- «**طعام للغد**» موضوع ندوة أقامتها جمعية محبي الأشجار في القاهرة تحدث فيها د. **مصطفى نوفل**.
- «**نماذج من النقوش العربية المبكرة في منطقة الطائف**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. **ناصر علي الحارثي**.
- «**الفكر العربي المعاصر**» عنوان محاضرة ألقاها في رابطة التربية الحديثة في القاهرة د. **فؤاد زكريا**.
- «**رحلة تزيد في الإيمان**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد السماحة بحي السلامة في جدة الشيخ **أحمد الطويل**.
- نظم نادي جدة الأدبي **أمسية شعرية** قدم لها الناقد د. **سعيد السريحي** وأحياها الشعراء: **علي بافقيه وإبراهيم زولي وهاشم الجحدلي**.
- «**الصحراء العربية: أصلها وتاريخ تطورها**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي بالسفارة المصرية في الرياض د. **فاروق الباز**.
- «**حقوق المدعو**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الملك سعود بحي الشرفية في جدة الشيخ **غازي المطيري**.
- «**المدارس العربية في الجنوب الشرقي من تركيا**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. **محمد صادق أيدن**.
- «**الأمة الوسط**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع عبد الله بن عباس في الطائف د. **سليمان بن وائل التويجري**.
- «**فيم يفكر المسلم؟**» عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في الطائف الشيخ **سعيد بن مسفر القحطاني**.
- «**انعكاسات السلام على الوضعين الاقتصادي والمالي للبنان ودول المنطقة**» عنوان ندوة أقيمت في نادي خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، شارك فيها كل من: د. **سمير المقدسي**، د. **محمد البعاصيري**، د. **هشام البساط**، د. **إيلي عساف**، د. **جورج ديب**، د. **غازي سرحان**، **فواز المرعبي**.
- «**البيئة وأثرها في الشعر**» موضوع ندوة أقيمت في قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية، قدم لها **عبد المنعم كامل**.
- «**السرطان والتلوث في الدول النامية**» موضوع ندوة نظمها المركز الثقافي الهندي في القاهرة، أشرفت عليها د. **عصمت مهدي**.
- «**التعامل مع الطفل**» موضوع ندوة نظمتها الجمعية العلمية المصرية للتدريب الجماعي في القاهرة، شارك فيها الدكاترة: **كريمة خطاب، محمود غلاّب، كاترين تليتش**.
- «**الإدارة المحلية في مصر**» موضوع محاضرة ألقاها في المنتدى الفكري لكلية التربية بجامعة قناة السويس في بور سعيد د. **يحيى الصباحي**.

الحركة الثقافية

سورية — دمشق : الإنسان والتـاريـــخ

نظم اتحاد الكتاب العرب في دمشق في التاسع من شهـر جمادى الآخـرة الماضي نـدوة بعنـوان «**دمشق : الإنسان والتاريخ**».

شارك في الندوة مجموعة من الكتَّاب والمفكرين العرب، وناقشت على مدى ثلاثـة أيام موضوعات متنوعة خاصة بدمشق في عصورها القديمة، تتناول الأوجه الثقافية والحضارية والاجتماعية كافة، وأقيم على هـامشهـا معـرض تصـويـر بعنـوان «**دمشق والحضارة**» للفنان **مروان مسلماني**.

بقايا مدينة سومرية

اكتشف فـريق آثـاري في مـوقع تل بيـدر بمحافظة الحسكة سورًا لمدينة قديمة ومعبدًا ضخمًا وقصرًا يضم مكتبة مهمة.

قدر الخبراء أن المكتشفات يعود تاريخها إلى عام ٢٤٠٠ قبل الميـلاد، وأكدوا أن محتـويات المكتبـة تـدل على وجود عـلاقـة بين الحضـارة السومـريـة والبحر الأبيض المتوسط.

من ناحية ثانية عثر في مدينة حمص على تابوت يبلغ طـولـه ٢١٥ سنتيمترًا، وارتفـاعـه ١٢٧ سنتيمترًا، وعـرضـه ٨٢ سنتيمترًا يعـود إلى العصر الروماني.

صنع التابوت من الرصاص المنصهر، ونحتت على واجهته الأمامية وردتان، وعلى جانبيه دائرتان.

فلسطين — صحيفة يومية ومجلة

وجـه الـرئيس الفلسطيني **يـاسر عرفـات** أمرًا لرئيس المفاوضين الفلسطينيين فيصل الحسيني لبدء العمل لإنشاء **صحيفة** تحمل اسم «**فجر الشعب**». **ومجلة أسبوعية** لم يتحدد اسمها بعد.

يهدف القرار إلى إيجاد صحافـة تعبر عن وجهة النظـر الفلسطينيـة، فضـلاً عن استيعـاب الصحـافيين الفلسطينيين الـذين تعطلـوا بسبب إغـلاق صحيفتي «**الفجر**» و«**الشعب**» لمتاعبهما المالية.

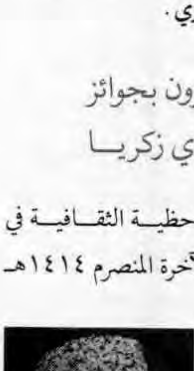
مهرجان أدبي

نظمت جامعـة الأزهر في غزة مهـرجانها الأدبي الأول لعام ١٩٩٣م.

شـارك في المهـرجـان مجموعـة من أبـرز أدبـاء الأرض المحتلة وشعرائها، من بينهم **أميل حبيبي، سلمان مصالحة، سعود الأسدي، محمود غنايم، طه محمد علي**، والفنان **محمد بكري**.

الجزائر — الفائزون بجوائز مفـدي زكريـا

احتفلت الجمعيـة الجاحظيـة الثقـافيـة في السادس من شهر جمادى الآخرة المنصرم ١٤١٤هـ بتـوزيع «**جـائزة مفـدي زكريا**» على الفـائزين بها لعام ١٩٩٣م.



مفدي زكريا

تقـاسـم المركـز الأول الشاعـران الجزائريان **عماد مـريـاش ومحمـد زينلي**، وحل الشاعر التونسي **كمال قدادين** في المركـز الثاني، وتشـارك في المركز الثـالث الشاعران الجزائريان **عيسى قارف وعلي مغازي**.

ويذكر أن الشـاعر **مفدي زكريا** هو صاحب النشيد الوطني الجزائري، و«إلياذة الجزائر».

المغرب — مؤتمر اللغة العربية وتقنيات المعلومات

نظمت مـؤسسة الملك عبـد العزيـز آل سعود للدراسـات الإسلامية والعلـوم الإنسانيـة في الدار البيضاء ـــ مؤخرًا ـ مـؤتمرًا دوليًا عن «**اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة**».

يعـد هذا المؤتمر الثـاني من نـوعه حيث سبقـه مـؤتمر ممـاثل أقيم في الـريـاض، وذلك بقصـد التعـريف بكيفية الاستفـادة من التقنيات الحديثـة لخدمة اللغـة العربيـة والانفتاح على الـدراسات في هذا المجال.

تونس — ندوة ثوابت الأصالة ومتغيرات المعاصـرة

نظمت المنظمـة الإسـلاميـة للتربيـة والعلـوم والثقافة بـالتعاون مع **جامعة الزيتونة** خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ جمادى الآخـرة المنصرم (٨ ـــ ١٠ ديسمبر ١٩٩٣م) ندوة عالميـة بعنوان «**الثقافة بين ثوابت الأصالة ومتغيرات المعاصرة**».

شـارك في النـدوة مجمـوعـة من المفكـرين من مختلف أنحاء العالم، حيث نـاقشوا عدة محاور من بينها: ثقـافة الآخرين، التسـامح الفكري والحوار الثقـافي، الثقـافـة والتنميـة، الثقـافـة والإعـلام، الثقـافـة والهويـة، ودور التربيـة واللغـة في تأصيل الثقافة، وموضوعات أخرى.

كتب جديدة

- **المجموعـة الاقتصاديـة الأوربيـة**، تـأليـف **عبداللطيف الفراتي**، صـــدر عن دار نشر سيراس.
- **الخيال العلمي: أدب القـرن العشرين**، تأليف **محمود قاسم**، صدر عن الدار العربية للكتاب في تونس.

الهند — الهندوس يطالبون بحظر تداول القـرآن الكـريم!

رفع **متطرفـون هندوس** دعوى قضائيـة غريبة أمام محكمة التمييز في دهلي الجديـدة يطالبون فيها استصدار حكم قضائي **يحظر تداول القرآن الكريم بين مسلمي الهند!**

بـرر الهنـدوس دعواهم بـافتراء على كتـاب الله حيث زعموا أن القرآن الكريم يحرض المسلمين على قتل الهندوس مما يعرض حياة هؤلاء للخطر!

وطـالب المتطرفـون بتعديل الـدستور الهنـدي

بحيث يحظر الدعوة إلى الإسلام ويمنع تداول القرآن الكريم .

رؤى إسلامية وعربية

هذا هو اسم **أحدث مجلة شهرية** صدر عددها الأول مؤخرًا عن معهد الدراسات الإسلامية والعربية في دهلي الجديدة .

من المقرر أن تصدر المجلة ـ مؤقتًا ـ كل شهرين، ثم تصبح شهرية، ويرأس تحريرها مدير المعهد د. **ظفر الإسلام خان**، وتهتم ـ كما هو واضح من اسمها ـ بالقضايا الإسلامية والعربية .

كندا

جائزة غلبر للعراقي مكية

تسلم الكاتب العراقي **كنعان مكية** ـ مؤخرًا ـ **جائزة ليونل** غلبر عن كتابه «**قسوة وصمت**» .

كان المهرجان الدولي للمؤلفين الذي استضافته تورنتو قد قرر منح مكية هذه الجائزة التي تُعطى سنويًا لمن يؤلف أفضل كتاب في مجالات العلاقات الدولية .

يذكر أن الجائزة تحمل اسم راعيها **ليونل غلبر** الذي عُرف بكتاباته في العلاقات الدولية والخارجية وتوفي عام ١٩٨٩ م .

المكسيك

جائزة الريشة الفضية لصحافي فرنسي

منح **جان كلود بوهرر** المحرر بصحيفة «لوموند» الفرنسية جائزة **الريشة الفضية للصحافة المكسيكية لعام ١٩٩٣ م** .

وتعطى هذه الجائزة سنويًا منذ عام ١٩٧٦ م لأحسن تحقيق صحفي عن المكسيك يكتب باللغات : الفرنسية، الإنجليزية، الإيطالية، الألمانية، والإسبانية .

إيطاليا

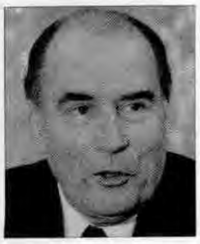
آثار بومبي المندثرة

اكتشفت في هيركيو لانيوم القريبة من مدينة بومبي ٤١ قطعة أثاث خشبية .

تضم القطع المكتشفة أرائك ومناضد وأسرّة وخزانات كاملة تعكس مظاهر تقدم بومبي التي اختفت من الوجود عام ٧٩ م إثر انفجار بركاني حدث في قمة جبل فيسيوفيس .

فرنسا

افتتاح التوسعة الجديدة لمتحف اللوفر


فرانسوا ميتران

افتتح الرئيس الفرنسي **فرانسوا ميتران** في الخامس من شهر جمادى الآخرة الماضي (١٨ نوفمبر ١٩٩٣ م) التوسعة الجديدة لمتحف اللوفر التي توافق الذكرى المئوية الثانية لتحويل القصر إلى متحف .

استغرق تنفيذ هذه التوسعة ١٦ عامًا وشملت جناحًا جديدًا وتوسعات كبيرة في أقبية المتحف .

وكما قالت مجلة «نوفيل أوبزرفاتور» فإن تاريخ اللوفر كالكتاب المفتوح، إذ حاول كل ملك أو رئيس ترك بصمته عليه !

جائزة جونكور لمعلوف وأخرى لديزيريه عزيز

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين **بجوائز «جونكور» و«فيمينا» و«فيلكس دو بوجور» و«مديسيس» الأدبية**، حيث كان لعرب لبنان نصيب الأسد بنيل جائزتين من الجوائز الأربع .


أمين معلوف

فاز **بجائزة جونكور** التي تعد أكبر الجوائز الأدبية الفرنسية، الروائي اللبناني **أمين معلوف** (٤٥ عامًا) عن روايته «**صخرة طانيوس**» .

يعد معلوف ثاني عربي ينال هذه الجائزة إذ سبقه إلى الفوز بها عام ١٩٨٧ م الأديب المغربي **الطاهر بنجلون** .

واشتهر **معلوف** بعد عمله الأول «**الصليبيون كما رآهم العرب**» الذي نشر عام ١٩٨٣ م، ومن أشهر رواياته : «**ليون الأفريقي**»، «**سمرقند**»، و«**حدائق النور**» .

وتحصلت اللبنانية **ديزيريه عزيز** على جائزة **فيلكس دو بوجور** عن كتابها «**أرزة لبنان**» .

تمنح هذه الجائزة أكاديمية العلوم الأدبية والسياسية .

وحصل الروائي الفرنسي **مارك لامبرون** على **جائزة فيمينا** الأدبية النسائية الفرنسية التي تأسست عام ١٩٠٤ م .

كما منحت هذه الجائزة في مجال الأعمال الأجنبية للروائي البريطاني **آلان ماكفن** عن روايته «**الطفل المسروق**» .

وفازت الكاتبة **إيمانويل برنيم** بجائزة مديسيس عن روايتها القصيرة «**امرأة**» .

وتعد الرواية الفائزة ثالث مؤلفات برنيم المولودة عام ١٩٥٥ م حيث صدر لها من قبل «**نقطة التوقف**» و«**زوجان**» .

معرض حضارة حوض النيجر

يقام حاليًا في المتحف الوطني لفنون أفريقيا وأوقيانيا في باريس معرض عن حضارة وادي النيجر .

يستمر المعرض حتى الثامن والعشرين من شهر رجب الجاري ١٤١٤ هـ (١٠ يناير ١٩٩٤م)، ويتضمن ٢٠٠ قطعة أثرية، معظمها يعرض للمرة الأولى، تبرز التطور الحضاري في حوض النيجر منذ خمسة آلاف سنة .

وفاة نافيل

توفي ـ مؤخرًا ـ الكاتب الفرنسي **جورج نافيل** عن عمر يناهز ٨٩ عامًا .

وُلد نافيل عام ١٩٠٤م في منطقة اللورين، وفي عام ١٩٣٥ م التقى بالفيلسوف برنار جروتويشن، وشجعه الأخير على احتراف الكتابة حيث وضع عددًا من المؤلفات أشهرها : «**أشغال**»، و«**رحلة**» .

تمثال من العصر البرونزي في حقل

اكتشف تمثال منهير يعود تاريخه إلى العصر

البرونزي، أي ما قبل نحو أربعة آلاف سنة.

تم الكشف خلال قيام أحد المزارعين بحراثة حقله، وأراد نقل كتلة حجرية ضخمة تزن حوالي ٤٠٠ كيلو جرام كانت تزعجه، الا أنه لاحظ أنها منحوتة، وبالتدقيق فيها اكتشف أنها تمثال لإنسان ارتفاعه ١٦٠ سنتيمترًا، وعرضه ٦٥ سنتيمترًا وسُمكه ٢٠ سنتيمترًا.

أحدث الكتب

● **شغيلة المستقبل**، تأليف **آني باتل**، صدر عن دار نشر سيجير في باريس.

● **مذكرات سيمون دوبوفوار**، ٣ أجزاء، تأليف سيمون دوبوفوار.

● **السجون**، تأليف **جان فافار**.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر جاليمار.

● **الأدب الأمـريكي في نصف قـرن (١٩٣٩ - ١٩٨٩م)**، تأليف **بيدايف بيتيلون**، صدر عن دار نشر فايار في باريس.

● **موتسارت في ١٢ نوفمبر ١٧٩١ م**، تأليف **رويتيز لاندون**، صدر في باريس.

● **التكيف أو الفناء: المنشأة في مواجهة صدمة المستقبل**، تأليف **ألفين توفلر**، صدر عن دار دونويل في باريس.

● **الأعمال الكاملة: أوسكار وايلد**، جـ١، صدر عن دار نشر مركور في باريس.

● **مسحوق الذهب**، رواية **لإيف نافار**، صدرت عن دار نشر فلاماريون.

إسبانيا - ندوة لتكريم يحيى حقي



يحيى حقي

أقيمت في مدريد - مؤخرًا - **ندوة عن حياة الأديب الراحل يحيى حقي** وأعماله الأدبية، بمناسبة مرور عام على وفاته.

شارك في الندوة مجموعة من النقاد العرب والمستعربين الإسبان، منهم **بدرو مارتينيث مونتابيث**، وبراوليو خوستيل كلابوثا، وكارمن رديث برابو، والدكتور طه وادي وآخرون.

شهدت الندوة تقديم الترجمة الإسبانية لرواية حقي «**قنديل أم هاشم**» التي قام بها المستعرب **براوليو خوستيل كلابوثا**.

لوما يفوز بجائزة بلانيتا

منح الكاتب **ماريو فارجاس** لوما، من بيرو، «**جائزة بلانيتا**» عن روايته «**ديونيسوس في منطقة أربادا**».

ويذكر أن الجائزة تقدمها دار النشر الإسبانية التي تحمل الاسم نفسه منذ ٤٢ عامًا.

النمسا - مركز عالمي لأبحاث الثقافة

افتتح - مؤخرًا - في فيينا مركز ثقافي عالمي تحت مسمى «**المركز الدولي لأبحاث العلوم الثقافية**».

يقوم المركز بإجراء الأبحاث والدراسات

رسائل جامعية

● «**أوضاع المجتمع في مصر الإسلامية قبل العصر الفاطمي**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها **هويدا عبد العظيم رمضان**.

● «**الغيب في القرآن الكريم**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين في الرياض، تقدم بها **جمال الدين أحمد القادري**.

● «**أسلوب الإنشاء في سور المفصل من سورة ق إلى سورة الناس**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية في الرياض، تقدم بها **عبد المحسن عبد العزيز العسكر**.

● «**سلطات الضبط الإداري في مجال ممارسة حرية الاجتماعات العامة: دراسة مقارنة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، تقدم بها العقيد **محمد أحمد فتح الباب**.

● «**البحث عن الذات في الأدب النسائي الزنجي في الروايات الرئيسية لبول مارسال وتوني موريسون وأليكس ووكر**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها **ناريمان جهاد الدين**.

● «**كتاب نهاية البيان في تفسير القرآن لمعافى بن إسماعيل الموصلي من الآية ٦٠ إلى الآية ٢٠٣ من سورة (البقرة)**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في الأقسام الأدبية بكلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **دلال عبد الله السالم**.

● «**تقديم وتطوير الخدمات الصحية الأولية لمرضى العيون في المملكة العربية السعودية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الصحية في جامعة ويلز ببريطانيا، تقدم بها **أحمد بن حمد التويجري**.

● «**معايير البحث العلمي في التربية الإسلامية: دراسة وصفية تقويمية لبعض رسائل التربية الإسلامية بالجامعات السعودية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى، تقدمت بها **فتحية محمد بشير الفزاني**.

● «**تحقيق مخطوطة الأعلام شرح فوائد عمدة الأحكام لابن الملقن**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة أم القرى، تقدمت بها **جميلة محمد بشير الغزالي**.

● «**دراسة لواقع الدعوة في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام

الجديدة في مجال العلوم الثقافية على مستوى العالم، إضافة إلى عقد مقارنات ثقافية بين الدول في هذا المجال.

ويذكر أن صاحب فكرة إنشاء المركز وأول من دعا إلى تأسيسه هو المؤرخ النمساوي **موريتز نسيساتي**.

ألمانيا — أسرار المقابر الفرعونية

أقيم في مدينة هام بولاية شمال الراين فستفاليا - مؤخرًا - **معرض كبير للحضارة المصرية القديمة** تحت عنوان: «**مصر: أسرار المقابر الفرعونية**».

وقد ضم المعرض ما يزيد على ثلاثمائة قطعة أثرية وفنية، من بينها بوابة كاملة من الحجر لمقبرة فرعونية قديمة، ومسلة تاريخية صغيرة، كما أقيمت مقبرة خاصة في إحدى قاعات المعرض تعد صورة طبق الأصل لمقبرة «سنفر» الفرعونية.

تعود ملكية معظم الآثار والقطع التي ضمها المتحف إلى عدة متاحف ومجموعات خاصة ألمانية.

من أحدث الكتب

● **بيروت ٧٥**، رواية غادة **السمان**، صدرت طبعتها الثانية باللغة الألمانية عن دار نشر دويتش تاشنباخ فرلاج في ميونيخ.

النرويج — اكتشاف منزل عمره ١٠ آلاف و٣٠٠ عام

عثر في منطقة فينمارك على مسكن يعود تاريخه إلى ما قبل عشرة آلاف وثلاثمائة عام، بداخله فحم خشبي.

تكمن أهمية الكشف في كونه يصحح معلومة تاريخية تشير إلى أن أول استيطان بشري لهذه المنطقة يرجع إلى ما قبل تسعة آلاف وستمائة عام.

المجر — معرض للفائزين بجوائز نوبل

يقام في بودابست في مطلع شهر رجب الجاري معرض لأهم أعمال باحثي المجر وعلمائها ممن نالوا جائزة نوبل.

يضم المعرض أعمال الفائزين بالجائزة من أبناء المجر، ومن بينهم **فولوب ليفارد** (الفيزياء ١٩٠٥م)، **روبرت باراني** (الطب ١٩١٤م)، **أدولف ريشار زيجموندي** (الكيمياء ١٩٢٥م)، **يورجي هيفيس** (الكيمياء ١٩٤٣م)، **يورجي بيكيس** (الطب ١٩٦١م)، **جينيو فيجنر** (الفيزياء ١٩٧١م) **وجانوس كارولي بولاني** (الكيمياء ١٩٧١م).

أيرلندا — متحف للأدباء



جيمس جويس

افتتح في العاصمة الأيرلندية دبلن - مؤخرًا - «متحف الأدباء» تخليدًا وتكريمًا لذكرى رواد الكلمة الراحلين من أبناء أيرلندا.

من الذين يكرمهم المتحف: **برنارد شو،**

محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله محمد الموسى**.

● «**كتاب شرح التصريف لأبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني المتوفى سنة ٤٤٢ هـ: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغويات بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **إبراهيم بن سليمان البعيمي**.

● «**تطور حيازة الأرض الزراعية في فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨م**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها **هند أمين إبراهيم البديري**.

● «**أدب عبد الرحمن الشرقاوي الإبداعي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة، تقدمت بها **ثريا العسيلي**.

● «**مذهب الحنابلة: قسم أحكام الأسرة: عرضًا ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **أحمد بن محمد صالح الخضيري**.

● «**اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بكلية الهندسة بجامعة الملك عبدالعزيز نحو استخدام مكتبة الجامعة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها **نبيل عبد الله قمصاني**.

● «**المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة: توثيقًا ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد المدني بوساق**.

● «**التخطيط لإنشاء مركز معلومات بالمؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة في جدة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها **سعيد صالح الغامدي**.

● «**العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية وممالك شمال بحر قزوين وغربه حتى نهاية القرن الرابع الهجري**»، عنوان رسالة دكتوراه في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد سليمان صالح الراجحي**.

● «**المخطوطات العربية ودورها في التاريخ العربي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية في موسكو، تقدم بها **ثابت علي جبري**.

جيمس جويس، صموئيل بيكيت، ووليام بيتس، وآخرون.

الولايات المتحدة

كرسي الملك فهد لدراسات الشريعة الإسلامية

احتفلت جامعة هارفارد الأمريكية في بوسطن **بتأسيس كرسي الملك فهد لدراسات الشريعة الإسلامية.**

وقد تم تأسيس الكرسي بمنحة من خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** هدفت إلى نشر الوعي بتعاليم الإسلام وأهدافه النبيلة في خدمة المجتمعات البشرية.



الأمير بندر بن سلطان

حضر الحفل صاحب السمو الملكي **الأمير بندر ابن سلطان بن عبد العزيز** سفير المملكة في واشنطن، والدكتور نيل رود نستين رئيس الجامعة، والدكتور **روبرت كلارك** عميد كلية الحقوق، والبرفسور **فرانك فوجل** أول أستاذ لكرسي الملك فهد لدراسات الشريعة الإسلامية، إلى جانب أعضاء هيئة التدريس بالجامعة والعاملين في السفارة السعودية والمهتمين بالدراسات الإسلامية.

كُتَّاب أمريكا يقاضون الكمبيوتر

يعتزم اتحاد الكتّاب الأمريكيين رفع أول دعوى قضائية وأغربها ضد أجهزة الحاسب الآلي ومنتجيها ومستخدميها من أجهزة الإعلام المختلفة.

يسعى الاتحاد من خلال الدعوى إلى الحفاظ على حقوق الكتّاب إزاء تنامي المد الإعلامي الإلكتروني واستغلاله لهذه الكتابات دون إذن أصحابها.

جائزة هيلين كيلر للأمير عبد العزيز بن أحمد



الأمير عبد العزيز بن أحمد

منح صاحب السمو الملكي **الأمير عبد العزيز ابن أحمد بن عبد العزيز** رئيس المركز السعودي للأبحاث ومكافحة العمى رئيس الجمعية السعودية لطب العيون **جائزة هيلين كيلر العالمية للريادة المميزة في مجال مكافحة العمى،** تقديرًا للدور الذي يؤديه في هذا المجال.

وتسلم سموه الجائزة في احتفال كبير أقيم في مقر المؤسسة بمدينة نيويورك.

ويذكر أن الأمير عبد العزيز ثالث شخصية تنال هذه الجائزة منذ إنشاء المؤسسة قبل ثمانين عامًا.

وفاة جلال كشك



محمد جلال كشك

توفي الكاتب والصحافي **محمد جلال كشك،** عن عمر يناهز ٦٥عامًا، إثر أزمة قلبية فاجأته خلال مناظرة تلفازية أقيمت في العاصمة الأمريكية واشنطن، بينه وبين د. **نصر حامد أبو زيد** حول أفكاره التي تمس العقيدة الإسلامية.

عاش كشك حياة عامرة بالإثارة والتناقضات، إذ بدأ حياته الفكرية والصحافية بعد تخرجه في كلية الحقوق بالانضمام إلى خلية شيوعية، ثم انضم عام ١٩٥١ م إلى هيئة تحرير صحيفة **«الجمهور المصري»** ثم جريدة «المعارضة». قبض عليه عام ١٩٥٤ م وسُجن في معتقل أبو زعبل لمدة عامين، خرج بعد ذلك ليعمل في صحيفة **«الجمهورية»** ثم مجلة **«روز اليوسف»**، فمجلة **«بناء الوطن»**، ثم عُيِّن بعد نكسة ١٩٦٧ م مندوبًا متجولاً لصحيفة **«أخبار اليوم»** في دول المشرق العربي، وأصدر خلال هذه الفترة كتابًا، عنوانه «عبد الناصر وليس الناصرية»، أثار غضب الرئيس الأسبق **جمال عبد الناصر** الذي قام باستدعائه فرفض العودة وصدر قرار بفصله، فألحقه الصحافي اللبناني الراحل **سليم اللوزي** بالعمل في مجلته **«الحوادث»**.

بعد وفاة عبد الناصر حاول **كشك** العودة للصحافة المصرية إلا أن الرئيس **السادات** رفض، وقد بدأ في الفترة الأخيرة من حياته في نشر مقالات في مجلة **«أكتوبر»**.

ورحلة **كشك** من خلال الشيوعية إلى نور الإسلام جديرة بأن تُحكىٰ، إذ إن الرجل بعدما أدرك زيف دعاوى الشيوعية لم يركب رأسه كغيره، وإنما ثاب إلى رشده وعاد إلى حظيرة الدين ليُسَخِّر قلمه في خدمة العقيدة من خلال مقالاته وكتبه الكثيرة التي يأتي في مقدمتها: **«السعوديون والحل الإسلامي»**، **«خواطر مسلم في الجهاد والأقليات»**، **«كلمتي للمغفلين»**، **«إنهم يبيدون الإسلام في بلغاريا»**، **«الناصريون قادمون»**، **«ثورة يوليو الأمريكية»**، **«الجنازة حارَّة»**، **«جهالات عصر التنوير»**، **«ودخلت الخيل الأزهر»**.

معرض تشكيلي لفنان إماراتي

أقيم في «ألف جاليري» في واشنطن **معرض لأعمال الفنان التشكيلي الإماراتي عبد القادر الريس.**

تميزت الأعمال المعروضة بالتجريدية إلى جانب التعبير عن البيئة العربية الخليجية بما تمثله من عمق.

والريس من مواليد دبي عام ١٩٥١ م، وسبق له أن أقام معارض فردية لأعماله في دبي، الشارقة، أبو ظبي، بيروت، براغ، لوبريك (تشيكوسلوفاكيا سابقًا)، إضافة إلى مشاركاته في معارض جماعية عربية وعالمية في الكويت، لندن، مدريد، جنيف، أثينا، الدار البيضاء، سيدني، بولونيا، باريس، دبي، الرياض، والدوحة.

وهو حائز على العديد من الجوائز والميداليات والأوسمة، وله أعمال في مجموعات خاصة ومتاحف منها متحف الفنون الجميلة في نيودهلي، والجمعية الثقافية في أبو ظبي.

أحدث الكتب

- **مع أصدقاء مثلكم، تأليف ماتي جولان.**

● **شعب اللامكان: الرؤية الفلسطينية للوطن**، تأليف **داني روبنشتاين**.

● **متعصبون لصهيون**، تأليف **روبرت أ. فريدمان**.

● **الارتباط العميق**، تأليف **جورج بول ودوجلاس بول**.

● **الرؤساء الأمريكيون والشرق الأوسط**، تأليف **جورج لينزوسكي**.

صدرت طبعات جديدة من الكتب الخمسة السابقة بمناسبة مفاوضات السلام العربية الصهيونية عن دار نشر أيه. إيه. تي في واشنطن ونيويورك.

بريطانيا ▼ مؤتمر عن علم المخطوطات

نظمت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مؤتمرها الثاني في العاصمة البريطانية يومي ٢١ ـ ٢٢ جمادى الآخرة المنصرم (٤ ـــ ٥ ديسمبر) تحت شعار «**علم الكتاب المخطوط**».

بحث المؤتمر جوانب من علم المخطوطات متناولاً المخطوطات ذاتها وليس مضمونها أو تاريخها، من حيث أنواع الورق والأحبار والمواد المستخدمة في الزخرفة والتلوين والتجليد والعلامات المائية، وما إلى ذلك من المعلومات العامة المتعلقة بأي كتاب مخطوط.

شارك في أعمال المؤتمر عدد من الباحثين العرب والأجانب المتخصصين في مجال المخطوطات العربية والإسلامية.

جائزة بوكر لدويل

منح الروائي الأيرلندي **رودي دويل** (٣٥ عامًا) **جائزة بوكر** للرواية في عامها الخامس والعشرين عن روايته «**بادي كلارك.. ها ها ها**».

أثار فوز دويل الروائيين البريطانيين، واتهم الكاتب أوبرين واو هيئة الجائزة بأنها تعطيها عادة لكاتب أجنبي.

يذكر أن جائزة بوكر منحت للمرة الأولى عام ١٩٦٩ م، وتبلغ قيمتها عشرين ألف جنيه إسترليني، وقد سبق أن رُشح دويل لها قبل عامين عن روايته «**عربة ألفان**»، لكنه خسرها ـ آنذاك ـ أمام بن أوكري.

الأمير تشارلز يطالب بنظرة موضوعية للإسلام

دعا ولي عهد بريطانيا **الأمير تشارلز** في محاضرة بعنوان «**الإسلام والغرب**»، ألقاها أمام جمع من المفكرين في جامعة أوكسفورد، الغرب إلى النظر لجوهر الإسلام وفهم مقاصده وأهدافه الإنسانية السمحة، وأن يتخلوا عن أفكارهم المغلوطة حول الإسلام التي أورثت الغرب أحقادًا ضد المسلمين وعقيدتهم.

بيّن الأمير في محاضرته، التي ألقاها بدعوة من **مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية**، الذي يعد الأمير راعيًا له، أن الحضارة الإسلامية قدمت على امتداد قرون الكثير من العطاء، وانتقد تشويه الصحافة البريطانية لصورة هذا الدين.

وشدد على خطأ ربط الغربيين بين الإرهاب والإسلام مؤكدًا أن الإسلام دعوة للسلام، وأن ما يحدث من نزاعات مريرة سببه أفكار مغلوطة لدى الغربيين والمسلمين تجاه بعضهما بعضا، وأكد أن المتطرفين موجودون في كل المجتمعات وليس في المجتمعات الإسلامية وحدها.

وقد لاقت محاضرة ولي العهد البريطاني اهتمامًا واسعًا من قبل الصحافة الإسلامية والغربية، كما **أثنى متحدث رسمي باسم الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي على الأمير** وما جاء في محاضرته.

الأديبات يحصدن جوائز وتيتيريد

احتكرت الأديبات البريطانيات فروع جائزة وتيتيريد الأدبية لعام ١٩٩٣ م بفوزهن في أربعة مجالات تاركين للرجال جائزة واحدة.

ففي مجال الشعر فازت **كارول دافي** بقصيدة «**الوقت الشحيح**»، وتحصلت **راشيل كاسك** على جائزة أفضل رواية ينشر كاتبها لأول مرة بروايتها «**إنقاذ أجنيس**»، وفازت **آن فاين** بجائزة روايات الأطفال عن روايتها «**أطفال الرقيق**»، ومنحت **جون برادي** جائزة الرواية عن روايتها «**الولد المدين**».

وكان **أندرو موشن** الرجل الوحيد الذي حقق جائزة بفوزه بجائزة السيرة عن دراسة «**حياة كاتب**» التي تتناول حياة **فيليب لاركن**.

مسابقة شعرية عربية بالإذاعة البريطانية

أعلن القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين في مسابقته الشعرية التي نظمها لمستمعيه في العالم العربي.

فاز بالمركز الأول **طاهر محمد العتباني** (مصر) عن قصيدته «**كنت وليلى طفلين**»، تلاه **جميل حسن** (سورية) عن قصيدته (**بردس**)، ثم **علي شبيب أحمد** (العراق) عن قصيدته «**سفر الغياب**».

كما اختيرت ٢٦ قصيدة أخرى للفوز بجوائز عينية متنوعة من إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية.

معرض تشكيلي

أقامت أكاديمية الفنون الملكية البريطانية معرضًا تشكيليًا لأعمال بعض كبار فناني أوربا المستعارة من متاحف عالمية.



فان جوخ

ضم المعرض ١٢٠ لوحة لفنانين مدارس إيطاليا، هولندا، فرنسا، إسبانيا، وألمانيا، من بينهم **فان جوخ، سيزان، رمبرانت، روبنز، فان ديك**، وغيرهم.



سيزان

من المقرر أن يستمر المعرض حتى ١١ شعبان المقبل (٢٢ يناير ١٩٩٤ م).

أحدث الكتب

● **نهاية هونج كونج: الدبلوماسية السرية للتقهقر الإمبراطوري**، تأليف **روبرت كوتريل**، صدر عن دار نشر موراي في لندن.

● **أودري هيبورن**، تأليف **إيان وودوارد**، صدر عن دار نشر فيرجين في لندن.

على موعد

أين نحن؟!

حقًّا، إنه لتراث عظيم، ذلك الذي تركه لنا أسلافنـا، ومرجع تلك العظمة مـا يتسم به من ثـراء وشمول لشتى فـروع المعرفـة، ولا يملك من اطَّلع على طرف منه إلا أن يحترمـه، ويكبر تلك العقليات التي أنتجتـه.

إلا أننا ـــ مع الأسف الشديد ـــ لـم نستطع أن ننفذ إلى أعماقـه، ولـم نتمكن من التغلغل في ثنـاياه بـالقدر الذي يكفـي للوفاء لـذلك الموروث ولأصحـابه، وذلك ـــ لا محالة ـــ ينبىء عن خمول فكري؛ لأننـا في أحسن أحوالنا قـد استطعنا أن نحافظ على ما عنـد الأوائل، دون أن نعطيه حقـه من الدرس لنخطو به إلى الأمـام.

وأتعجب كثيرًا حين أقرأ أو أسمع، عندما تردنـا نظرية غربية، تلك العبارة التي ألفنـاها أمام كل جديـد وطريف، ألا وهي: هذا مـوجود في تراثنا، أو كـانت جذور ذلك وأصولـه في مـؤلفات أجدادنا. فقـد تعودنا سماعها في جميع المجالات؛ فإن قرأنـا شيـئًا في نظرية في النحو أو اللغة أو عنها قلنا: هذا ما سبق إليه الخليل وسيبويه وابن جني، وإن وردنـا شيء في النقـد قلنـا: هذا مـا سبق إليـه الجاحظ وابن قتيبـة والآمـدي، وإن سمعنا شيئًا في البلاغـة ونظـرياتها قلنا: هـذا جذوره عنـد عبد القـاهر الجرجاني، وإن سمعنا شيئا في الاجتماع قلنا: هذا سبق إليه ابن خلدون، وإن سمعنا شيئًا في الطب قلنا: هذا ما عند الرازي، وإن سمعنا شيئا في الـرياضيـات قلنا: هـذا سبق إليـه الخوارزمي . . . وهكذا وهكـذا حتى غلب ذلك على أحاديثنا الأدبية والفكرية والعلمية.

والذي نقوله سليم جدًا من الناحية التاريخية، لا ينازعنا فيه شرقي ولا غربي، وإنمـا الذي لا يعدّ سويـًّا أبدًا أن نبقى بين قديم ابتكـر، وغربي اجتهد وطور.

ولئن كان من حق الأوائل علينا أن ندافع عن تراثهم بكل قوانـا، مهما كلفنا ذلك، فإن من حقهم علينا ـ أيضا ـ أن نعي ما عندهم، وأن نواصل النهـوض بـه قـدمـا، ونجتهد في تطـويـره، مشـاركين غيرنا في استنبـاط النظريات، وتوظيفها في حياتنا الأدبيـة والفكرية.

نعـم، إننـا بحاجـة إلى القراءة الواعيـة للتراث، بالقدر الذي يمكننا من الحضور الفاعل في هذا الزمن الـذي تتنافس فيه العقول، وتزدحـم فيه الأفكـار، وأن نتجافى عن عبارات الفخر بجهود ليس لنا منها نصيب، لا سيما ونحن نعيش في زمن الجامعات والتقنيات والبحوث المتخصصة.

أقـول: يجب أن لا نكتفي بقراءة كتب القدمـاء وحسب؛ لأنهم ـ كما أحسب ـ لو علمـوا بحالنا لحزنوا علينا حزنـًا شـديدًا، ولعيّرونا بالخمـول والتراخي الفكري، وأن لا يثنينـا احترامنا لهم، وإكبارنـا إياهم عن تعميق رؤاهـم وآرائهـم في مختلف ميادين المعرفـة الإنسانية، ولـن يكون ذلك منا بدعـة، ولن يعد تطـاولاً، ولا جحودًا أو تجنّيًا، فذلـك قـد كـان ديـدن القدمـاء أنفسهم، فـمن أَلَـمَّ بشيء مما في كتبهـم، واطلع على شيء من أخبارهــم عَلِـمَ عِلْـمَ اليقيـن أنهم لـم يقيمـوا ذلك الصرح الذي هـو مصدر فخرنـا واعتزازنـا إلا بالمتـابعة والإضافـات المستمـرة، وإنما يكون الجحود والنكران عندما نكتفي بترديد كان وكان، دون أن نتعمق فيما كان، ودون جذبـه إلينـا ومعرفـة أبعـاده، مع أن جدنـا القديم قـد نبّـه إلى ذلك حين قـال: «ليس الفتى من قال كان أبـي».

أقول هذا من باب الفخر بالانتمـاء إلى ذلك التراث القديم المتجدد، الزاخر بـالكنوز التي لـم تُكتشف بعـد، ومن حقها أن تسهـم في تسيير الحياة الأدبيـة والفكـرية المعاصرة بفعاليـة تتناسب مع عظمـة ذلك التراث ليبقى حيـًا وخالدًا.

إن إحياء التراث ـ بحق ـ هو تـمثّـل قيمه ومبادئـه وتقاليده وأساليب تفكيره، والحياة حسـب ما يقدم من تصـورات لأنمـاط المعرفـة، ومن ثم التفاعل معـه. والعمل الجاد على التقدم بـه إلى آفـاق أرحب، وذلك تماما مـا فعلـه الأوربيــون بـالنسبـة للتراث اليـونـاني والـرومـاني في العصـور القديمـة.

ومـا أريد التـأكيد عليه ـ في الختام ـ هو أنـه ينبغي ألاّ نفاجـأ بنظرية تأتينـا، وجذورهـا أو مضمونها، أو هي في شكلهـا البسيط مـوجودة بين أيدينـا، وإلا فأين نحـن؟!

د. حامد صالح الربيعي